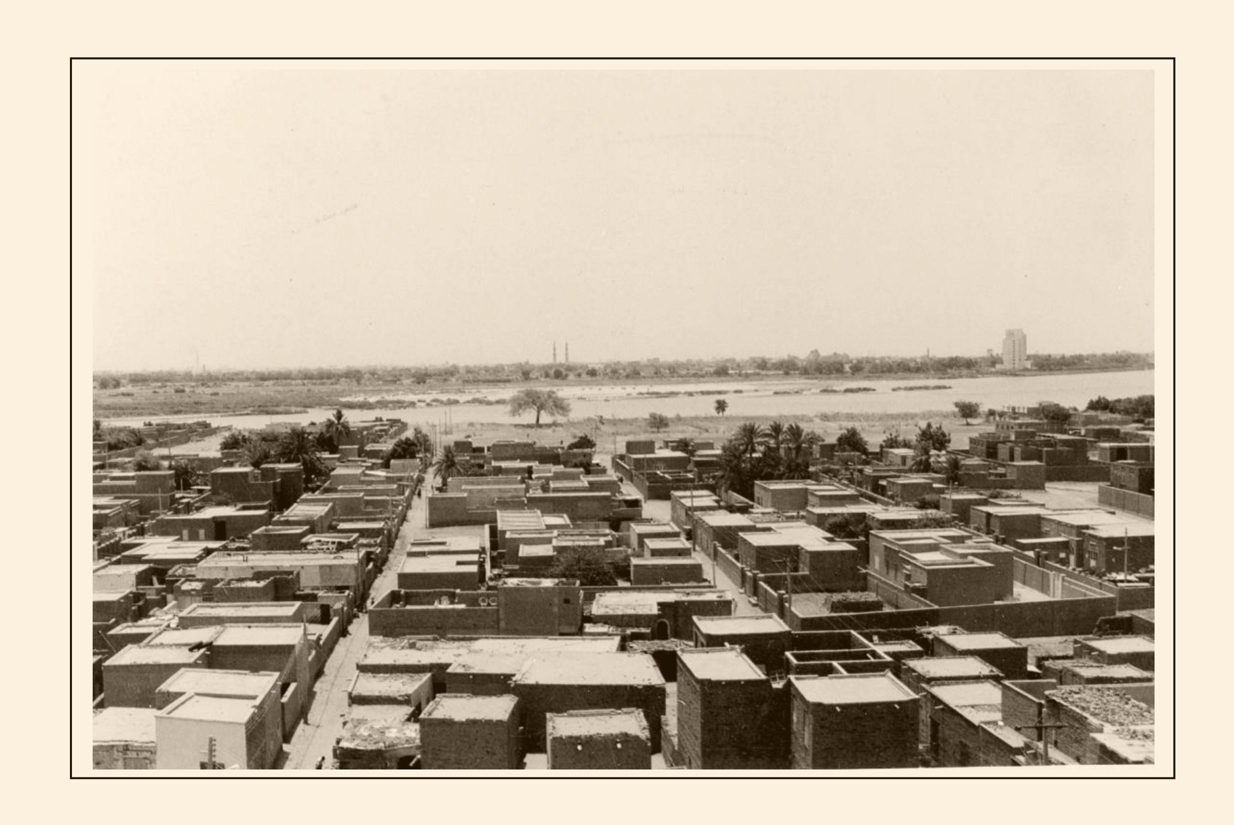
كتاب توتي



تأليف: محمد السيد حسن محمد أرباب

2013م


Dr.Binibrahim Archive

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب توتي

تأليف: محمد السيد حسن محمد أرباب

2013م

المقدمة

الحمد لله على ما أنعما	حمدا به يجلو عن القلب العمى
ثم الصلاة بعد والسلام	على نبي دينه الإسلام
محمد خاتم رسل ربه	وآله من بعده وصحبه

وبعد:

فإن توتي ما زالت تخلب لب المقيم بها والزائر، جمال طبيعة وفضل ساكن. وليس آخرهم محمد اليمني الذي أسرته بجمالها فكان مما قال فيها:

بوركت توتي مدى الأزمان ملهمة	الله أبدع فيك أروع الصور
قد أثلج الصدر هذا الحسن أدهشه	فيك الجمال جمال الروح والسير
كف العناية قد صاغتك معجزة	حتى سلبت عقول البدو والحضر
تفنى الشموس وشمس الخلد ساطعة	في ركبك الفذ يا أعجوبة القدر

فحق لنا أن نهتم بتوثيق ماضيها وحاضرها. مؤانسة للعالم، وتعليما للجاهل، وحفظا لحق الأجيال المستقبلة في معرفة تاريخها ومكانة آبائها وفضل أجدادها وعاداتهم وتراثهم. فإن التاريخ الماجد، حافز على الحفاظ على السؤدد، وبلوغ ما بلغ الآباء. لأنه يكسب النشء الثقة بالنفس والقدرة على الإنجاز.

والحق أن المرء يلاحظ كثرة المعلومات التاريخية والثقافية والاجتماعية التي لم تدوّن، وما زالت علما في صدور الرجال. وتخسر الأجيال بفقد كل عالم حافظ للتراث شيئا من ذاتها وتكوينها، إذ شخصية المجتمعات كما الأفراد هي امتداد ونتاج لثقافة ونمط حياة الماضي وأحداثه التي صاغت البيئة التي تربى فيها. وبفقد التاريخ الموروث تفقد الذاكرة، التي هي جزء أصيل في تكوين الإنسان ورسم توجهه. ولئن كانت كذلك للأفراد؛ فلربما كانت للمجتمع الروح التي تمده بالحياة وتحافظ على سماته ومميزاته في المستقبل، ودونها لا يكون له كيان متميز. وقديما كتب أجدادنا على باب المسجد العتيق: (والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدا كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون). فاللهم اجعلنا من الشاكرين.

وإن من الشكر إظهار نعمة المولى جل وعلا، التي بها رعى؛ في كنف أسرة ومجتمع، وهُدى إلى الشرع المتبع، وفضل من العَيْلة منع. كما قال تعالى بعد أن مَنَّ على نبيه هذه النعم: (وأما بنعمة ربك فحدث). وهذا من المطلوب شرعا وعقلا. لأنه بدوام أسباب هذه النعم، يخرج نبات البلد طيبا، وبفقدها يخرج خبيثا.

وإنما يقع في المذمة من على مجد الآباء اتكل، وركن إلى الكسل، ونسي العمل، وانشغل بطلب الحمد بما لم يفعل. ثم ازدرى الناس، وظن الفخر بالآباء يصنع مجدا. فهذا مما قال الله تعالى فيه: (ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر). وإنما الكرامة بالعمل والتقوى. قال تعالى: (إن أكرمكم عند الله أتقاكم).

ولقد كانت بداية اهتمامي بهذا المجال — مجال التوثيق للتاريخ والتراث – على يد الأستاذ قيس إبراهيم أحمد علي، حيث دعاني لمساعدته في التوثيق لبعض الأنشطة والأنساب بتوتي، وسرعان ما صارت لنا جلسة أسبوعية في منزله لكتابة الأنساب والتذاكر في التوثيق والتاريخ. يحضرها لفيف من المهتمين. واستمر ذلك لعامين ثم حدث انقطاع، فكان مما كتبته إلى الطاهر أحثه فيه على مواصلة ما انقطع:

ألا بلغا عني أبا عامر ... الطاهر بن محمد بن الطاهر
النسابة البحر المحيط الزاخر ... في جمع أنساب الكرام مثابر
بعد السلام وذكر رب غافر ... ثم الثناء على النبي الآخر
لما أثرت في شجون تذاكر ... لعلم أنساب تليد داثر
في بيت علم من عظام نابت ... ميراث نساب جليل خابر
وفضل معروف المكارم جامع ... ضبطا وتصحيحا لعلم الغابر
قيس تفرد بالعلوم نباهة ... نسبا وتاريخا وعلم مآثر
ومحمد ومحمد ومحمد ... ومحمد صحبا وخير معاشر[1]
أردت أكتب للأنيس مجاوبا ... شيئا من الشعر وفيض خواطر
أرجو به مودة وتآلفا ... وصداقة في الله غير مكاثر
إن الحبيب إذا أحب مصادقا ... في الله نال من الكريم القادر
في يوم حر للبرية هائل ... ظلا ظليلا لا كمثل الخاسر

فأجابني:

لله درّك يا ابن أرباب الذي ... دونت أنسابا بسيل محابر
وجمعت أشتاتا لأرحام غدت ... متقاربات تحت دوح ناضر
لا تنس ذاك العامري وفضله ... قد دون الأنساب غير مفاخر[2]
وكذاك ود شاهين صار مبرزا ... قد كان يحكي قصة للطاهر[1]

(1) محمد بن عز الدين بن الحبر بن المختار السعدلابي، ومحمد بن فاروق بن عبد المتعال بن سليمان بن محمد بن محمود القرجاجي الجموعي، ومحمد بن طه بن بابكر بن الفضل الغردقابي، ومحمد (خِبرة) بن ميرغني بن الفضل بن العباس الشاووشابي الصبحابي، وأنا محمد!.

(2) المقصود علي بن عبد الرحيم بن محمد بن علي العامرابي.

أنعم به نسّابة لجزيرة هي أم عاصمة وأُسُّ مآثر

أكمل بأبياته بقية نسّابي الجزيرة، ولم يكونوا ممن يحضر مجلسنا.

والحقيقة أني مهما بذلت من الشكر فلن أوفي أستاذنا الأستاذ قيس إبراهيم أحمد علي حقه، وقد كان من المقرر أن نشترك في كتابة هذا الكتاب، غير أن مشاغله بمعالجة القضايا العامة بتوتي لم تمكنه من ذلك. ورغم ذلك فكل ما في هذا الكتاب من معلومات يرجع إليه بصورة مباشرة أو غير مباشرة. فنسأل الله العظيم أن يعظم له أجرا.

وما خصصت به أستاذنا ليس فيه إنكار لأفضال كثيرين أعانوا على هذا العمل ولم يبخلوا بعلم ولا رأي. وقد أشرت إلى كثير منهم في هوامش هذا الكتاب، وبعضهم لم أشر إليه، سهوا أو تقصيرا. فإن حصر أصحاب الفضل في عمل كهذا أمر عسير. فأسأل الله أن يتقبل منهم جميعا.

محمد السيد حسن محمد أرباب

توتي – 1435 هجرية

الموافقة 2013م

(1) يقصد عبد الله بن محمد (شاهين) بن أحمد بن جميل الله بن البدري الشكرتابي.

الموقع و التكوين الجغرافي

الموقع

تقع توتي عند ملتقى النيلين الأزرق والأبيض، يحدها من الجنوب مدينة الخرطوم ومن الشرق الخرطوم بحري ومن الغرب أم درمان. وهي تبدو بشكل هلال له رأس جنوبي شرقي وآخر شمالي شرقي. قال أبو شوقي: (1)

هي درة النيل العظيم وبنته	هي جنة محفوفة بجنان
قد مدت الخرطوم رونق سحرها	وزهت جمالا شرق أم درمان
ورمال بحري أشرقت من حسنها	كالتبر يبرق نورها الرباني
إذا وقفت هنيهة بجنوبها	لرأيت كيف تعانق النهران
وترى على أقصى الشمال برأسها	النيل منحدرا بكل أمان

النشأة الجيولوجية لتوتي

جزيرة توتي جزيرة رسوبية نشأت عن ترسب الطين على بعض الصخور النارية الجوفية التي ساعدت بصورة مباشرة علي التقليل والحد من سرعة المياه, وأدت الفيضانات النهرية المتكررة بشكل دوري إلى حدوث ترسيب دوري للصخور المحمولة مع النيل الأزرق أساسا والأبيض ثانويا ما أفرز تطور وتوسع الجزيرة إلى صورتها الحالية، حالها في ذلك مثل جميع الجزر النيلية الأخرى حيث يظهر جليا تكونات الصخور الرسوبية بالجزيرة مثل الأحجار الجيرية والرملية المنتشرة في جميع أجزائها بطبقاتها الدالة علي رسوبيتها. ويقدر علماء الجيولوجيا أن هذه الصخور البركانية تعود إلى فترة تقدر بـ 280 إلى 543 مليون سنة وهو ما يسمى عصر الباليوزويك.

ومن ناحية أخرى يجري النيل الأبيض ببطء وذلك لقلة انحداره واتساع مجراه وبذلك تقل عمليات النحت في ضفافه ويزداد الإرساب، وعلى نقيض ذلك يتميز النيل الأزرق – الذي ينبع من الهضبة الإثيوبية – بسرعة التيار وشدة الانحدار وعمق المجري وبذلك تزداد عمليات النحت في ضفافه وتقل عمليات الإرساب وهذا ما يبدو واضحا في شكل الجزيرة التي تمت لها عمليات نحت من الجهة الشرقية بواسطة النيل الأزرق وعمليات ترسيب من الجهة الغربية بواسطة النيل الأبيض والأزرق.

---

(1) هو الأمين بن مصطفى بن خليفة. من شعراء توتي. له كتابان يوثقان للحياة الاجتماعية بتوتي.

كما أن زيادة مستوي المياه يؤدي إلى نقص بعض الأجزاء من الجزيرة وزيادة أخرى أحيانا مما قد يؤدي مستقبلا إلى اتصال الجزيرة بالخرطوم أو بحري أو أم درمان وهو احتمال يعتمد علي النشاطات البنائية الإنشائية القائمة علي ضفافي النيل الأزرق والأبيض[1].

أول ذكر تاريخي لجزيرة توتي

ذكر ابن حوقل في سنة 359هـ الموافقة 970م في كتابه صورة الأرض: (ومن غرب النيل نهر يجري من ناحية المغرب كبير غزير الماء يعرف بالنيل الأبيض وعليه قوم من النوبة وبين النيل الأبيض وعمود النيل المتقدم ذكره ببلد علوة جزيرة لا يعرف لها غاية بها جميع الوحش ويسكنها النوبة والكرسي ومن لا يقدر لامتناع جانبه أن يحاط بمعرفته). وقد وصف الكرسي بأنهم: (أصحاب زفال وهو الجلد الذي يتزرون به عرضا ويستخرج طوله من تحت الأفخاذ فيغرز عند السرّة فيما انعقد من الزفال) [2].

---

(1) أ.عمر عبد الرحيم بسطاوي: تأثير مدينة الخرطوم على النيل، رسالة ماجستير.

(2) صورة الأرض، لابن حوقل.

المعلومات الأساسية

تقسيم الأرض

تتكون توتي حسب الخريطة المعتمدة [عند سلطات الأراضي] من حلة (أي أرض سكنية) دون تحديد للمنازل أو ترقيم أو سجل وهي أي الحلة في الوسط ويحيط بها أراضي زراعية من كل جانب كسواقي مرقمة من شمال الجزيرة حيث الساقية 1 وتنتهي في الجنوب الشرقي حيث الساقية 88 هذه السواقي الثمانية والثمانين مقسمة إلى حصص وحبال مختلفة في أطوالها وعدد حصصها وعدد حبالها وبالتالي مختلفة في مساحتها فأكبر ساقية مساحتها 48.99 فدان وأصغرها مساحته 1.49 فدان وتبلغ مساحة الأرض الزراعية 995 فدانا ومساحة الحلة (10) فدان تقريبا. وهناك دروب مسجلة هي درب المسيد(1) ودرب هليس(2) ودرب عراضة ودرب رابع أوقفته الحاجة حليمة بنت عبده.

هذا الوضع كان سائدا حتى بداية الثلاثينيات من القرن العشرين ثم بدأ السكان بتحويل الأراضي الزراعية إلى سكن بعد ازدياد أعدادهم. ومن المعلوم أن النيل الأزرق يرسب الطمي سنويا من جهة ويهدم من الجهة الأخرى وحتى الآن فقدت الجزيرة من الناحية الشرقية بفعل الهدام حوالي أحد عشر ساقية تقدر مساحتها بحوالي 200 فدان تقريبا ولكن أعطى النيل مقدار ذلك من جهة الغرب(3).

وقد كانت الجنائن تسقى بالسواقي والشادوف (النَّبَرو)، وأول طلمبة استخدمت في السقاية بتوتي كانت في العام 1925م، وكانت ملكا لإبراهيم خليل منصور(4).

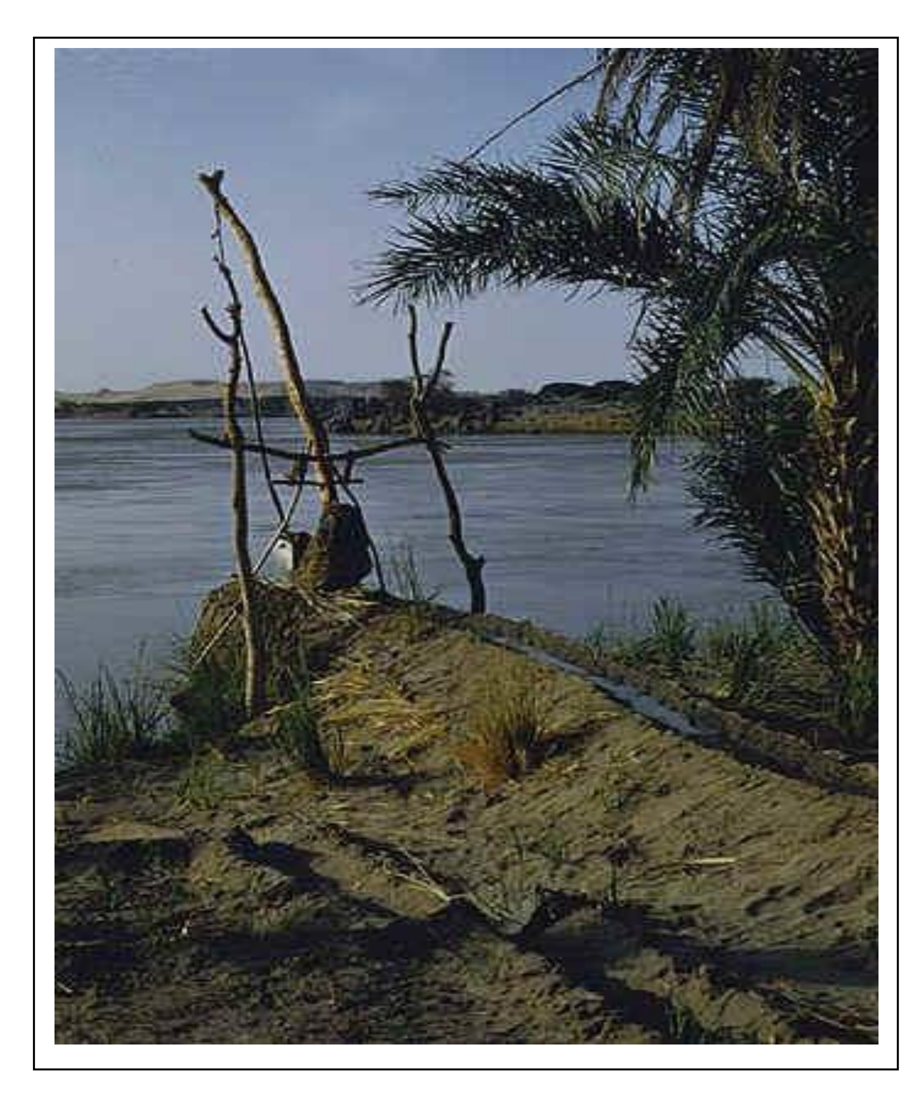
---

(1) في الأصل وقف أوقفه الفقيه المدني بن الفقيه أحمد بن عجيمي بن منوفلي من أرضه، وورثت ابنته فاطمة بنت الداعي بن الفقيه المدني بقية الأرض التي أخرج منها الطريق. عن الشيخ عبد الوهاب المدني. وهو حبلان أي 8 أمتار عرضا.

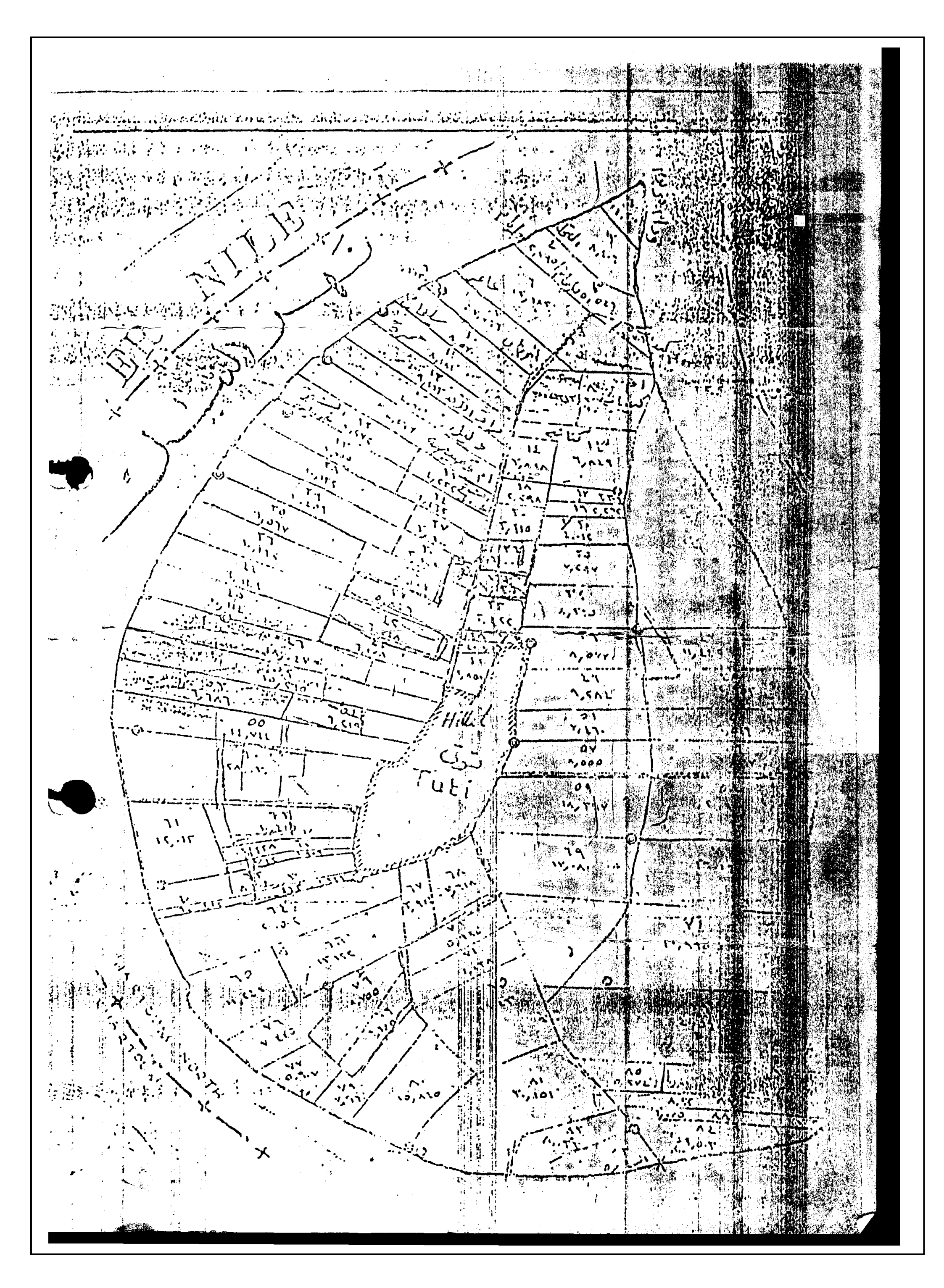
(2) في الأصل هو وقف أوقفه الفقيه المدني بن أحمد بن عجيمي من أرضه وهي الساقية 61.

(3) من خطاب أرسلته اللجنة القومية لتخطيط مدينة توتي إلى والي الخرطوم بخصوص تخطيط توتي عام 2012م. موقعا من قيس إبراهيم أحمد علي رئيس اللجنة.

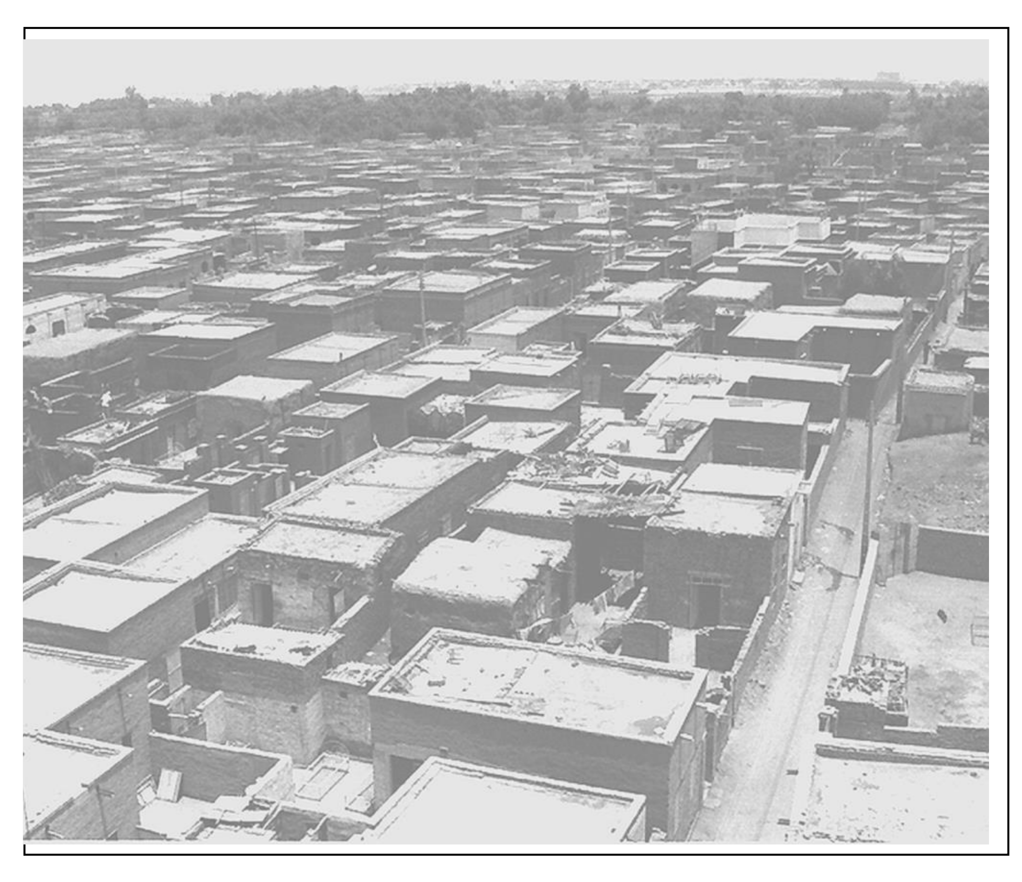
(4) الأمين مصطفى خليفة: توتي المجاهدة.

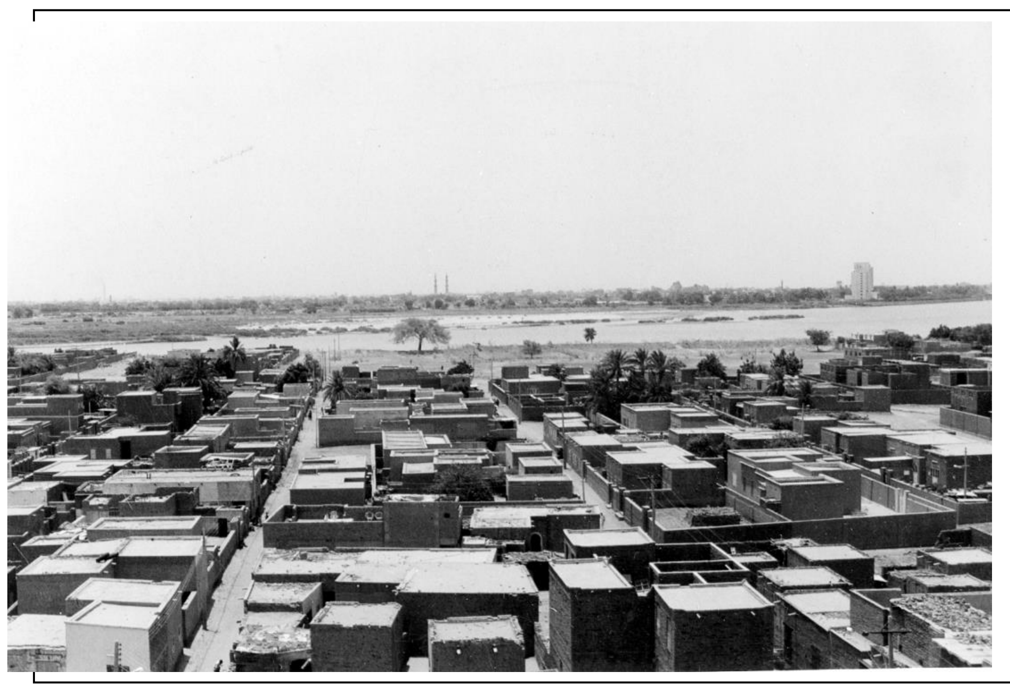


شادوف (نبرو)



خريطة السواقي بتوتي





صورتان علويتان يظهر فيها جانب من الحلة

السكان

أصل السكان:

ينتمي عامة سكان توتي إلى قبيلة المحس مع بعض الأسر القليلة التي ذابت فيهم وهي في أصلها منتمية إلى أصول قبلية أخرى.

عدد السكان:

العام	العدد
1956م	5851 نسمة (1)
...	7357 نسمة (2)
1988م	8500 نسمة (3)
1998م	10000 نسمة (4)

وقد أجرى عمر البشير الحسن عام (1963م) إحصاءا سكانيا خاصا عن مواطني توتي، خلص فيه إلى البيانات التالية:

الذكور	الإناث	المجموع
1956	1963	3939

وقد قدر عدد الأجانب المقيمين بتوتي بحوالي 300، والمقيمين مؤقتا بحوالي 100، ليكون مجموع السكان 4339 نسمة.

وهو يرجع هذا الاختلاف في الأرقام مع إحصاء 1956م إلى اختلاف طريقة الإحصاء. حيث أنه اعتمد في إحصائه على مجموعات من العارفين من أهل المنطقة، وقد استبعدوا في إحصائهم الأجانب على المنطقة. (5)

---

(1) فهيمة زاهر، تاج الدين علي الضاوي – مجتمع توتي - دراسة أعدها قسم علوم المجتمع بجامعة الخرطوم عن توتي عام 1964م باشراف بروفيسور ف. بارث، ودكتور ن. دايسون هدسون، ل.هيل. وعدد السكان مأخوذ من أول احصاء سكاني رسمي للسودن عام 1956م.

(2) جامعة أم درمان الإسلامية و كرسي اليونسكو للمياه – دراسة حماية وتطوير شواطئ النيل – المجلد الرابع – دراسة الخصائص الديموغرافية والاجتماعية لسكان مدينة توتي.

(3) م.إبراهيم عطا المنان عثمان، دراسة لتخطيط توتي.

(4) م.إبراهيم عطا المنان عثمان، دراسة لتخطيط توتي.

(5) فهيمة زاهر، تاج الدين علي الضاوي: مجتمع توتي.

الاقتصاد

اشتهرت توتي بزراعة الليمون ويوجد بها سوق خاص به، وتقوم بتصديره إضافة إلى الخضروات إلى العاصمة.

التركيبة المهنية للسكان عام 1963م : [1]

المهنة	العدد	النسبة
موظفون	431	45 %
عمال (معظمهم يعمل خارج توتي)	350	37 %
مزارعون	104	11 %
تجار	64	07 %

وقد كان وسط توتي في أوائل القرن العشرين يستخدم كمرعى حيث كانت الماشية تقدر بـ (5000) رأس وذلك أن الزراعة كانت محصورة في الأطراف لصعوبة ري وسط القرية بالسواقي والشادوف. وقد اختفت الماشية في الستينات بسبب زراعة أغلب الأراضي. حيث كان في عام 1963م يستخدم الوابور الكبير التابع لشركة تعمير توتي إضافة إلى عدد من الشادوف و 3 سواقي و 6 طلمبات خاصة و 2 حكوميتان. وكانت منتجات توتي تباع بسوق الخرطوم. وما زالت حتى إلغاء سوق الخضار بالخرطوم في تسعينيات القرن العشرين.

وكان غالبية العمال الذين يعملون بتوتي من خارجها. والسبب في ذلك أن أهل توتي قد تقدموا في التعليم من زمن بعيد مما مكنهم من المنافسة في سوق العمل بالخرطوم. [2]

التركيبة المهنية للسكان عام 2003م :[3]

المهنة	النسبة
موظفون ومهنيون وعمال	70 %
أعمال حرة	27.4 %
مزارعون	2.6 %

النشاط التجاري في الخمسينيات: [1]

(1) فهيمة زاهر، تاج الدين علي الضاوي: مجتمع توتي– وقد أخذت البيانات عن احصاء عمر بن البشير بن الحسن.

(2) فهيمة زاهر، تاج الدين علي الضاوي: مجتمع توتي– المعلومات ملخصة من الدراسة بتصرف.

(3) اللجنة التمهيدية لرابطة المهندسين بتوتي، مقترح أعدته اللجنة لتخطيط توتي – 29\3\2008م.

النوع	العدد	ملاحظات
الدكاكين	33	تتركز السلع على الأساسيات مثل الدقيق والصابون والزيت والسكر والشاي والمشروبات. وتتركز في الملجة.
خياط	20	يخيطون الملابس الرجالية، بأقمشة يشتريها أصحابها من الخرطوم.
جزارة	5	
سلخانات	2	
طواحين	1	
مخابز	2	
كمائن	5	يجلب الحطب من الخارج، والعمال من الخارج. وأما أصحابها فهم من توتي.

النشاط التجاري اليوم:

النوع	العدد	ملاحظات
خياط	10	قل الإعتماد على الخياطين (الترزية) لاعتماد الناس على الملابس الجاهزة التي تأتي من خارج البلاد.
جزارة	7	
طواحين	2	
مخابز	6	
صيدليات	5	
مكوجي	15	
أحذية	8	
خضار	13	
مكتبة عامة	4	مكتبة توتي، ومكتبة المسجد الكبير، ومكتبة مسجد التوحيد، ومكتبة مجمع توتي الإسلامي.
مطاعم وكوفيتريات	16	
مغالق	5	
حلاق	9	

(1) فهيمة زاهر، تاج الدين علي الضاوي: مجتمع توتي.

النوع	العدد	ملاحظات
حداد	10	
نجار	4	
خدمات سيارات	8	
بقالة وأشياء أخرى	103	بقالة – أواني – أدوات مكتبية – نجادة – غاز ..إلخ
المجموع	225	لم تحسب فيها الطبليات وما دونها.

المؤسسات الخدمية في الخمسينيات:

النوع	العدد	ملاحظات
مساجد	2	مسجد توتي العتيق، ومسجد الفقيه إدريس
نوادي	2	نادي توتي الثقافي، ونادي العمال
المراكز الصحية والعيادات	1	شفخانة توتي
الخلاوى ودور القرآن	3	خلوة المسجد الكبير، وخلوة الفقيه إدريس، ودار القرآن الكريم.
المدارس	2	مدرستا توتي الإبتدائيتان للبنين والبنات

المؤسسات الخدمية اليوم:

النوع	العدد	ملاحظات
مساجد	10	ثلاثة تحت الشييد
نوادي	5	النادي الثقافي والنادي الرياضي ونادي العمال ونادي التعاون ونادي الترسانة
المراكز الصحية والعيادات	3	مركزان صحيان وعيادة واحدة.
الخلاوى ودور القرآن	4	توجد خلوة بالمسجد الكبير وهي تعمل في الاجازات الصيفية فقط لتحفيظ طلاب المدارس الإبتدائية ولذلك لا يمكن اعتبارها.
المدارس	6	4 مدارس اساس، اثنان للبنين واثنان للبنات، ومدرستان ثانويتان واحدة للبنين وواحدة للبنات.
رياض الأطفال	6	

النوع	العدد	ملاحظات
نقطة شرطة	1	

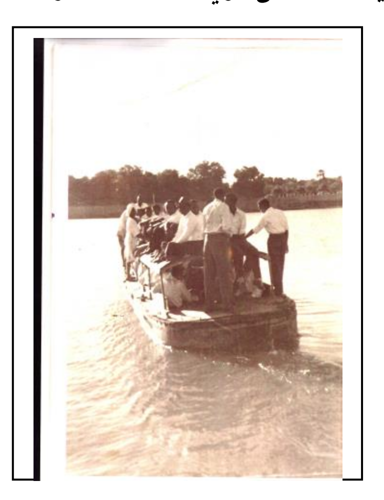
تأريخ تأسيس بعض المؤسسات بتوتي:

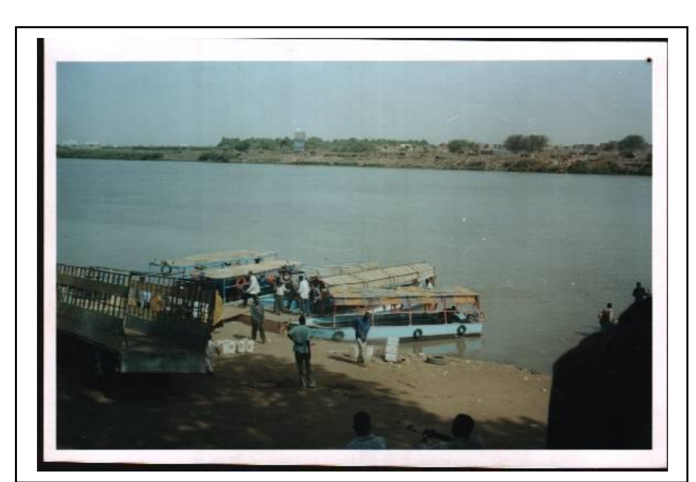
المؤسسة	تاريخ التأسيس	معلومات إضافية
خلوة الفقيه إدريس	العهد التركي	
شفخانة توتي – المركز الصحي	1935م	أسسها أهل توتي من مالهم الخاص
نادي توتي الثقافي الاجتماعي	1935	وكان قبل عام 1972م يسمى نادي النيل الرياضي.
نادي العمال	1955	كان في الستينات أكبر شعبية من نادي توتي الثقافي. بعكس اليوم.
دار القرآن الكريم	1955م	أنشئت بتصديق مفتش المركز البريطاني وكان قرار إنشائها مرتبطا بالحصول على تصديق من المفتش عند إلقاء المحاضرات على أن تسجل وترفع إليه.
نادي التعاون		
نادي توتي الرياضي		
نادي الترسانة		
مركز الأمل الصحي		يتبع لمجمع توتي الإسلامي
دار سكينة	1982م	يستخدم لدراسة النساء العلم الشرعي والقرآن الكريم.
فريق توتي	1916م	أسس على يد أبناء كلية غوردون، وظل يلعب في الدرجة الأولى حتى الستينات من القرن العشرين.
رابطة توتي		تتكون رابطة توتي عام 1994م من 18 فريقا.
الكشافة	1935م	

وأما خدمات الماء والكهرباء، فقد وصلت الكهرباء إلى توتي في عام 1966م، وشبكة المياه في مطلع السبعينات.

المواصلات

تعتبر مرحلة ما قبل الجسر مرحلة مهمة في حياة أهل توتي إذ كانوا يعتمدون على المواصلات النيلية التي بدأت بالمراكب الشراعية وكان يوجد بتوتي ثلاث مشاريع: مشرع أم درمان ومشرع الخرطوم ومشرع بحري. بعدها أدخل الرفاس في الأربعينيات. ويُعتبر مكاوي يس أول من جلب رفاسًا، وهو الرفاس الوحيد وموقعه مشرع الخرطوم. وأما البنطون فأدخل لتوتي عام (1957م) ويتبع للنقل النهري. وكان الناس يتنقلون بين البنطون والحلة بالباصات، حيث كانت توجد في أوائل الستينات 3 باصات تنقل الناس بين المعدية والمحطة، واحد تملكه شركة تعمير توتي واثنان خاصان يملكهما ود الملك والداير. وكانت المعدية من أهم أماكن الالتقاء اجتماعيا يتلاقى فيها سكان توتي كل يوم عند ذهابهم إلى العمل والمصالح الأخرى وعند عودتهم. وقد ذلل قيام جسر توتي على التواتة كثيرًا من الصعوبات التي كانوا يواجهونها قبل قيامه، حيث افتتح في مارس عام (2009م)، بطول 838 متر وعرض عشرين مترا إضافة إلى 1.5 متر على الجانبين للمشاة، وبتكلفة 16 مليون 316 ألف دولار ومدة تنفيذ استمرت خمس سنوات ، وقد ساعد في سهولة الحركة ودخول السيارات والبضائع إلى الجزيرة، وهو ما كان له أثر كبير في حياة أهل توتي الاجتماعية والاقتصادية.





صور لرفاس من الأربعينات وفلكات من التسعينات





صورة لباص شركة تعمير توتي واقفا في المحطة

التاريخ السكاني

أصل المحس

يتفق جميع المهتمين بتاريخ وأنساب المحس من أبناء القبيلة في الشمال والوسط على أن أصلهم أنصاري خزرجي[1] وأنهم اختلطوا مع النوبة وزاوجوهم مما أنتج محس اليوم. وهم بصورة عامة ينقسمون إلى أقسام:

1-أبناء أبي بن كعب الأنصاري الخزرجي رضي الله عنه[2]. وهؤلاء هم القسم الأكبر الذي يتفرع منه كل محس الوسط تقريبا ومنهم سكان جزيرة توتي.

2-أبناء جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه[3]. ومركز هؤلاء جزيرة بدين ومسيد ود عيسى، ويعرفون بالجوابرة (جبركي).

3- مجموعات عرقية وأجناس مختلفة من ترك ومجر ومغاربة ومماليك وغيرهم دخلت في المحس وزاوجتهم وعدت منهم.

وسنركز في حديثنا على القسم الأول لأن محس توتي ينتمون إليه.

---

(1) استفدنا ذلك من إفادات نسابي ومؤرخي جزيرة توتي (قيس إبراهيم أحمد علي – عبد الله شاهين – الطاهر محمد الطاهر –كمال أحمد البشير ..وغيرهم) ومن اتصلنا بهم من نسابي البشاقرة وكترانج والعيلفون، ومن الرحلات التي قمنا بها إلى مناطق المحس بشمال السودان ومقابلتنا لشيوخهم، ومن مقابلاتنا لأسرة آخر ملك من ملوك المحس، ومن زيارات وأسفار النسابة الطاهر محمد الطاهر إلى كثير من ولايات السودان تتبعا لأصول المحس وأنسابهم، ومن رسالة ماجستير عن السدارنة أعدها صاحبها بعد أن طاف جميع قرى المحس (السدارنة) بمنطقة الجزيرة والبطانة. وهذا أمر متواتر في كتب الأنساب والتاريخ وأشجار النسب التي بحوزة الأسر وعلماء الدين وشيوخ الطرق الصوفية ودار الوثائق.

والخزرج قبيلة عربية سكنت المدينة المنورة ونصرت النبي صلى الله عليه وسلم مع أختها الأوس، وجدهم هو الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن درا بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن عامر بن يشجب بن يعرب بن يقطن (قحطان) بن هود (عليه السلام) بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح (عليه السلام) بن لامك بن متشولخ بن إدريس (عليه السلام) بن يرد بن مهليل بن قينن بن أنوش بن شيث بن آدم أبي البشر عليه الصلاة والسلام.

(2) هو أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج. .كان من قراء الصحابة ومن كتاب الوحي، قال: سألني رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هي أعظم آية في كتاب الله، فقلت: آية الكرسي، فضرب رسول الله على صدري، وقال لي: ليهنئك العلم يا أبا المنذر. وروي أن رسول الله قال لأُبي بن كعب حين نزلت (لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا) إن الله أمرني أن أقرأ عليك (لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا) قال أبي: آلله سماني لك ؟ قال نعم الله سماك لي. فجعل أبي يبكي. توفي رضي الله عنه سنة 30 هجرية.

(3)هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة، صحابي جليل من الأنصار، قال: غزوت مع رسول اللَّهِ صلى اللَّهُ عليه وسلم سبع عشرة غزوة، لم أشهد بدرا ولا أحدا، منعني أبي، فلما قتل يوم أحد، لم أتخلف عن رسول اللَّهِ صلى اللَّهُ عليه وسلم في غزوة قط. توفي سنة أربع وسبعين، وقيل: سنة سبع وسبعين وعمره أربع وتسعون سنة.

دخولهم السودان

هنالك ثلاث روايات بلغتنا عن دخول أجداد المحس من الأنصار إلى السودان:

الأولى وتسندها روايات شفوية تقول أن عبادة بن أبي بن كعب رضي الله عنه كان ضمن جيش عبد الله بن أبي السرح[1] الذي غزا به بلاد النوبة، وأنه دخل السودان بعد اتفاقية البقط[2] وبقي فيها وأنسل قبيلة المحس المعروفة اليوم. ويسند هذه الدعوى أنه لا يوجد ذكر لعبادة بن أبي بن كعب في كتب التراجم والسير. فيكون على هذا الرأي السبب في ذلك أن عبادة هاجر إلى السودان وانقطعت أخباره عن أهله ولذلك نُسي ولم يترجم له أحد، كما هو شائع في مثل هذه الحالات، إذ العادة أن من يهجر ديار أهله وتنقطع أخباره ينساه الناس بعد مرور أجيال قليلة.

والرواية الثانية وتسندها روايات شفوية كذلك تقول إن الذين دخلوا السودان من أجداد المحس سبعة: ثلاثة بزوجاتهم —وهم أجداد محس الوسط، وأربعة تزوجوا من النوبيات —وهم أجداد محس الشمال. وتعزو هذه الرواية اختلاف اللغة بين محس الشمال والوسط إلى هذا، فتقول إن محس الشمال تعلموا اللغة النوبية من أمهاتهم وتكلموا بها بسبب البيئة النوبية التي يعيشون فيها مع احتفاظهم بمعرفة العربية، وتقول إن محس الوسط لا يعرفون النوبية لأن أجدادهم العرب أماً وأباً لم يبقوا في الشمال كثيرا ورحلوا إلى الوسط. غير أننا لم نعثر حتى تاريخ هذا الكتاب على من يدلنا على أسماء هؤلاء السبعة[3].

والرواية الثالثة تذكر أن أجداد المحس الأوائل قدموا إلى السودان سبعين ألفا. وقد ذكر ذلك في أكثر من مرجع. أهمها كتاب النسابة المحسي الصديق أحمد حضرة العونابي(1798-1918م): (شجرة بهجة الزمان المشتملة على أنساب الهاشمية والعربان)[4].

سبب تسمية المحس

ينسب مؤرخو القبيلة سبب تسميتها إلى محمد محسن بن الملك مرزوق[5] بن الملك سعد بن الملك جامع بن الملك حسن بن الملك أحمد بن الملك عامر بن عبد الكريم بن عبد الله بن يعقوب بن جابر بن

---

(1)صحابي جليل، أسلم ثم ارتد عن الإسلام، ثم أسلم بعد فتح مكة وحسن اسلامه. ولاه سيدنا عثمان بن عفان مصر، وكان أخاه من الرضاعة.

(2)معاهدة البقط هي معاهدة بين مملكة المقرة النوبية النصرانية –وعاصمتها دنقلا –ووالي سيدنا عثمان على مصر عبد الله بن أبي السرح بعد أن غزا بلاد النوبة عام 651م -31 هجرية، واستمرت نحو سبعمائة سنة، لذا تعتبر من أطول المعاهدات في التاريخ. ومما تنص عليه: (أن يدخل المسلمون بلاد النوبة مسافرين لا مقيمين، وأن يقام مسجد في دنقلا، وأن يرسل النوبة جزية سنوية إلى مصر).

(3) روى هذه الرواية غير واحد من محس الشمال والوسط عن أجداده، وأيضا من محس توتي ذكر ذلك النسابة إبراهيم (الكباشي) أحمد علي الشكرتابي السعدلابي وقد ذكر أسماءهم غير أن الأستاذ قيس إبراهيم أحمد علي الذي نقل لنا الرواية عنه قد نسيها.

(4) والكتاب عبارة عن مخطوطة بدار الوثائق السودانية وقد طبع جزء منه بعنوان: (العرب التاريخ والجذور).

(5) أكثر الروايات تذكر أن محمد محسن بن الملك سعد بإسقاط الملك مرزوق غير أن النسابة إبراهيم أحمد علي الشكرتابي أثبته في مخطوطاته وكذلك فعل النسابة الفقيه محمد نور السعدلابي، والفقيه إبراهيم صديق في تحقيقه لطبقات ود ضيف الله.

سعد بن موسى بن أويس بن جامع سكر بن سالم بن عبد الرحمن بن علي بن سليمان بن محمد بن زيد بن عمارة بن حارثة بن عبادة بن أبي بن كعب الأنصاري الخزرجي رضي الله عنه وأرضاه.

وهذا النسب المذكور يتواتر ذكره عند المحس في جميع مناطقهم المنتشرين فيها في الشمال وفي الوسط. يحفظه النسابون ويتوارثونه. كما أنه مذكور في كتاب (شجرة بهجة الزمان المشتملة على أنساب الهاشمية والعربان). والذي ترجع معارف مؤلفه إلى ما قبل مائتي عام من زماننا هذا. وأقدم وثيقة عثر على هذا النسب فيها هي وثيقة بخط الفقيه علي بن بساطي بن الشيخ احمد (أرباب العقائد) قائلاً فيها:

(عرفني عمي عبد القادر بن سليمان المكنى بأبي الكيلات ابن موسى الذي تأخر في عمره قال : تجمع جماهير وأكابر قبيلة المحس من العقلاء والعلماء والصالحين وهو حاضر معهم أمام حبر زمانه ولي الله الشيخ خوجلي بن الفقيه عبد الرحمن وذلك لجمع عام من كل الجهات وتذاكروا فيمن ينتمي إليه نسب المحس من العرب إن كان من قريش أو من الأنصار. فالبعض منهم ذكر أنهم من ذرية أبي بن كعب وهو جد المحس حقيقة غير انه ابن سعد بن تيم بن مرة القرشي. وآخرون قالوا علموه ممن نظر في كتب الدوائر الملكية في نسب الهاشمية أن نسب المحس يلتحق بالعقيل بن أبي طالب وذلك ضعيف غير انه قيل يلتحق به من جهة النساء اعني بناته. والبعض قال أن المحس من ذرية العباس وهم أبناء جبر العباسي. وقد تكلم ولي الله الشيخ خوجلي أن نسب المحس يلحق بصاحب الرسول صلى الله عليه وسلم أبي بن كعب بن عبد الله بن قيس الأنصاري الخزرجي من بني النجار وقد وافقه جميع أفاضل المحس من العلماء وأهل الصلاح وذكر جدود المحس الموجودين بالسودان وهم:

شريف[1] : جد المشيرفية أولاد فلاح الأربعة وغيرهم.

وكباني : جد المحس الكبانية.

سعد الله : جد السعدلاب والعجيماب.

عبودي : جد العبودية.

صارد : جد الصواردة.

سادر : جد السدارنة.

زايد : جد الزيادية بالغرب.

مزاد ابو شامة : جد الشامية بالضباينة والحمدلاب سكان العيلفون.

شعبان : جد الشعباناب – وهم أولاد عجم التسعة) [2].

ورغم أن مؤرخي القبيلة متفقون على أن أنها منتسبة في تسميتها إلى محمد محسن فإن بعضهم يرى أن كلمة محسن تحريف عن كلمة محس[1]. إذ لا يصح لغة النسب إلى محسن بمحسي.

---

(1) والمتوارث عندنا الآن أنه شرف الدين أو مشيرف.

(2) أ.د. عون الشريف قاسم – موسوعة القبائل والأنساب السودانية.

وأما عن معنى كلمة محس، فإنه في اللغة العربية يقال: محس الجلد إذا دبغه.

هذا ومن المهم الإشارة إلى أنه من المتفق عليه أن محمد محسن ليس جد القبيلة لأن أباه الملك مرزوق كان ملكا للقبيلة ولأنه ليس جد كثير من المحس المعروفة أنسابهم اليوم وإنما هم أبناء أعمام له كالمكناب من محس الوسط وأبناء الملك ناصر وحسن وحسين من محس الشمال. فلماذا نسبت القبيلة إليه؟ لا يعدو ذلك أحد سببين إما أنه كان رجلا ذا شأن فانتسبت القبيلة إليه، أو أن أحفاده كانوا ذوي شأن فانتسب الكل إليهم. وليس عندنا إلى الآن من العلم بهذا ما يقطع الظن باليقين.

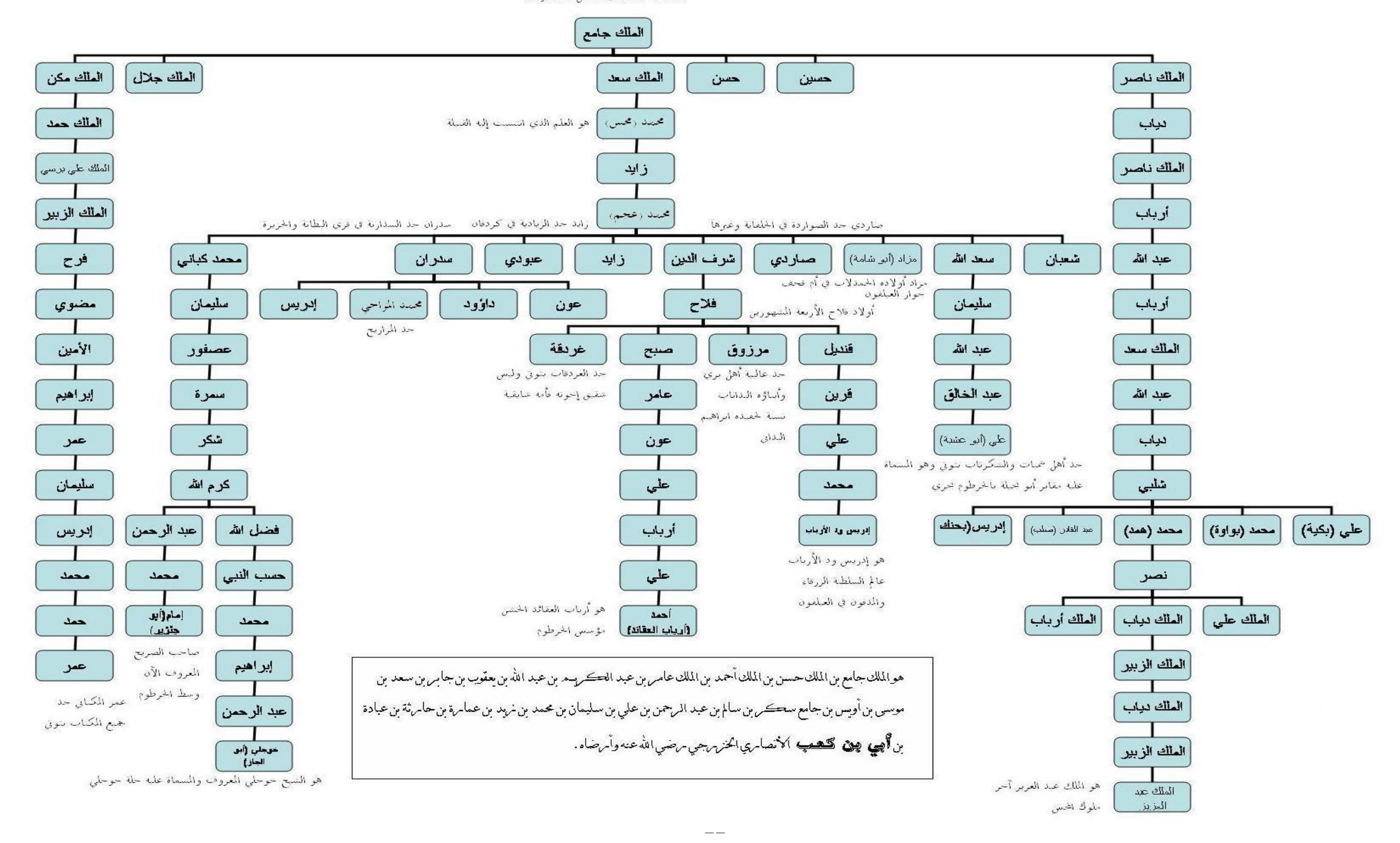
---

(1) ومنهم قيس إبراهيم أحمد علي.

بسم الله الرحمن الرحيم

أصول شجرة أنساب المحس الخزرج
أبناء أبي بن كعب

أعدها : محمد السيد حسن محمد أرباب



أول ذكر تاريخي للمحس

تذكر روايات المحس أن أجدادهم الأوائل قدموا إلى السودان من مصر واستوطنوا منطقة مراغة شمال دنقلا العرضي[1]. ثم رحلوا منها إلى منطقة سدلة جوار جبل سيسة وقيل إن ذلك كان نتيجة لهجمات قبائل الطوارق[2]. حيث أسسوا إمارة إسلامية ونصبوا جامع ملكا لها وأخاه سكر شيخا للإسلام. وقد استمر هذان المنصبان يتوارثهما أحفادهما.

قال البروفيسور علي عثمان محمد صالح أستاذ علم الآثار بجامعة الخرطوم:

(إننا نعرف أن أول إمارة إسلامية في السودان قامت في منطقة المحس في المنطقة المتاخمة لكوكّا إلى الشمال منها، في العام 866م في سدلة. وتعرف هذه الإمارة الإسلامية التي نشطت تحت حكم الملك المسيحي في عاصمة دنقلا، بإمارة السكراب. وقد تم الكشف عنها من خلال القباب والمقابر التي عثر عليها)[3].

ومملكة السكراب نسبة إلى جامع وأخيه سكر، وتقول بعض الروايات إن سكر لم يكن له أبناء ذكور بل أنجب بنات فقط، وأنجب جامع ذكورا فقط. فتزوج أبناء هذا من بنات هذا واشتهرت ذريتهما بلقب أبناء جامع سكر[4]. وهذا طبعا يتعارض مع ما ذكر من تقسيم توارث أبنائهما للسلطة الدينية والسياسية. لكن الذي يهمنا في هذه الرواية أننا نجد في الأنساب المتداولة حاليا لدى المحس (جامع سكر) كما أثبتناه في نسب (محمد محسن) الذي انتسبت إليه القبيلة.

والملاحظ هنا أن هذه الكشوف الأثرية تقوي جدا وتثبت صحة الأنساب التي يحفظها المحس اليوم لأن الحساب التاريخي لفترة وجود جامع وسكر بالإعتماد على عدد الأسماء في عمود النسب –لأن كل ثلاثة أنفس تعادل 100 عام كما ذكر ابن خلدون[5] في قاعدة تصحيح الأنساب– يطابق الفترة التي أثبتت الكشوف الأثرية وجود مملكة السكراب فيها.

ويظهر ذلك إذا أخذنا مثالا لنسب شخصية معروفة التاريخ، وكمثال نأخذ الشيخ أرباب العقائد الخشن المولود بتوتي عام 1609م والمتوفي عام 1691م، واسمه أحمد بن علي بن أرباب بن علي بن عون بن عامر بن صبح بن فلاح بن شرف الدين بن محمد (عجم) بن زايد بن محمد (محس) بن الملك

---

(1) أ.د. عون الشريف قاسم – موسوعة القبائل والأنساب السودانية.

(2) رواية شفوية لسليل أسرة ملوك المحس الباحث والمؤرخ للقبيلة محمد المقبول بن عثمان بن محمد علي بن الملك دياب بن الملك الزبير بن الملك دياب بن الملك نصر. وكذلك ورد ذلك في: (موسوعة القبائل والأنساب السودانية).

(3) أ.د. علي عثمان محمد صالح: دور الرحالة العرب والمسلمين في الكشوفات الأثرية في السودان؛ رحلة إيلياء شلبي لمنطقة المحس 1670- 1671م.

(4) هذه الرواية الشفوية تنتشر جدا في أوساط محس الشمال.

(5) مقدمة ابن خلدون.

سعد بن الملك جامع بن الملك حسن بن الملك أحمد بن الملك عامر بن عبد الكريم بن عبد الله بن يعقوب بن جابر بن سعد بن موسى بن أويس بن جامع سكر – فإننا نجد بينه وبين جامع سكر 23 اسما وهي تساوي 766 عاما تقريبا فإذا طرحناها من تاريخي ميلاد ووفاة أرباب العقائد وجدناه قد عاش بين عامي 843 م و 925م وهي مطابقة للفترة التي أثبت علم الآثار وجود جامع سكر فيها .

وهنا نضيف رواية رابعة لدخول أجداد المحس الأوائل إلى السودان إلى الروايات السابقة التي ذكرناها تقول إن جامع وسكر هما من جاء إلى بلاد النوبة ليكوّنا مملكة السكراب.

وقد امتدت مملكة أو إمارة المحس هذه إلى عام 1912م حيث ألغيت المملكة بصورة رسمية من قبل الانجليز حيث سمح الانجليز لآخر ملوك المحس بالتتويج وذلك لغرض التوثيق، وهو الملك عبد العزيز بن الملك الزبير بن الملك دياب بن الملك الزبير بن الملك دياب بن نصر ابن همد بن شلبي بن دياب ابن عبد الله بن الملك سعد بن أرباب بن عبد الله بن أرباب بن الملك الناصر بن دياب بن الملك الناصر بن الملك جامع بن الملك حسن بن الملك أحمد بن الملك عامر بن عبد الكريم بن عبد الله بن يعقوب بن جابر بن سعد بن موسى بن أويس بن جامع سكر. (1)

وتجدر الإشارة إلى خطاب العزاء الذي أرسله الفقيه محمد بن الخليفة الهادي والعمدة أحمد ود إبراهيم عمدة توتي معزين في وفاة الملك الزبير والد الملك عبد العزيز آخر ملوك المحس، وهذا نصه:(2)

(حضرة الأجلاء الفضلاء المحترمين المكرمين بكل [...] . الأكرم محمد علي بن الملك دياب وعبد العزيز ابن الملك زبير ودياب بن الملك زبير وكافة [...] أولاد الملك زبير والأجلّ الأكرم القاضي صالح محمد محمود وكافة من معهم من الأهل القاطنين بالبلد والمتفرقين بالنواحي جميعا حفظهم الله وتولانا وإياهم. آمين.

من بعد إهداء ما يليق بجنابكم الرفيع من جزيل السلام ووافرات التحيات والإكرام ثم نعلمكم أنه ورد لنا جواب من مدينة أم درمان باسم حامد زبير بموجب تلغراف ورد لي باسم عبد العزيز بن الملك زبير مقتضاه أن والده الملك زبير قد توفى على رحمة مولاه. فعظمت مصيبته على الأهل جميعا. فقمنا من جزيرة توتي بجمعنا وحضرنا بأم درمان بمحفل إقامة حامد زبير المذكور. فبحسب الحال من عِظَم المصيبة صرنا نتردد إلى محل الفراش لغاية يوم رفع الفاتحة. ومع ذلك نعترف بالتقصير في حق المفقود لأنه عظيم قبيلتنا هنا وهناك. وما لنا إلا أن نقول بلسان التفويض إلى الملك الفعّال لما يريد: إنا لله وإنا إليه راجعون. أجارنا الله وإياكم في فقده وعِظم مصابه، وألزمنا وإياكم جميل الصبر، وعظّم لنا وإياكم جزيل الأجر، وجعلنا من الصابرين لقضاء الله وقدره، وجبر الله كسرنا وكسركم فيه، وجعل البركة في عقبه

(1) عبد المجيد عبد القادر – مقال على النت، ومحمد المقبول عثمان محمد علي – رواية شفوية، ووثيقة نسب لملوك المحس استخرجت من الكتب خانة المصرية عام 1952م.

(2) وقد أخذت صورة من نص الخطاب من الأستاذ قيس إبراهيم أحمد علي الشكرتابي.

وذراريه، وأحيا الديار بساكنيها، ولا أعدمهم صنايع المعروف فيها. رحم الله المتوفى وغفر له واسكنه أعلى عليين. آمين آمين.

سنة 1330 هـ

الفقير إليه:

الهادي بن الخليفة محمد مضوي   العمدة أحمد إبراهيم علي عمدة توتي) أهـ

صورة لخطاب العزاء

وقد سافر على إثر ذلك وفد من أهل توتي برئاسة عبد الرحمن أحمد جميل الله إلى كُكَّة[1] عاصمة المحس وبايع ملك المحس عبد العزيز بن الزبير الذي كانت تأتيه وفود المحس من كل مكان للمبايعة[2].

وما انتهت مراسم التتويج في كُكّة حتى سافر الملك إلى الخرطوم ليتوج في جزيرة توتي ثم يعبر النيل عن طريق المراكب إلى مكان ما يعرف الآن بوزارة التربية والتعليم حيث ركب حصانه حتى بري المحس

(1) هذه هي الكتابة التي تعبر عن النطق الصحيح للكلمة، ولكنها كثيرا ما تكتب (كوكا) أو (كوكة).

(2) رواية شفوية عن سليل أسرة ملوك المحس الباحث والمؤرخ للقبيلة محمد المقبول بن عثمان بن محمد علي بن الملك دياب بن الملك الزبير بن الملك دياب بن الملك نصر.

لإكمال دورته لكل رعيته ثم بعد ذلك اصدر الحاكم العام الانجليزي مرسوما بإلغاء مملكة المحس بصفه رسمية بعد أن كانت منتهية فعليا[1].

وأقدم ذكر عدا ما ذكرناه لوجود المحس الخزرج في السودان وجدناه في كتاب: العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية –وهي دولة نشأت في اليمن–لمؤلفه علي بن الحسين الخزرجي اليمني (ت: 812 هـ) حيث ذكر في أحداث سنة (751هـ) ما نصه:

(وفي هذه السنة توفي الفقيه البارع أبو الحسن علي بن نوح الأبوي بضم الهمزة وفتح الباء وكسر الواو نسبة إلى أبي بن كعب الأنصاري الصحابي. وكان فقيهاً فاضلاً بارعاً حنفي المذهب نقالاً للحديث حافظاً لمعانيه. وكان ينقل الهداية عن ظهر الغيب واصل بلاده بلاد السودان مما وراء البحر. وكان أول وقوفه في قرية السلامة عند الفقيه أبي بكر الزيلعي المذكور أولاً ثم دخل زبيد فاستمر مدرساً في المنصورية الحنفية في زبيد. فأَخذ عليه جمع كثير وكان مشهوراً بالفقه والصلاح وكان وفاته في أثناء السنة المذكورة رحمه الله تعالى).

ولا يعرف في بلاد السودان مما وراء البحر –وهي صفة بالنسبة لمن هو كائن باليمن حيث أن السودان بالنسبة لهم وراء البحر الأحمر– من ينتمي لأبي بن كعب غير المحس.

وهذه الإشارة إلى علي بن نوح بنسبة الأُبَوِي بدل المحسي ليست بغريبة لأن المحس كما ذكرنا ينتسبون في تسميتهم لمحمد محسن الذي تقدر فترة حياته في القرن السابع الهجري أي أن الفقيه علي بن نوح إما أن يكون قد عاصر محمد محسن أو أن يكون بعده بجيل أو جيلين ولهذا فإنه من الطبيعي أن لا تكون القبيلة في ذلك الوقت قد عرفت أو عرف جميعها بعبارة المحس. ولعل كلمة (الأُبَوِي) هي ما كان يطلق على (المِحَسي) قبل محمد محسن. أو قد يكون المِحَسي قبلها كان يسمى (سُكّرابي) ولكن ذُكرت كلمة الأبوي للتعريف بالفقيه علي بن نوح لأنه كان في اليمن حيث أبي بن كعب أشهر من السكراب. وقد يكون غير ذلك.

هذا وللفقيه علي بن نوح الأبوي قبر معروف يزار إلى يومنا في زبيد باليمن.

هجرة المحس إلى توتي

هاجر قسم من المحس من شمال السودان –من منطقة تسمى (قامى– بإمالة الألف اللينة)، وتلفظ أحيانا (قاميك) أو (قاميق) بإمالة الياء نحو الألف– وهي منطقة تقع شمال سدلة (العاصمة التاريخية للمحس) وجنوب جبل سيسة (مركز تتويج ملوك المحس) بناحية غرب النيل –هاجروا إلى توتي

(1) عبد المجيد عبد القادر – مقال على النت، ومحمد المقبول عثمان محمد علي – رواية شفوية، ووثيقة نسب لملوك المحس استخرجت من الكتب خانة المصرية عام 1952م.

ومنها انتشروا في جميع وسط السودان. وقد تركوا (قامى) بعدهم أطلالا بقيت على ذلك لقرون لا يسكنها ابناء أعمامهم من المحس أملا في عودتهم[1]. وما زالت آثارهم فيها باقية حتى اليوم.



صورة من آثار قامي – (سجن سايرين).

قال أبو عامر الكنزي[2]:

قفا نبك من ذكرى قريب محبب	بقاميق رسم بين كُكّا وسيسب
ديار عفت في غابر الدهر رسمها	أولئك أخوالي ومن جهة الأب
إلى توتي الغراء حطوا رحالهم	بمجد أثيل عبر فلك ومركب
فَذِي طينةٌ جدي بها حمدٌ كذ	لك أزرق توتي نال أسمى المراتب
ولا تنس شيخا قد أفاض عليهما	بعلم وآداب لرغبة طالب
ولكنما السُّني نال تفضلا	فناظر أربابا وليس بغالب
فذلك فقه محكم من خليلهم	وقوة حكم ليس بالمتعصب[3]
وإدريس أرباب حليلة شوحطت	فمسقط رأس الشيخ يا صاح فاكتب[4]
أولائك آبائي فجئني بمثلهم	إذا ما اجتمعنا عند خِلٍّ وصاحب

(1) هذه المعلومة معروفة ومنتشرة جدا في أوساط محس الشمال – خصوصا سكان سدلة المجاورة لقامى.

(2) هو الطاهر بن محمد بن الطاهر الكنزي، نسابة وشاعر مجيد، وكان ضمن وفدنا الذي زار مناطق المحس بالشمال لدراسة التاريخ والأنساب. وتجد تفاصيل هذه الزيارة في ملحق هذا الكتاب.

(3) يشير إلى قصة الشيخ حمد ود أم مريوم مع أرباب العقائد لما ناقشه في ترك الصلاة على تاركي الصلاة وهو الحكم الذي نص عليه الشيخ خليل في مختصره. وستأتي لاحقا.

(4) يشير إلى الشيخ إدريس ود الأرباب المدفون في العيلفون، والمعروف أن قبر والديه في الحليلة شوحطت وهي الآن جزء من شمبات.

ولما وصل المهاجرون إلى جزيرة توتي وجدوها خالية إلا من بعض الفتيحاب الجموعية الذين كانوا يقيمون بها ويزرعون جروفها[1] ، فاستقروا بها وزرعوها وجعلوها منارة للعلم الديني. وقد ربطتهم مع الجموعية علاقات حسن جوار وتصاهر[2] واحترام بسبب مكانة المحس العلمية. وسرعان ما صُهر الجموعية المقيمون بمنطقة إلتقاء النيلين في المحسية بسبب الخلوة والتدريس. [3] ومما ساعد المحس على السيطرة على الأراضي الزراعية أن الجموعية كانوا أهل مرعى ولم يكونوا أهل زراعة.

وهنالك عدة آراء حول تاريخ هجرة المحس من الشمال إلى جزيرة توتي:

(1) أنهم هاجروا قبل ستة قرون إلى سبعة أي في القرن الرابع عشر أو الثالث عشر الميلادي وجزم بعضهم بأن ذلك كان عام (800 هـ الموافق 1398م)[4]. وذلك لأن جميع محس توتي هم أبناء أربعة من تسعة إخوة هم أبناء محمد (عجم) بن زايد بن محمد (محس). فإذا افترضنا نتيجة لذلك أن الذين هاجروا إلى وسط السودان هم هؤلاء الإخوة وحدهم أو بصحبة أبيهم فإن علينا أن نحدد الفترة التاريخية لحياتهم لنحدد تاريخ الهجرة. وبحساب عمود نسب أرباب العقائد المذكور سابقا كمثال بنفس الطريقة السابقة سنجد أن محمد (عجم) قد عاش في القرن الرابع عشر الميلادي[5].

(2) أنهم قد هاجروا قبل ما يقدر بثمانية قرون أي في القرن الثالث عشر الميلادي. وذلك لأن محمد (محس) على حسب ما بلغنا من علم الأنساب أنجب ابنا واحدا هو زايد الذي أنجب ابنا واحدا هو محمد (عجم). ولذلك يمكن الإفتراض بأن محمد (محس) هو من هاجر إلى الوسط. لأن أكثر أحفاده هم محس الوسط دون بقية المحس. وبما أنه قد عاش في القرن الثالث عشر الميلادي. فيكون ذلك هو تاريخ الهجرة[6].

(3) أنهم قد هاجروا في القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي، بل وتحديدا عام (1480م الموافق 885هـ) ، كما ذكر ذلك المؤرخ (أنتوني آركل). يدعم ذلك الإستقراء التاريخي وذلك لأنه توجد في الشمال ستة مناطق مسماة على أبناء محمد(عجم) وأحفاده القريبين وهي: (كبان وعبود وسعد الله ومشيرفة وصواردة وقنديل، إضافة إلى قبة باسم مرزوق في منطقة مشيرفة)، ولذلك فإن المرجح أن تكون

---

(1) ومن سواقي الفتيحاب الجموعية القديمة بتوتي الملك المهوسك وقصة والعسيلي وأولاد فتلوب.

(2) خذ مثالا على ذلك صاحب هذا الكتاب: محمد بن آسيا بن حليمة السعدية بنت عبد الرحمن بن أحمد بن جميل الله بن البدري بن ضحية بنت محمد بن حامد بن الملك الأحيمر بن أحمد قرجاج بن حامد بن إبراهيم فتاحة بن منصور بن جمّوع. والطاهر بن محمد بن الطاهر بن رقية بنت محمد بن الشيخ إدريس بن جاز بنت مكونة بنت الملك الإحيمر. والتعليق عن الطاهر.

(3) تاريخ مدينة الخرطوم – د. أحمد أحمد سيد أحمد.

(4) روايات الشيخ إبراهيم صديق وعبد الرحمن أحمد جميل الله الشكرتابي وأحمد علي الأحمر الشكرتابي السعدلابي رواها عنهم د.أحمد أحمد سيد أحمد في كتابه تاريخ مدينة الخرطوم وقد أجرى المقابلة معهم عام (1958م).

(5) من أشهر أصحاب هذا الرأي النسابة عبد الله بن شاهين الشكرتابي السعدلابي المحسي.

(6) من أصحاب هذا الرأي الأستاذ قيس إبراهيم أحمد علي الشكرتابي السعدلابي المحسي.

الهجرة حدثت بعد عدة أجيال من فترة وجوده التاريخية. يدعم ذلك أن التفريع بصورة كاملة في شجرة النسب المتوارثة عند محس توتي يبدأ من جيل عاش في آخر القرن الخامس عشر الميلادي[1]. فإذا استصحبنا أن المعروف أن الشيخ إدريس ود الأرباب عالم الدولة السنارية المقيم في العيلفون (المولود سنة 913هـ -1507م) عندما توفي ابنه عركي بوباء الجدري وكان ابنه الوحيد (الأكبر)، وجاءه الناس للتعزية فيه، قال: (ناس الوجعة ما جوا) حتى جاء محس جزيرة توتي فبكى معهم[2]. دل ذلك على أن المحس قد سكنوا توتي قبل ذلك التاريخ، ولو افترضنا موت عركي عن ثلاثين عاما وزدنا عليها ثلاثين افتراضا أنها السن التي تزوج فيها والده كانت الوفاة عام 1567م. فيكون التاريخ الصحيح للهجرة بعد 1450م تقريبا وقبل عام 1567م بزمان. فإذا أضفنا إلى ذلك أن مسجد توتي العتيق قد بني في عهد علي بن طاع الله (الغردقابي) [3] وكان أول إمام له ابنه الفقيه موسى بن علي بن طاع الله[4]، وعلمنا أن تقدير تاريخ حياته – اعتمادا على عد الأسماء – أوائل القرن السادس عشر الميلادي، مع أن المتوقع أن يكون بناء المسجد من أول ما فعله الناس بعد استقرارهم، ناسب ذلك جدا التاريخ المذكور وهو عام 1480م[5].

(4) أن الذي حدث هو هجرتان، الأولى قبل ما يقدر بتسعة إلى عشرة قرون والثانية قبل خمسة قرون. ويستند هذا الرأي في قوله بالهجرة الأولى على أن محمد (محس) هو ابن الملك مرزوق بن الملك سعد بن الملك جامع. وأن للملك جامع ستة أبناء هم: الملك ناصر والملك جلال وحسن وحسين والملك سعد والملك مكن[6] (والذين تقدر حياتهم في أوائل القرن العاشر الميلادي). وأن محس الشمال اليوم يعدّون أنفسهم ذرية الأربعة الأوائل ولا يعرفون الأخيرين، بينما ينسب جميع محس الوسط أنفسهم إلى الأخيرين. فلعل السبب أن يكون هجرتهما إلى الوسط. يدعم ذلك كلام الرحالة والبحث الأثري الذي أثبت وجود

---

(1) ويمكن حصر الأشخاص المتعاصرين المقدر أنهم من هاجروا إلى توتي في 13 شخصا هم أجداد جميع أهل توتي اليوم، وهم: إبراهيم ولد أبو ملاح الكباني (جد الشيخ خوجلي) – إمام بن محمد الكباني المشهور بأبي جنزير – علي ود طاع الله الغردقابي وابنه موسى – سليمان بن أحمد (أبوموسى) الغردقابي – عمر بن حمد المكنابي– علي بن أرباب (والد أرباب العقائد) الصبحابي– الحاج إدريس بن عبد الدائم الصبحابي – عبد الكريم بن عبد الكبير المرزوقابي – منوفلي بن علي السعدلابي – شكرته بن سليمان السعدلابي – صديق بن علي السعدلابي – ضو البيت بن علي العبودي – الأمين بن أحمد العبودي. مع ملاحظة معاصرة الشيخ إدريس ود الأرباب لهؤلاء ومعروف أنه هاجر هو أو والداه إلى وسط السودان. وبهذا تصدق القصة المروية عن موسى (الضيق) بن سليمان بن موسى بن علي ود طاع الله الغردقابي بأن أهل توتي أصبحوا في عهده يملأون المركب ولذلك أمرهم بأداء صلاة الجمعة في توتي بعد أن كانوا يؤدونها في الصبابي وستأتي لاحقا. وستجد جميع هؤلاء المذكورين مع ذرياتهم في باب أنساب التواتة.

(2) طبقات ود ضيف الله.

(3) بن أحمد (علبك) بن محمد (مقيود) بن غردقة بن فلاح بن شرف الدين بن محمد (عجم) بن زايد بن محمد (محس).

(4) رواية شفوية من النسابة عبد الله شاهين الشكرتابي.

(5) ومن أصحاب هذا الرأي المؤلف: محمد السيد حسن أرباب الغردقابي المشيرفي المحسي – وقد رجح صاحب كتاب تاريخ مدينة الخرطوم د.أحمد أحمد سيد أحمد أن الهجرة قد وقعت في النصف الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي وهو ما يناسب التاريخ المذكور.

(6) وقيل مكين.

عرب ومسلمين في منطقة الوسط قبل ما يقدر بألف عام[1]. وكذلك الروايات التي تذكر أنه قد وجد قبر في مقابر أبي نجيلة –وهي مدافن أهل توتي في ضفة بحري –يعود تاريخه إلى عام (550هـ).[2]

وأما الهجرة الثانية على هذا الرأي فتدعمها نفس الأدلة الواردة في الرأي الثالث[3].

وأما سبب الهجرة من قامي فقد يكون:

(1) نشر الدين الإسلامي وعلومه، إذ أن البلاد في ذلك الوقت كانت في صراع بين النصرانية الآخذة في الإضمحلال والإسلام الذي دعمته هجرات القبائل العربية المسلمة. وذلك في عهد الدولة المسيحية وربما كان ذلك –على أقل قول–في نهاياته.

(2) وهنالك روايات شفوية عند محس الشمال تذكر أن أهل قامى هاجروا منها بسبب أفاع نفثت السم في إناء الطبخ يوم وليمة عامة فأدى ذلك إلى تفشي الموت فيهم ورحل البقية[4].

(3) ويرى بعض المؤرخين أن أسباب هجرة المحس لوطنهم الأصلي:

1–فقر وطنهم الأصلي.

2–غارات بدو الصحراء الغربية.

3–مزاحمة بعض القبائل المغربية لهم. [5]

ويقال إن معنى كلمة (قامى): قاموا وأن السبب في تسميتها هجرة أهلها منها. ويقال بل هذا خلط مع العربية وأن معنى الإسم في اللغة النوبية: (المكان المرتفع)[6] ،وهي مكان مرتفع فعلا[7].

وأما سبب اختيار المحس المهاجرين لجزيرة توتي كموطن جديد فالمرجح أنه سببان:

1–تشابه طبيعة الأرض مع موطنهم الأصلي.

2–أن الجزيرة تشكل حماية طبيعية من السباع– والملاحظ هنا أن الخرطوم كانت غابة. وهي كذلك حصن جيد في حالات الحروب.

وعند وصول المحس إلى منطقة الإلتقاء نزلوا أول ما نزلوا في نقطة شمبات، ولم يلبثوا أن تقدموا بحذاء الضفة الشرقية للنيل حتى وصلوا تجاه جزيرة توتي، فعبر فرع منهم الأزرق إلى الجزيرة، وساعدهم على ذلك أن مجراه في تلك المنطقة يضيق لدرجة كبيرة وقت التحاريق.[1]

---

(1) الرحالة ابن حوقل ود. جعفر ميرغني – مدير معهد حضارة السوادن.

(2) تاريخ مدينة الخرطوم نقلا عن طبقات ود ضيف الله وسهم الأرحام .

(3) ومن أصحاب هذا الرأي القائل بالهجرتين الباحث في تاريخ توتي والمحس: كمال أحمد البشير الكباني المحسي.

(4) هذه الرواية منتشرة جدا في أوساط محس الشمال يذكرها الصغير والكبير.

(5) كتاب تاريخ مدينة الخرطوم نقلا عن بروكهارت.

(6) روى لنا هذا المعنى شفويا الحارث عبد الرازق من محس الشمال وهو باحث متعمق في بحث معاني مناطق المحس باللغة النوبية.

(7) وقد شاهد المؤلف: محمد السيد أرباب ذلك بنفسه لما ذهب مع وفد توتي لاستقصاء تاريخ المحس وهجرتهم إلى توتي عام 2008م. وتجد تفاصيل زيارة الوفد في الملحق.

ويقال إن المحس نزلوا أولا في خور شمبات جوار وادي سيدنا في أم درمان ثم انتقل بعضهم إلى شمبات وبعضهم إلى توتي وقد وجدوها غابات فقطعوا أسافل فروع الشجر فسموا المحس (الدَّكّامة) لأنهم دَكَموا الشجر وزرعوا تحته. [2]

هل محس توتي عرب أم نوبة؟

هذا سؤال ذو شقين، شق يتعلق بالأنساب وشق يتعلق بالثقافة.

أما الأنساب فقد ذكرنا سابقا أن أهل توتي أبناء محمد (عجم) بن زايد بن محمد (محسن أو محس) الذي ينتهي نسبه إلى أبي بن كعب الأنصاري الخزرجي رضي الله تعالى عنه. وبهذا فإنهم على حسب موروثهم الشفوي عرب، يتواتر ذكر ذلك عند جميع محس الوسط في قراهم ومناطقهم المختلفة، وكذلك يتواتر ذلك عند مشايخ وزعماء وبيت ملك القبيلة عند محس الشمال. وقد أكدت الكشوف الأثرية رواياتهم هذه كما أشرنا إلى ذلك سابقا[3]، وأيضا فقد أكد صدق هذه الأنساب العربية فحص الجينات الوراثية الذكرية (DNA) الذي أثبت أن المحس من الجينات العربية وراثيا على حسب النسب الأبوي[4].

وأما ما يتعلق بالثقافة فإن المحس متفقون على أنهم عرب اختلطوا بالنوبة وزاوجوهم، وعاشوا في بيئتهم قرونا، وهذا بالطبع يستتبع تطبعهم بالثقافة النوبية، و من أهم عناصر الثقافة بلا شك اللغة، وقد أشرنا إلى أنهم عرفوا النوبية وتكلموها. وهناك الكثير من العادات التراثية المرتبطة بالثقافة النوبية ما زالت موجودة، كبعض العادات التي تصاحب الزواج والختان.

ولكن هل كانت الثقافة النوبية عند المحس على حساب الثقافة العربية؟ المؤكد أن المحس حافظوا على دينهم بل وأدخلوا من خالطهم من النوبة فيه، والدين من أهم عناصر الثقافة إن لم يكن أهمها على الإطلاق. والمعروف عن المحس لا سيما محس الوسط ومركزهم أهل توتي أن حرفتهم الأساسية عبر التاريخ كانت التعليم الديني، وقد برّز منهم أشهر العلماء في السودان، لا سيما في عهد دولة الفونج، وهي المملكة الإسلامية الأولى في البلاد، وتعترف كتب التاريخ بأن ملوك الفونج اعتمدوا عليهم كثيرا في هذه المهمة. وهذا الأمر –أمر الإهتمام بالعلم الديني والبروز فيه –ما زال من السمات المميزة للمحس وأهل توتي خاصة إلى اليوم. وهذا مشاهد. كما أنهم ما زالوا عبر العصور يعتمدون الزي العربي كملبس. وهذه أيضا علامة ثقافية.

---

(1) تاريخ مدينة الخرطوم- د. أحمد أحمد سيد أحمد.

(2) رواية شفوية من الشيخ عبد الوهاب أحمد المدني السعدلابي المحسي.

(3) راجع فصل (أول ذكر تاريخي للمحس).

(4) فحص لهذا الأمر إلى تاريخ كتابة هذه السطور 1 من المحس أبناء أبي بن كعب (فرع الحضراب) و 2 من أبناء جابر بن عبد الله الأنصاري –سكان بدين- وقد جاءت نتيجتهم جميعا على السلالة (J1) العربية.

وما يمكننا الخلوص إليه من هذا العرض بصورة عامة أن المحس حافظوا على ثقافتهم العربية مع أخذهم من الثقافة النوبية.

لغة أهل توتي الأصلية

قد ذكرنا أن المحس قدموا من الجزيرة العربية عن طريق مصر واستوطنوا شمال السودان أولا، وذلك لعدة قرون. ثم هاجروا إلى توتي والوسط، فما كانت لغتهم الأولى التي قدموا بها إلى توتي؟ هناك ثلاثة احتمالات:

1-أنهم لم يتكلموا النوبية أبدا قبل الهجرة بل حافظوا على العربية وهاجروا إلى الوسط بها، وتعلم من بقي منهم في الشمال النوبية بعد ذلك.

2-أنهم تكلموا النوبية وفقدوا العربية في فترة وجودهم في الشمال، ومن ثم تعلموا العربية مرة أخرى لما هاجروا إلى توتي.

3-أنهم تكلموا النوبية إلى جانب العربية في الشمال، ومن ثم فقدوا النوبية بعد الهجرة إلى توتي لعدم الحاجة إليها.

أما الخيار الأول فيبدوا مستبعدا. لماذا؟ لأن المحس لما هاجروا إلى السودان كانت البيئة نوبية بالكامل من حيث السكان ولغة الحاكم، ومعروف أن اللغة إن كانت لغة الحاكم ويتكلمها مكون أصلي من السكان سادت على الكل، فما بالك بأنها لغة الغالبية الساحقة، وذلك لأن هجرات العرب الكبيرة إلى السودان كقبائل مثل ربيعة وجهينة والمجموعة الجعلية الكبرى كانت في القرن الثامن للهجرة الرابع عشر للميلاد، أي بعد المحس بعدة قرون.

إذا فقد بقي لدينا خياران، مبنيان على أن أهل توتي وصلوا إليها وهم يعرفون النوبية، ولكن هل كان ذلك مع العربية أم أنهم تعلموها لاحقا.

فإذا افترضنا أنهم لم يكونوا يعرفون العربية، فممن تعلموها ولم؟ والملاحظ هنا أن الهجرة إلى توتي كانت قبل دولة الفونج العربية، ولم يكن في منطقة توتي أو الخرطوم مكون سكاني كبير، إلا بعض الجموعية الساكنين الفتيحاب بأم درمان. إذا يمكن القول أوليا أن التواتة لم يكونوا محتاجين لتعلم العربية من أجل التواصل مع الدولة والمجتمع.

وهناك نقطة أخرى مهمة، وهي المسميات للأحياء والمناطق، التي هي عادة أول ما يفعله الساكن الجديد، وبديهي أن تكون هذه المسميات بلغته، فان كان التواتة لا يعرفون العربية وقتها فمن المتوقع أن تكون أسماء أكثر المناطق باللغة النوبية. والملاحظ هنا أن جميع تسميات المناطق في توتي عربية، إلا ثلاثة مناطق يجري حول أصلها الخلاف: وهي هليس، وبرقان، وكلمة توتي نفسها. أما هليس فلم نجدها في النوبية، وأقرب كلمة إليها على حسب بحثنا واستقصائنا ممن يعرفون النوبية، كلمة "ألس"

وهو حبل الساقية الذي تربط به الدلاء. وكلمة ألس معروفة عند أهل توتي بنفس معناها، ولهذا فإنه يبعد تماما أن تكون هليس تحريفا عنها. وكذلك برقان، لم نجدها في النوبية وأقرب كلمة إليها " فرقى" أو "برقى" بإمالة الألف اللينة، ومعناها الشَّيْمة أو مكان الهدام.

وبعد البحث والتقصي اتضح أن كلمة "هليس" – وهو اسم شارع غرب حي الشكرتاب– أصلها اسم لسيدة بريطانية تسمى "Alice's"، كانت تملك الساقية المجاورة للشارع[1] وهي الساقية 60، وكان الناس ينطقونها "هليس" لثقل اللسان الأعجمي عليهم، فتسمى الشارع عليها[2]، وعلى هذا فتسمية "هليس" جديدة تعود إلى زمان حكم الإنجليز، وليس لها علاقة بموضوعنا.

أما كلمة برقان فقد اتضح أنها كلمة عربية موجودة في قواميس اللغة ومفردها أبرق، وتطلق على ذي اللونين، كمنطقة بها تراب بلونين مختلفين أو تراب وحجر. ومعروف عندنا في العربية العامية السودانية "ود أبرق" وهو طائر صغير ذو لونين بني ورمادي، وكذلك البقرة "البرقاء" هي البقرة ذات اللونين. و"برقان" في الفصيح والدارجة جمع "أبرق" [3].

وأما كلمة توتي فسنترك الحديث عنها إلى المبحث التالي إن شاء الله.

وبهذا يمكن بصورة عامة أن نستنتج أن أهل توتي على أقل تقدير لم يكونوا يستخدمون اللغة النوبية وحدها، لأن التسميات كلها عربية، وبما أننا استبعدنا سابقا أن يكونوا لا يعرفون النوبية، فيمكن أن نصل إلى خلاصة عامة تقول إن أهل توتي عند وصولهم إليها كانوا يتحدثون العربية ويعرفون النوبية.

تسمية توتي

معني كلمة توتي من أكثر ما شغل أهلها اليوم، ورغم ذلك فليس هنالك قول فصل في معناها.

(1) والمعنى الذي يجد شعبية فيها هو أنها مأخوذة من قوله تعالى: (تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها) مع تسهيل الهمزة، كما في بعض قراءات القرآن، وهذا المعنى يجد شعبيته الأساسية مما يعتز به أهل توتي من أنهم عرب.

(2) وقد اشتهر اجتهاد من بعض أبناء توتي اليوم في البحث عن معني كلمة توتي بأن أصلها (تون تي) ومعناها كرش البقرة باللغة النوبية المحسية — تون: كرش وتي: البقرة– وذلك لأن جزيرة توتي هلالية الشكل بما يشبه كرش البقرة، ويفترض هؤلاء أن النون اختزلت بطول الزمان وترْك أهل المنطقة اللغة النوبية لصالح العربية.[4]

---

(1) والشارع هو الساقية 61 وقد أخرجه الفقيه المدني أحمد عجيمي وقفا من أرضه.

(2) رواية شفوية من الشيخ عبد الوهاب أحمد المدني السعدلابي المحسي.

(3) راجع قواميس اللغة الفصيحة كلسان العرب وقواميس الدارجة كقاموس اللهجة العامية في السودان لعون الشريف قاسم.

(4) كتاب تطور التعليم في جزيرة توتي.

(3) والملاحظ أن كثيرا جدا من الجزر في الشمال تنتهي بالمقطع (تي) مثل: جزيرة سلنارتي ونارنارتي، وكلمة (توتي) تنتهي بنفس المقطع، والاستنتاج الطبيعي المتوقع أن هذا ليس صدفة، فسألنا محس الشمال عن معنى المقطع (تي) فقالوا: معناه جزيرة! إذا فلم يبق إلا معنى كلمة (تو) ولم نجد أحدا حتى الآن يعرف لها معنى.

وبعد التمحيص تبيّن أن كلمة (تي) تعني جزيرة بلغة الدناقلة، ثم تبين أن كلمة جزيرة في نوبية المحس هي (آرتي) كما في اسمي جزر بولينارتي وصواردة نارتي. كما أن كلمة (تي) عند القبط أيضا تعني نفس المعنى.

(4) وهناك من يرى أن كلمة توتي أصلها (تَتِّي) بتاء مفتوحة وأخرى مشددة مع كسر وياء تلفظ أقرب إلى الكسر. وذكر في معناها أنها: ساعة شمسية يتم بها حفظ الزمن لتبادل الأدوار في العمل على الساقية، ويسند دعواه هذه بأن المحس جاءوا إلى المنطقة بثقافة الساقية وأن كلمة (أسكلا) وهي المنطقة المعروفة المقابلة لبر توتي من جهة الخرطوم معناها الساقية بنوبية المحس. (1)

والطريف أننا لما سألنا بعض محس الشمال عن معنى: (تون تي) قال إن معناها البقرة التي تدير الساقية من الداخل(2)، وذلك أن الساقية تديرها بقرتان واحدة من الداخل وواحدة من الخارج كما هو معلوم. وبهذا يكون الاجتهاد الذي ذكرناه أولا قد عاد ليرتبط أيضا بثقافة الساقية!

(5) ومن المحتمل أيضا أن تكون كلمة (توتي) مأخوذة من شهر (توت) وهو أحد الشهور القبطية التي يعتمدها النوبة كتقويم للمواسم الزراعية وهو شهر الفيضان واخضرار الأرض.

ويقوي هذا الإفتراض أن كلمة (توتي) في وثائق أبناء الشيخ خوجلي الموجودة بدار الوثائق تكتب عادة (توت) من غير ياء في آخرها ومن غير ضبط بالشكل. فإذا أضيف إلي ذلك أن للشيخ أرباب العقائد أخا اسمه محمد (بابه)، وأن ابنا لعمر جد المكناب الساكنين بتوتي يسمى: علي (مسرة)، وهما شخصان متعاصران تقريبا، ومن جيل قريب من زمان الهجرة (على الرأي بأنها كانت عام 1480م)، وعلمنا أن اسمي (بابه) و (مِسْرَة) يطابقان أسماء شهرين أيضا من الشهور القبطية كان هذا داعما كبيرا لهذا الافتراض. وربما كانت التسمية في الأصل (توت تي) أي جزيرة توت(3).

ويمكن طبعا أن يكون حذف الياء آخر كلمة (توتي) في وثائق أبناء الشيخ خوجلي بسبب نظام كتابة الخلوة الذي يعتمد الرسم العثماني ويهمل حروف المد في كثير من الأحيان.

جدول التقويم الزراعي في بلاد النوبة

الشهر القبطي	الشهور الإفرنجية	المحاصيل الزراعية

(1) وهذا الرأي لمحمد المقبول عثمان محمد علي.

(2) وهو الحارث عبد الرازق إبراهيم.

(3) وهذا الافتراض هو من رأي المؤلف: محمد السيد أرباب.

توت	9|27 – 8|29	ارتفاع النيل واخضرار الأرض واستواء الرطب
بابه	10|27 – 9|28	ينضج البلح ويزرع القمح والشعير والشوفان القرطم والسلحم والفول المصري والبرسيم
هاتور	11|26 -10|28	نضج البقوليات وحصد قصب السكر
كيهك	12|26 –11|27	زراعة الحلبة والترمس والخيار والطماطم والجزر والبصل
طوبة	1|25 – 12|27	زراعة الحمص والجلبان والعدس وكل أشجار الغرس
امشير	2|24 – 1|26	تجهيز الأرض للزراعة الصيفية غرس النخيل
برمهات	3|26 – 2|25	يستوي فيه الفول والعدس ويزرع قصب السكر
برمودة	4|25 – 3|27	حصاد القمح والشعير والفول وزراعة الملوخية والخيار
بشنس	5|25 – 4|26	درس الغلال ونضج البطيخ والشمام
بؤونة	6|24 – 5|26	يطلع النخل
ابيب	7|24 – 6|25	زيادة النيل وظهور الرطب وغرس النخل
مسرة	8|23 – 7|25	يفيض النيل وينضج البلح ويغرس فيه النخيل

وأما دعاوى بعض الناس بأن الكلمة أصلها يعود إلى جنوبي اسمه (توت)، فهو رأي مردود يقوله من ليس له علم بالتاريخ ولا ثقافة التسميات، فإن أهل الجنوب لم يعرف لهم أي وجود تاريخي في هذه المنطقة، كما أنهم لا يسمّون أسماء مشابهة لجزرهم، ومن عجب ما يدعم به البعض هذا الكلام من أنه وجدت آثار كنائس قديمة في هذه المنطقة، وينسى هؤلاء أن كل السودان الشمالي بمملكتيه عَلَوَة والمقَرّة كان مسيحيا وأن أهل الجنوب لم يكونوا مسيحيين بل أدخل المسيحية إليهم الانجليز!.

توتي مجمع البحرين

قد ذكرنا أسباب هجرة المحس واختيارهم لتوتي وطنا جديدا لهم، ولكن هناك رأي غير ما ذكرناه، وهو أنهم اختاروا توتي لأنها مجمع البحرين الذي ذكر في القرآن في قصة سيدنا موسى مع الخضر . وهذا مقال للأستاذ قيس إبراهيم أحمد علي في هذا الشأن: (

قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا (60) فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا (61) فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا (62) قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (63) قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا (64) فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا

وقد أجمع المفسرون وحسب سياق الآيات القرآنية أن عند مجمع البحرين صخرة وهي المكان الذي ابلغ به سيدنا موسى عليه السلام ليقابل من هو أكثر منه علما عند ادعائه أنه أكثر أهل الأرض علما كما ورد في الأحاديث الصحيحة. (راجع صحيح البخاري ومسلم وسنن الترمذي ومسند الامام أحمد). كل هذه الأحاديث رواها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي بن كعب الأنصاري الخزرجي البدري. حكى الثعلبي عن أبي بن كعب أن مجمع البحرين بافريقية (جاء ذلك في شرح النووي لصحيح مسلم). إذا سلمنا بقول الصحابي الجليل بأن مجمع البحرين بافريقية فأين هو ؟ يجيب عدد من علماء المسلمين المحدثين بأن توتي هي مجمع البحرين ، نذكر منهم :

(1) د. جعفر ميرغني (مدير معهد حضارة السودان):فقد ذكر في مقالات ثلاث منشورة بصحيفة الرأي العام عام 2000 تحت عنوان (توتي مجمع البحرين) ثم في محاضرة بنفس العنوان بنادي توتي الثقافي في 4-5-2004 واستدل على ذلك بأدلة علمية كثيرة.

(2) د.عبد الله الطيب : وقد ذكر في منظومة ملتقى السبل وهي آخر ما نظم من الشعر فقال:

في مجمع البحرين حيث *** الخضر لاقاه موسى وبهذا أمر

هل مجمع البحرين في مقرن *** بأدبرة أو حيث توتي تقر

(3) الشيخ عبد المجيد الزنداني: فقد ذكر في خطبة بمسجد جامعة الخرطوم معددا أطماع اليهود في العالم ذكر منها توتي حيث ورد كما قال في كتب اليهود أن سيدنا موسى عليه السلام وصل توتي ولاقى عندها سيدنا الخضر عليه السلام.

(4) وتواتر من أخبار العلماء الباكستانيين وعلى رأسهم الشيخ أبو الأعلى المودودي: فقد ظلت توتي تستقبل عدد من الاخوة الباكستانيين المسلمين يسألون عن مكان الصخرة مؤكدين أنهم قد سمعوا من علمائهم أن توتي هي مجمع البحرين.

(5) الباحث الفاتح عثمان محجوب: أورد (في بحثه: الكتب السماوية وتبيان المستقبل) النص التالي عند حديثه عن مجمع البحرين (الملتقى هو الخرطوم والصخرة هي جزيرة توتي قبل أن يترسب عليها الطمي).

(6) ذكر عدد من الأجداد والآباء أن هذه الجزيرة مباركة يجب المحافظة عليها وعدم التفريط فيها منهم من أشار إلى مكان بعينه (أبقوا على المكان ذا عشرة).

ومن المعلوم والثابت أن جزيرة توتي في قاعها عبارة عن صخرة ضخمة تبدأ بجانبها الشمالي الشرقي عند المسجد العتيق وتمتد غربا إلى الموردة وجنوبا حي الشكرتاب حيث تظهر الحجارة على سطح الأرض بالقرب من المسجد العتيق وفي حي الشكرتاب تراكم عليها الطمي من جوانبها جميعا. ومن المعلوم والثابت أن جزيرة توتي يسكنها ومنذ أكثر من سبعة قرون قوم من المحس الخزرج ينتهي نسبهم إلى الصحابي الجليل أبي بن كعب الأنصاري الخزرجي البدري ثم تفرق منهم عدد وأنشأوا الكثير من القرى على ضفاف النيل الأزرق من أقصى ولاية الخرطوم شمالا وإلى سنار وسنجة جنوبا داعين إلى الله ومبشرين بدعوة الإسلام ويؤكدون أن جدهم أبي بن كعب وينتسبون إلى محمد محس ويقصدون به أول من هاجر من شمال السودان واستقر بوسطه. ومن الملاحظ أن الأحاديث الواردة في مسألة مجمع البحرين كلها عن أبي بن كعب ثم عند شرحها قول عن أبي ين كعب أنه بافريقية ثم سكن أحفاد أبي بن كعب في جزيرة توتي ألا يدل ذلك على إشارة. والإشارة عندي أن أحفاد هذا الصحابي الجليل يحفظون عن جدهم أن مجمع البحرين هو توتي وأنهم كانوا يبحثون عنه طيلة عمرهم وعندما أعجزتهم الحيلة في القرن الأول الهجري سكنوا مع النوبة (المحس) بشمال السودان يتحينون الفرصة فكان عند اضمحلال وسقوط دولتي المقرة وعلون المسيحيتين في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي حققوا حلم الأجداد واستقروا بجزيرة توتي ثم كان انتشارهم الواسع الذي أشرنا إليه). أهـ.



موضع الصخرة في جزيرة توتي

وقد ناقش د.جعفر ميرغني مسألة أن توتي هي مجمع البحرين، فقال[1]:

(لا بد أن أذكر أن القرآن الكريم وربنا سبحانه وتعالى أمرنا بالتدبر قال تعالى " أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها " و قوله تعالى "كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدّبروا آياته" أي أن القصة ليست مسألة أن تفتح كتاباً وتقرأ فيه الشرح . الشرح للمساعدة على التدبر ، قال تعالى" أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم" " قل سيروا في الأرض فانظروا " وانظر كم مرة وردت سيروا وانظروا وبماذا تجدها مربوطة . "فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد " . " أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها" فمعناها إما تأخذ رواية بأذنك تسمعها وان تتفكر بقلبك " فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور" . فإذاً التفسير يعطيك الشرح ويعطيك علم من قبلك وفهمهم إلى جانب ما يعطيك من روايات من الرسول صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة رضوان الله عليهم في التفسير. بعد التفسير والشرح تأتي مرحلة التفكر والتدبر وكثير من الناس يقفون في حفظ التفسير ولا يستمرون في التفكر والتدبر ، والتفكر والتدبر مهم جداً . فلو تفكرنا وتدبرنا في قصة سيدنا موسى والخضر لوجدنا المفسرين حاولوا أن يحددوا المكان وهو مجمع البحرين وأول ما تلاحظه في هذه القصة أنه ليس هنالك حجة بالنص من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم الصحيحة لكن في الآيات القرآنية تجد وصفا دقيقا لطبيعة المكان من الكلام الذي قيل، فما هما البحران ؟ وأين مجمع البحرين ؟ فبعض المفسرين قالوا هما البحر الأسود والبحر الأبيض المتوسط في تركيا في البسفور ،وبعضهم قال دجلة والفرات ، وبعضهم قال جبل طارق في البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي . هذه الأقوال هي أمامك لابد أن تتدبر فيها . وعندما ذهبوا في التفسير لم يطاوعهم المكان، فعلى وصف التفسير فيه إشكاليات أو سؤال هو أين الصخرة في كل هذه الأماكن . والسؤال الثاني هو العجب الموجود في الماء بالنسبة للشاب الذي مع سيدنا موسى " واتخذ سبيله في البحر عجبا" وهو الحوت أي أن الحوت تحرك على عجب في الماء . ولكن الآية الكريمة وضحت ما هو العجب" واتخذ سبيله في البحر سربا" أي أن الحوت تحرك على سرب في البحر ، والشاب عندما رأى هذا السرب تعجب جداً وقال لسيدنا موسى " اتخذ سبيله في البحر عجبا" ، وهذا الحوت أخذوه معهم كزاد، أي أنه من المفترض أن يكون ميتاً والحوت الميت يطفو على سطح الماء ولكي يتحرك فلابد أن يحركه هواء أو ماء . وقد انتبه الشاب للعجب الذي في هذا الماء وهو ينظر إلى الحوت. ولهذا هنا أكملوا التفسير بشيء لا يستقيم صوابه إلا بحجة من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم أو القرآن ، يقال إن الله تعالى أمسك جرية البحر . وآخرون قالوا جرية الحوت أي أن الله

(1) محاضرة للدكتور جعفر ميرغني –مدير معهد حضارة السودان– ألقاها بتوتي عام 2004م

أمسك الماء واخذ الحوت يشق الماء والشاب رآها وهذا اجتهاد فيه تهويل ويحتاج إلى دليل ، وآخرون قالوا إن الحوت دبت فيه الروح وتحرك في الماء وغاص وقد ترك مكان غوصه وكأنه شباك صغير وتركه الله عز وجل حتى يأتي موسى ويراه وهذه معجزة ولكن تحتاج لحجة ، وليس كل ما أعيانا تفسيره نقول عنه معجزة. وهذا يعني أن التفسير الأول لم يساعد لأن الأماكن التي ذكرت ليس فيها سرب أو عجب للرائي في ذلك الزمان الذي وجدت فيه هذه التفسيرات ووضعت فيه هذه الافتراضات من هؤلاء الأفاضل ، لم يكن معروفاً وقتها أن النيل الأبيض يلتقي مع النيل الأزرق . والذين قالوا دجلة والفرات لم يذهبوا بعيداً لأن الماء المالح يسمى بحر ، والماء العذب يسمى بحرا في لغة العرب اذا كان سائغاً ، وهذا مذكور في القرآن (لا يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج) فسمى الاثنين بحراً . و تدبرنا الآيات الكريمة وتدبرنا مجمع البحرين الذي كان غير معروف لديهم، والذي ذكره ابن حوقل عام 360هـ ولم ينتبه له إنسان غيره. وبعد ذلك لم ير هذا المجمع من خارج السودان بعد ابن حوقل إلا الأوربيون الذين أتوا مع إسماعيل باشا وكتبوا عنه. لأن القوافل كانت تسلك الطريق الشرقي عبر سوبا العاصمة ثم إلى سنار العاصمة. جيمس بوس كان مؤمناً أن النيل هو النيل الأزرق فبدأ يكتشف النيل من منبعه فبدأ من بحيرة تانا في الحبشة وتابع مجراه وهو يعلم أن هناك نيلاً يسمى بالنيل الأبيض وهو يريد أن يصل إلى المقرن فكتب في كتابه وقد كان ذلك عام 1770م قال أنه وللأسف الشديد بعد أربع وعشرين ساعة اكتشف أنهم تجاوزوا المقرن بالقافلة وهو من جهة الخرطوم بحري لم يشاهده لأن توتي كان بها غابات. فهذه كانت حقيقة مجهولة ويتسامع عنها الناس جيلاً بعد جيل وهي الأعجوبة. الإمبراطور نيرون الروماني في القرن الثاني الميلادي أرسل بعثة لاستكشاف النيل الأبيض لأنه سمع عنه وقد وصلوا حتى السدود في الجنوب وكتبوا. كان أحدهم يدعى سينكر ، وقد ألف كتاب مبحث النيل ، وكان نيرون هو من أرسل هذه البعثة للملك السوداني وقد أوصلوهم حتى منطقة مسدودة تماماً بالأعشاب. ولذلك هنا أعجوبة. ولذلك في قصة سيدنا موسى و كلام سيدنا موسى عندما تتدبر القرآن: (إذ قال موسى لفتاه) وتبدأ القصة وهذه القصة في سورة الكهف والتي فيها أعاجيب: (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا) تبدأ السورة بالعجب. وفيها ذكر الأعاجيب: (ويسألونك عن ذي القرنين) ولذلك في القصة: (واتخذ سبيله في البحر عجبا) وقد قال سيدنا موسى(وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقباً) أي حتى لو سرت سنيناً حتى أبلغ مجمع هذين البحرين. وهذا معناه أن سيدنا موسى يريد أن يتفكر كما يريد أن يقابل الخضر كما في الأحاديث الصحيحة. (سيروا في الأرض) ففي القرآن الكريم دعوة للحركة والتدبر مهمة جداً وهي موجودة في الرسالات السماوية. ونعود إلى ما كنا فيه من الأوصاف. فالقرآن الكريم قد وصف أنه في مجمع البحرين توجد صخرة(أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت) فهناك صخرة والحوت أفلت وسرى ، والإمام البخاري كتب ركوب البحر في طلب الأمر ووقف فيها ابن حجر كثيراً خاصة في قوله ركوب البحر لماذا ذكر ركوب

البحر ولم يذكر في القصة أن سيدنا موسى كان يركب البحر لكن إذا كانوا يركبون البحر وهم يحملون الحوت معهم كزاد وهو يتدلى في البحر لكي لا يفسد ويتعفن. فهم عندما أووا إلى الصخرة أهملوا الحوت ، وعندما انتبهوا له انتبهوا للسرب ، وعندما واصلوا سيرهم قال له الفتى (أرأيت إذا أوينا إلى الصخرة فأني نسيت الحوت) وأعتذر عن نسيانه وقال: (وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا) فقال له سيدنا موسى : (ذلك ما كنا نبغ) أي أن هذا هو ما نريده هذا هو مجمع البحرين. أي أن له وصفاً جغرافياً ، وكما هو واضح للعيان فان ماء النيل الأزرق لا يختلط بماء النيل الأبيض حتى أيام الفيضان وهذا عجب لأي شخص. وفريدرك كايو ومن معه اعتزوا جداً بأنهم شاهدوا ملتقى النيل، وقد قال أحد الأمريكيين الذين كانوا معهم أنه أصبح مثل المجنون يهرول هنا وهناك ويأخذ من ماء هذا ويصبه في ذاك وإذا سكبها بهدوء فإنها تظل بقعة بيضاء لا تختلط لأن الكثافة مختلفة ويتذوق من هذا ومن هذا وهنا العجب لكل الناس :(ذلك ما كنا نبع فارتدّا على آثارها قصصاً، فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علماً) وهنا تذكر أن سيدنا موسى جاء ليلتقي برجل في مجمع البحرين ويستفيد من علمه، وقد قيل له أن هناك رجلا في مجمع البحرين والقصة معروفة في صحيح البخاري ، نختصرها هنا حينما سأله بنو إسرائيل هل تعرف مكان رجل أعلم منك؟ فقال لهم لا، فالله سبحانه وتعالى أخبره بأنه عند مجمع البحرين ٍ وقبل أن ننتقل إلى نقطة أخرى نقول أن الناس الذين ذهبوا باعتقاداتهم إلى غير هذا الموقع لم يتدبروا مسألة أخرى وهي مسرح أحداث قصة سيدنا موسى ، فقصة سيدنا موسى متنقلة بين وادي النيل والبحر الأحمر وجزيرة العرب وفلسطين، وذهاب موسى إلى غير ذلك يحتاج إلى مزيد من الدلالة، ولكن هنا تذكر أنه في كتب اليهود يذكرون قصة موسى والخضر ولكنها مذكور فيها أن موسى وهو شاب يعيش في بلاط فرعون ذهب مع جيش غازي إلى السودان، وهذا له دلالة أن السودانيين غزوا مصر وقد جاءت حملات مرتدة وهناك حفريات أثرية دلت على أنه قبل بعانخي بألف سنة كانت هناك معركة. وقد ذكروا أنهم تحصنوا في العاصمة سوبا والتي كانت حصينة جداً ويقول المؤرخ أنها تحول اسمها إلى مروي أي أنه في العمق السوداني. وهذا الكلام مهم لأنه في القرآن في أكثر من موقع (فاسألوا أهل الذكر). (فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك) والكتاب (مصدق لما بين يديه من الكتاب) (قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله). أنا أقول هذا الكلام لأن بعض الناس قد يقول لماذا تستدل بالإسرائيليات ولكن إذا كان في القرآن نفسه إحالة إلى الكتب القديمة وعلى السيرة الأولى وكتب التفاسير مليئة بهذه الروايات وحتى في المغازي عندما استلم سيدنا عمر بن الخطاب بيت المقدس سأل الأحياء عن موضع المسجد الأقصى لأنه كان داثراً وغير واضح. وهنا لدينا شاهد بأنه — سيدنا موسى – جاء قبل النبوة كفتح. ولو رجعنا إلى وصف القرآن فإننا نجد الصخرة ونجد السرب في الماء فلسنا في حاجة لأن نقول أن الحوت شق ودرب الحوت ظل إلى أن عاد موسى بعد يومين أو ثلاثة أو أربعة ، ولسنا في حاجة لأن نقول بأن هناك

قوة في الماء ، فقط نحتاج لأن نقول بأن هنالك خط في الماء موجود من قبل سيدنا موسى وحتى يومنا هذا والصخرة أيضا موجودة، والأمر الآخر المهم جداً والمروي في السيرة أن سيدنا موسى جاء في أجواء حرب، وأجواء الحرب المذكورة في الحديث النبوي المذكور في صحيح البخاري أنه عندما وجد الخضر متدثراً بثوبه، أحد طرفيه عند رأسه والطرف الآخر عند رجليه، وعندما سلم عليه سيدنا موسى كشف عن وجهه وأول ما قاله له: وأين من أرضى السلام؟! الأمر الآخر الذي يدل على موضوع آخر أن اسم الخضر عليه السلام واضح أنه صفة أكثر من أنه اسم، تجد في التفسير أنه سمي بالخضر لأنه حسن ومشرق، وقيل لأنه جلس على فروة بيضاء فاهتزت من ورائه خضرة والفروة هي الرمل الأبيض. هناك بيت يساعدنا على فهم هذا الكلام وكلمة خضر معناها واحد وهو أخضر ، وفي كلام العرب الأخضر هو من كان لونه مثل السودانيين على اختلاف درجاته وفي القرآن (منه خضرا) أي النبات. جلس على فروة بيضاء فاهتزت من ورائه خضرة ودائماً اهتزت تجدها مربوطة بالنبات مثل قوله تعالى : (أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج) أي حسن جداً وأنا اذكر دائماً قول الشاعر الجاهلي لأن هذا يعمق فكرة ثراء خضرة هذا الرجل أي كما نقول خضرة زاخرة لأن الشاعر العربي يقول:

لليلى بذات الجيش دار عرفتها وأخرى بذات البين آياتها نكر

وهذه القصيدة تجدها في أمالي القالي وهي مهمة جداً لأن أبا علي القالي يسلسل روايتها بالشيوخ الفقهاء حتى عبد العزيز بن أبي سلمة شيخ الإمام مالك وحتى الشاعر نفسه وهي التي يقول فيها:

أما والذي أبكى وأضحك والذي أمات وأحيا والذي أمره الأمر

لقد تركتني أحسد الوحش أن أرى أنيسين منها لا يروعها الذعر

ولكن عندما نتقدم في القصيدة يقال أن البنت ليس اسمها ليلى بل عُلية:

تمنيت من حبل عُلية أننا على رمس في البحر ليس لنا وفر

فنقضي هم النفس في غير رقبة ويغرق من نخشى نميمته البحر

وقد ذكرنا قبلاً أمراً من أمور توتي، طريف وذو صلة بالشعر في أنه قد التأمت من قبل جزيرة مع توتي ثم انفصلت بين توتي والخرطوم وقد قال فيها الشاعر عبد المنعم عبد الحي:

رملتنا بيضاء بين بحرين يلاك نزورا

وفيها يقول[قصيدة] "أيامنا" ، ويقول فيها: (في الجزيرة العائمة)، لأنها مع سطح الماء وأنت عندما ترى البحر يجري يخيل إليك أنها تتحرك ولذلك اسماها الشاعر الجزيرة العائمة. وقال أيضاً :

شادينا قال ياليل وطال سمرنا عدونا حجبوا النيل ما جاب خبرنا

فهنا :

فنقضي هم النفس في غير رقبة

وقد ذكرت هذا الكلام لأن ليلى في كلام العرب دائماً تكون فتاة خضراء، وخضراء موجودة في اللغة يقال جارية خضارية اللون ورجل أخضر.

أنا الأخضر من يعرفني أخضر اللون من بين العرب

وقال ابراهيم باشا رفعت في كتاب الرحلات الحجازية كان من الحجيج المصري سنة 1901م إلى عام 1903م لاحظ أن البدويات يسمين الكعبة الست ليلى لأن ستائرها سوداء. وقد ذكرت هذا لأن الشاعر هنا قد وضح لنا المعنى المقصود من اهتزت من ورائه خضرة. فيقول (تكاد يدي تندى إذا ما لمستها) ويثبت هذا بيت شعر في أطرافها الورق النضر وفي رواية : وينبت في أطرافها الورق الخضر. فكأنه شتل يديه وزرعها في هذه اليد الخضراء. وهذا كلام ابن كثير في أن اهتزت من ورائه خضرة من حسنه وإشراقه والشاهد على ذلك أن الإنسان إذا كان لونه أخضر فلونه يعكس الضوء وإذا كان لونه أحمر فانه لا يعكس الضوء لأن أي لون يمتص لونه ويعكس ما خلافه. وأذكر أنني كنت في كوريا والتلفزيون الكوري يريد أن يسجل معي برنامجاً وأثناء جلوسي جاءتني فتاة تحمل علبة مكياج وفرشاة فسألتها ماذا تريدين أن تفعلي؟ أنا لا أضع هذه الأشياء. فقالوا لي إن هذا من أجل الضوء لأن الضوء سيعكس من خلال لونك. فقلت لهم هذا ما أريد أن أحدثهم عنه. عن أننا نعكس الضوء فهم يريدوني أن أحدثهم عن السودان فقلت لهم أتركوهم يرون هذا الضوء. والشاهد في حديثنا هذا أن الخضر أسمه ملائم مع البيئة وسيدنا موسى نفسه كان لونه أخضر شديد كأنه من رجال أزد شنوءة كما جاء في الحديث النبوي الصحيح. وختاماً إذا أخذنا مجامع هذا الحديث فالقصة والرواية الوحيدة التي يمكن أن تقبلها أو أن ترفضها ولكن ليس هنالك من سبب لرفضها لأن أهلها لا يتحدثون عن خضر أو غيره أنه كان قبل البعثة أو الرسالة وان أميل لقبولها لأنه بعد البعثة مسرح حياة سيدنا موسى كان بين مدينة فرعون والتيه لأن خرج بني إسرائيل فلم يبحث عن علم أو غيره وعندما جاءته الرسالة جاءت معه زوجته وهذا غير هذه القصة وفي التيه أبعد شيء أن يتحدث عن مجمع البحرين لأنهم لا يعلمون مخرجاً لهم ولكن هنا عبرة جديدة جداً إذا أخذت القصة قبل الرسالة وهي أنه بعد الرسالة قرن به الناموس الأكبر كما قال ورقة بن نوفل جبريل وهو ليس في حاجة لأن يسأل أي إنسان لأنه أصبح لديه وحي مباشر وهو مصدر العلم لأنه وكما قال الرسول صلى الله عليه وسلم : أنه لو كان موسى حياً ما وسعه إلا إتباعي . فمن يأتيه جبريل يتبع . فإذاً هذا العلم من قبل بعثة سيدنا موسى . فلذلك سئل عن أعلم أهل الأرض وهذا واضح في قصته مع أهل مدين عندما استغاثة الرجل الذي من شيعته على الرجل الذي من عدوه وأمر طبيعي أن يكون له شيعة لأن الكتب السابقة له كان الأنبياء المرسلون بها يتبعون آباءهم فسيدنا يوسف يقول " أتبعت ملة آبائي إبراهيم واسحق ويعقوب " ولذلك كان لديهم علم نبوي يتعبدون به وهكذا ، وهذا ما جعل فرعون يريد قتل النبي الجديد المتوقع. ولذلك جاء يطلب العلم وجاء معتداً بعلمه وهذا واضح في كلام الخضر" إنك لن تستطيع معي صبراً" لأنني أرى أنك لن تصبر لأنك

تناقش وفعلاً هذا ما حدث عندما بدأ يناقشه في تصرفاته فقال له إذا كنت تريد التعلم فاعتبر نفسك جاهلاً وأنا الأستاذ وهذا شرطه. والفائدة الأخيرة التي نريد أن نذكرها أن الدروس الثلاث التي ذكرت كان لها صدى في حياة سيدنا موسى لاحقاً . فالغلام الذي قتله الخضر قتل موسى شخصاً مثله فيما بعد ، والقصة الثانية قصة الجدار " يريد أن ينقض فأقامه قال لو شئت لتخذت عليه أجرا " فلما ورد ماء مدين وهو نبي فوجد "أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير فسقى لهما ثم تولى إلى الظل" وهذه المرة لم يطلب أجراً وقد تلقى الدرس من الخضر فقد قال" رب إني لما أنزلت إلى من خير فقير" والسفينة التي خرقها عندما جاء أصحاب موسى يطاردهم فرعون ويقولون " إنا لمدركون قال كلا إن معي ربي سيهدين" فهنا أيضاً فهم الدرس فالثلاثة دروس كانت تلقينا لأشياء في حياته اللاحقة ونقول كما قال عليه الصلاة والسلام " وددنا لو أن موسى صبر" . وذلك حتى نسمع من أخبار الخضر . على كل حال هذا تدبر في القرآن الكريم وكل الذي نقوله إن هذه اجتهادات وهذا اجتهاد وعلى الأقل حق مشروع أن يذكر حتى يختار المتلقي بلبه وبعقله) أهـ.

توتي في عهد الفونج

لئن شئنا لقلنا إن عهد الفونج كان العهد الذهبي لتوتي، ذلك إن قسناه بمكانها من المجتمع أو من الدولة، حيث حظيت توتي التي سكنها المحس قبل نشأة دولة الفونج عام 1505م بعلماء كبار كانوا قيادات دينية في عهد دولة إسلامية ناشئة على أنقاض دولة نصرانية راسخة في الحضارة أسقطها تجمع لعرب بادية تحت قيادة العبدلاب، وفي ظرف كهذا يكون وزن القيادة الدينية كبيرا، لا سيما إن أضفنا إلى ذلك اشتهار توتي كمعلم من معالم القرآن والتعليم الديني.

ومن آثار هذه المكانة المرموقة لأهل توتي في عهد الفونج أن أهل توتي كانوا معفيين من العشور، احتراما لمكانة علمائها عند ملوك الفونج[1].

ومن آثارها أنهم كانوا وسيطا مقبولا عند عظماء البلد. ومن ذلك أن ملك الفونج عجيب المانجلك لما أراد حرب ملك الجموعية جمع جيشا كبيرا في الحلفاية، فلما سمع ملك الجموعية استعد له، فاستشار عجيب المناجلك ولده محمدا، فقال: (قد كنت أظن أنهم يهربون منا في الفلوات، أما إذ جمعوا وعرضوا وزغردت نساؤهم؛ فإنه والله الموت!). فلما خاف ملك الفونج العطب، أرسل الفقهاء إلى ملك الجموعية أنه يريد مقابلته وحلف له اليمين أنه في أمان حتى يرجع إلى جيشه، فرفض ملك الجموعية وقال: (إن أرادني نلتقي بالجزيرة توتي) واجتمعا بتوتي بالفعل واتفقا وحلفا اليمين ألا يغزو واحد منهما صاحبه. [2]

خلوة أرباب العقائد ونشأة الخرطوم

ولد أحمد بن علي بن أرباب بن علي بن عون الصبحابي المشهور بأرباب العقائد في توتي عام 1017هـ الموافقة 1608م. وحفظ القرآن وعمره عشرة سنوات.

وكان الفقيهان عبد الرحمن بن إبراهيم (والد الشيخ خوجلي) وموسى الضيق زميلين لأرباب العقائد في الخلوة. وعند وفاة الفقيه عبدالرحمن تزوجت أرملته (ضوة بنت خوجلي المرزوقابية) من موسى الضيق. ولما كان أهل توتي —وبخاصة الغردقاب ومنهم موسى الضيق– يعتقدون لدرجة كبيرة في الفقيه عبد الرحمن فقد أدى هذا الزواج إلى اجتماعهم حول موسى، مما أشعر أرباب بأن الجو لم يعد خاليا له في الإعتقاد والتدريس، فانتقل إلى بر الخرطوم حيث التف حوله المحس البداناب في بري المحس [3].

---

(1) من مقال لإبراهيم بن أحمد بن علي بن محمد نور الشكرتابي سيرد لاحقا.

(2) تاريخ وأصول العرب في السودان — الفحل الفكي الطاهر.

(3) تاريخ مدينة الخرطوم. وقد ذكر المؤلف د.أحمد أحمد سيد أحمد أن الذي روى له هذه الرواية هو الأستاذ عبد الله عبد الرحمن الضرير بعد أن أمهله فترة من الزمن حتى يناقش المعمرين والمثقفين في توتي في أسباب رحلة أرباب العقائد إلى الخرطوم. وقد أثبت لي هذه الرواية أيضا محمد الأمين (سيد الحوش) عن أجداده من آل الضرير.

وقد أنجبت ضوة منه الفقيه عامر خليفة المسجد العتيق بتوتي وجد العامراب. وبهذا يكون الشيخ خوجلي أبو الجاز أخا عامر الأكبر من أمه.

ويقال بل تزوجت أرملة الفقيه موسى الضيق بالفقيه عبد الرحمن وولدت منه الشيخ خوجلي. وبهذا يكون الشيخ خوجلي أبو الجاز أخا عامر الأصغر من أمه [1].

ويقال إن المركب قد غرقت وهي تحمل طلابا يقصدون خلوة أرباب العقائد في توتي —ومكانها مكان مركز الشاووشاب في (الملجة) الآن — وكان يسمى قديما حوش الأمانة.

وكان ذلك دافعا إضافيا لأرباب العقائد للهجرة من توتي إلى الخرطوم، حيث أنشأ خلوته في مكان مسجده المعروف الآن. وقد كانت خلوته تشمل المسجد الحالي وما حوله من المباني الحالية، لأنها كانت خلوة كبيرة جدا، بها حوالي الألف طالب من جميع أهل البلاد ومن القادمين من البلدان البعيدة مثل ديار برنو. وذلك بسبب شهرتها وشهرة خليفتها الذي برع جدا في علم العقائد، فنسب إليها، يقال: (أرباب العقائد)، وقد ألف فيه كتابا أسماه: (الجواهر الحسان في تحقيق معرفة أركان الإيمان).

وقد خرجت خلوة أرباب العقائد أفذاذ العلماء الذين سارت بسيرتهم الركبان من مثل الشيخ: خوجلي أبو الجاز، والشيخ حمد ود أم مريوم، والشيخ فرح ود تكتوك، والشيخ القرشي الصليحابي.

ولهذا فقد امتد أثر هذه الخلوة قرونا لاحقة كمنارة للعلم.

قال الشيخ محمد مالك خليفة أرباب العقائد بالبشاقرة[2]:

جدي ذكرتك والحوادث تفعم	والبعض من حولي أراه يهمهم
ولأنت يا جدي سلالة عالم	أبي بن كعب حبرها المتقدم
ولأنت يا أرباب العقائد مؤسس	الخرطوم ومسجدك فيها الأعز الأقدم

وفي العام 1689م-خرج الشيخ أرباب العقائد من خلوته قاصدا سنار —حيث طلبه ملك الفونج السلطان بادي الأحمر بن أونسة لإصلاح حال القضاء بدولة الفونج، ضمن عدد من علماء الدولة[3]، وخلَفه ابنه الأكبر الفقيه بساطي على الخلوة.

ولما مر في طريقه بالبشاقرة، نزل بها مدة قليلة —قيل أسبوعان وقيل ثلاثة أيام-فزوجه أهلها من بيت عز وشرف منهم: وقوما بنت الحاج علي ود وقيرم[4]. وقد استمر الشيخ في طريقه إلى سنار بعد أن تركها حاملا بمحمد (راجل البشاقرة) أشهر علماء البشاقرة لاحقا.

---

(1) النسابة عبد الله بن شاهين الشكرتابي السعدلابي. وفوزي بن الأمين ود نمر البدانابي.

(2) هو الفقيه محمد بن مالك بن القاضي، أمين عام علماء السودان، خطيب مفوه، كان من مؤسسي جبهة الدستور الإسلامي بالسودان، وقد قال هذه الأبيات بمناسبة قدوم وزير الأوقاف المصري أحمد حسن الباقوري لافتتاح مسجد الملك فاروق وهو تجديد لمسجد أرباب العقائد وكان ذلك عام 1953م، وقد أعادت حكومة السودان اسم المسجد لأرباب العقائد عام 1994م.

(3) من منشور أعده الخليفة الصديق محمد مالك خليفة أرباب العقائد بمناسبة الاحتفال بإعادة اسم مسجد أرباب العقائد إليه.

(4) وقيرم بن مهلل بن مبارك بن جكول بن حمد بن علي أبو أشقر بن حمد بن أحمد رافع بن عامر الرفاعي. عن الطاهر.

ثم إن الشيخ وصل إلى سنار، وأقام بها سنتين، ثم توفي رحمه الله تعالى بها، وقبره بها معروف إلى الآن.

ثم إن محمدا بن أحمد (أرباب العقائد) لما بلغ الصبا وجهه أهله إلى توتي والخرطوم ليتعلم في منارة العلم التي خلفها أبوه، فدرس فيها العلوم الشرعية على أخويه الفقيه بساطي والفقيه فرح. وأيضا على الشيخ خوجلي بن عبد الرحمن، وعاد بعد ذلك إلى البشاقرة عالما فاض علمه وانتشر، وأقام بها الخلاوى وأصبحت له خلافة فيها معروفة إلى اليوم وليها بعده الفقيه إسماعيل بن الفقيه محمد ثم الفقيه ود راد الله ثم القاضي يس ثم الفقيه مالك ثم الفقيه محمد بن الفقيه مالك ثم الفقيه الصديق بن الفقيه محمد بن الفقيه مالك.

وأما خلافة الفقيه أحمد (أرباب العقائد) في الخرطوم فقد وليها بعده ابنه الفقيه بساطي ثم أخوه الفقيه فرح ثم أخوة الفقيه علي (صالح أبي نجيلة) ثم الفقيه الكامل بن الفقيه علي ثم الفقيه عبد الرحمن بن الفقيه الكامل ثم الفقيه محمد بن الفقيه عبد الرحمن. وهو آخر من ولي الخلافة في خلوة أرباب العقائد إذ بعد أن قتله أنصار المهدي، خربت الخلوة التي كانت مبنية من الطوب الأحمر الجيد، ثم في عهد الانجليز أخذت منها مساحات وجعلت ملاهي للخمر والفسوق، وأخذ بعض طوبها وبنيت به بعض المباني المحيطة بها، غير أن المسجد بقي إلى أن أعاد الملك فاروق ملك مصر بناءه بناءا فاخرا مزخرفا استمر إلى يومنا هذا.

الشيخ خوجلي ومكانته في السودان

الشيخ خوجلي بن عبد الرحمن بن إبراهيم ولد أبو ملاح الكباني المحسي، ولد أبوه الشيخ عبد الرحمن بن إبراهيم في (دبة عنتار) بشمبات وحصل على إجازة من شيخ الأزهر الشيخ علي الأجهوري في التوحيد والتصوف ومختصر خليل عام 1033هـ الموافقة 1624م[1]. وولد هو – أي الشيخ خوجلي – في توتي عام 1066هـ الموافقة 1656م. ودرس على الشيخ أرباب العقائد علم العقائد، وعلى الزين ولد صغيرون مختصر خليل، وأخذ عن غيرهما. وقد جمع إلى الفقه التصوف على الطريقة الشاذلية. وهو أمر كان نادرا في عصر الفونج. إذ كان الشيوخ مقسمين بين فقهاء وكثير منهم قضاة، أو متصوفة. وكان حكام البلاد من الفونج ينصرون المتصوفة ويفضلونهم.

كان الشيخ خوجلي يؤم المسجد العتيق بتوتي ويدرّس في خلوته المعروفة حتى اليوم، وقد بلغت مكانته العلمية ونفوذه في البلاد الشيء العظيم. حتى أنه كان لا يقوم للسلاطين إذا جاؤا إليه للسلام، لا أولاد عجيب سلاطين البلد، ولا ملوك الجعليين، أصحاب الهيبة والسطوة. ولا يقوم لأحد إلا اثنين: خليفة الشيخ إدريس ود الأرباب. وخليفة الشيخ صغيرون.

(1) ونص الإجازة موجود في كتاب طبقات ود ضيف الله.

ولا يقصد الملوك للشفاعة رغم أن المغضوب عليهم من السلاطين وأصحاب الظلامات كانوا يلوذون به. بل كان يصبر حتى يأتي إليه أحد أتباعهم فيوصيه بهم إليهم، أو يكتفي بإعطائهم طينة تدل على أنهم قادمون من قِبَله، وهذا يكفي ليعفو عنهم الملوك. إذ كانوا يعتقدون فيه البركة وإجابة الدعوة.(1)

ولهذا فإننا يمكن أن نقول إن الشيخ خوجلي من أهم من أعطوا توتي مكانة يعرفها جميع أهل السودان. إذ إليها الملجأ للعلم وفض النزاعات والعياذ من السلطان. وقد توفي رحمه الله بتوتي عام 1155هـ الموافقة 1742م ودفن بمقابر أبي نجيلة، ونشأت عند قبته حلة تعرف بحلة قبة خوجلي.

الشيخ حمد ولد أم مريوم

ولد الشيخ حمد بن محمد بن علي المشهور بولد أم مريوم على أمه بتوتي في عام 1055هـ الموافقة 1645م وحفظ الكتاب على الفقيه أرباب العقائد وقرأ عليه التوحيد وابن عطاء الله في التصوف. وكان حريصا على السنة مشهورا بالورع ومحاربة أهل البدع. وقد اشتهر عنه منع ختان الإناث وكان يقول إنها السنة.

عبر النهر ليدْرُس في خلوة شيخه أرباب العقائد، ثم خالفه مغاضبا إلى توتي، وإليك نص القصة كما أوردها ود ضيف الله:

(أخبرني الشيخ زين العابدين قال: سألت الفقيه حمد عن سبب الخلاف الذي بينه وبين شيخه أرباب العقائد. قال: كنت خادمه وملازمه. ذات يوم قلت له: يا سيدي هذا العلم الذي قرأناه مأمورون بامتثاله أم لا؟ قال: مأمورون. فقلت له: أمَا قال الشيخ خليل: (وكُرِه صلاة فاضل على بدعي أو مظهر كبيرة)؟ قال: نعم. قلت له: أما قال في تارك الصلاة: (وصلى عليه غير فاضل)؟ قال: نعم. قلت: لم تصلي عليهم؟! فترك ذلك وقتا، والناس ما هم رضيانين. قالوا له: الناس حيرانك وأقاربك تسمع كلام حمد المشاقق! فعاد كما كان. فرحلت منه ودخلت توتي).

ثم إنه ترك توتي لاحقا وأقام بأم درمان، مكان قصر الشباب والأطفال الآن، ثم عاد إلى توتي وانتقل إلى مكان حلته الحالية ببحري. حيث تبعه كثيرون وأصبحوا له تلاميذا من المحس وغيرهم لا سيما بني جرار. وأما أتباعه من النساء فهن أكثر من الرجال أضعافا. وكان يأمر فيطاع أمره، ويفتي فلا يُسأل عن دليل، ويأتي بالجواب فلا يجسر أحد على مراجعته.

ومما اشتهر به إعتاق العبيد. وكان بنو جرار يأتونه بصدقاتهم فيشتري بها عبيدا ويعتقهم. وجاؤوه مرة بسبعين أسيرا من فور قد استرقوا في وقعة بينهم، فأعتقهم وأمرهم بالعودة إلى بلادهم.(2)

---

(1) ملخص من طبقات ود ضيف الله. إلا تاريخ الولادة فإنه مأخوذ من كتاب تطور التعليم في جزيرة توتي.

(2) ملخص من طبقات ود ضيف الله.

وقد توفي رحمه الله عام 1142هـ الموافقة 1729م.

معنى كلمة (الخرطوم) وارتباطه بتوتي

كانت الخرطوم إلى وقت قريب تعرف باسم (خرطوم توتي)، قال الشاعر إبراهيم بن الشريف الدولابي ابتهاجا بفتح المهدي للخرطوم:

الحمد لله زال الهم وانبلجا   بفتح خرطوم توتي نلنا كل رجا

وأما معناها، فقد قال د.جعفر ميرغني فيه ما يلي:

(أنا شخصياً أعرف سبع مناطق تسمى بالخرطوم متراوحة بين الخرتوم والكرتوم على امتداد نهر النيل في كلبشة –وهي الآن داخل الحدود المصرية وهي منطقة نوبة بالمعنى العريض للكلمة أو منطقة محس بالمعنى الأدق للكلمة –وكلبشة بين حلفا وأسوان، وفي الدامر كذلك، وعند الملتقى في النيل الأبيض، لايوجد مكان جنوب الخرطوم يسمى بالخرتوم لكن في النيل الأزرق هناك أكثر من موقع في العيلفون وفي أم دوم وفي البشاقرة وفي رفاعة، أحياناً كرتوم واحياناً خرتوم.

وفي كتاب الرحالة الفرنسي فريدرك كايو: (وقطعنا إلى منطقة تعرف برأس الخرتوم أو رأس الكرتوم) وذكر أن السكان بعضهم ينطقها بالكاف والبعض الأخر بالخاء. وأما كلمة (خرطوم –بالطاء) فهو تغيير حصل للكلمة لاحقا[1].

وأول ما وجدنا من تفسير لها وجدناه عند المحس أنفسهم في كل هذه البلدان فهم يفهمون أن هذا الكرتوم هو جبل قصير او حجر قصير في مجرى النيل يتجمع فيه الطين ويصبح جزيرة . وكما أذكر عندما ذهبت إلى جزيرة العيلفون وجدت مزارعاً يبلغ من العمر تسعين عاماً فقلت له: (الكرتوم وين؟) فقال : (الجزيرة ذي قديمة ولكن الكرتوم في مكان شجر الليمون ذاك)، فقلت له: (له هل هناك حجر؟) فقال لي إن هناك حجراً كبيراً جداً.

ولهذا السبب كل خرتوم أضيف إلى اسم آخر للتمييز فيقال خرطوم البشاقرة وخرطوم توتي وفي بعض النسخ من وثائق السلطنة الزرقاء يكتب خرتوم توتي أو خرتوم جزيرة سنار لأن المنطقة بين النيلين الأبيض والأزرق تسمى بسنار، ودائماً الخرطوم أو الكرتوم يكون في رأس الجزيرة والسبب في ذلك أن النيل الأزرق مجراه قوى ولا تقوم به جزيرة إلا إذا كان هناك شيء يمسك الطمي والطين، وأول ما يترسب هو الرمل، ثم الطين. وتوتي قائمة على صخرة كبيرة جداً تمتد حتى المقرن وأم درمان.

وهذه الخراتيم السبعة ذكرناها وذكرنا معناها الذي يعرفة السكان الأصليون ولا يختلفون فيه، وهناك بعض المسنين يقولون أن الفتاة إذا أصابها مرض فتساقط شعرها إذا تشاجرت مع إحدى أخواتها

---

(1) وقد قال د. جعفر ميرغني إن ذكر كلمة (الخرطوم) في طبقات ود ضيف الله بحرف (الطاء) ليس أقدم من كتاب كايو رغم أن الطبقات أقدم من كتاب كايو لأن النسخ المخطوطة الموجودة لدينا الآن كلها كتبت بعده. مما يعرضها لتعديل النساخ وخطئهم.

قالت لها : أمشي يا أم كرتوم. أي مثل الصخرة التي في الجزيرة التي لا ينمو عليها أي نبات. فهم واعون جداً لهذا المعنى والمدهش أنه لو رجعت إلى المراجع العربية القديمة مثل القاموس المحيط أو لسان العرب – وكلمة كرتوم تبدو وكأنها ليست عربية – تجد أن قدامى اللغويين العرب قد فسروها بأنها الجبل القصير أو صخرة في مسير الماء ينصب عنها الماء وحرّة بني عذرة. والحرّة هي الحجارة البركانية وهي دائمة تكون قصيرة مثلها في المدينة المنورة توجد حرتان صخور أعلى ما تكون في قامة الإنسان أو الجبل البادي، وحرة بني عذرة تسمى الكرتوم وهي شمال المدينة وفيها أودية سيول فيها جبال الحرة هذه وفيها عيون ماء وتسمى وادي القرى. وإذا كان منذ العصر الجاهلي وفي جزيرة العرب هذه المنطقة تسمى الكرتوم فقد رجعت أنا للتركيبة السكانية القديمة لسكان بني عذرة فهي بعد الإسلام تكاد تكون هجرت لأن معظم سكانها هاجروا فعندما راجعت الكتب القديمة وجدت سكانها من اليهود كما هو معروف في كتب السيرة والتواريخ وكان فيها أناس من بني هلال بن عامر من بني سليم وفيها قبيلة رفاعة وسكنها عدد كبير من الخزرج ومن فزارة وفيها جماعة من اليهود وهذا له صلة وثيقة لمزيد من الدلالة على توثيق الاسم لأنه كلما وجدت كلمة كرتوم في السودان وجدت نفس التركيبة النوعية للسكان وهم المحس من كلبشة إلى البشاقرة حتى الهلالية وكما هو معلوم المحس ينتمون إلى الخزرج وينتسبون إلى رفاعة وهناك تداخل في شجرة النسب الرفاعية المحسية.

إذاً هذا الاسم جاء مع هذه المجموعة السكانية حيثما سكنوا وحيثما وجدوا هذه الصفة الطبيعية للمكان سموه الكرتوم وهذه مثل الماركة التجارية للمحس لدعواهم في أنهم خزرج وأنهم رفاعيين[1] وقد ذكرت أن التركيبة السكانية فيها يهود واللغة العبرية الكاف في اللغة العربية تقابلها خاء كما تقابل القاف في لغتنا الهمزة عند المصريين وبالتالي كلمة: (ملك) تصير: (ملخ)، و(حكام) تقابلها: (حاخام)، وبالتالي (كرتوم) تقابلها (خرتوم)، وهذا من الارتباط السكاني هناك، والدليل على أن نفس الصخور التي تجري فيها الماء تسمى الخرتوم أن الماء الصافي كان العرب يسمونه خرتوم وهذا فيه دلالة على الذين عدلوا كرتوم إلى خرطوم لأنه أحياناً البنية الصرفية تقول على الاكثر فتقال ماء خرطوم إذا كان صافياً وخمر خرطوم والماء إذا رسب فوق الصخور أصبح صافياً جداً)[2].أهـ

ارتباط مدينة الخرطوم بتوتي في عهد الفونج

كانت عاصمة الفونج سنار وكانت مدينة الخرطوم وقتها امتدادا لسكان توتي والمحس المتفرعين منهم. وكانت المعالم العمرانية لمدينة الخرطوم في آخر عهد الفونج مرتبة من الغرب إلى الشرق على ضفة

(1) هذا بالنسبة لمحس البشاقرة لأنهم اختلطوا مع رفاعة. المؤلف

(2)محاضرة للدكتور جعفر ميرغني –مدير معهد حضارة السودان– ألقاها بتوتي عام 2004م.

النيل الأزرق: حلة المقرن، ومحل أرباب، ومحل إمام، وبري المحس. وأهم تلك المعالم هي حلة المقرن ومحل أرباب.

وكان يقيم في حلة المقرن منذ نشأتها في القرن السادس عشر الميلادي الصواردة –وهم فرع من المحس– والروساب[1]والدرايسة. وهي أقدم أثر عمراني عربي في المنطقة وكان بناؤها عبارة عن أكواخ من القش وجلود البقر.

وأما محل أرباب فقد كان يقيم فيه بعض المحس البداناب والمرزوقاب الذين انتقلوا إليه من بري عند انشاء أرباب العقائد لخلوته، وأيضا كان يسكنه الفتيحاب والجعليون الذين كانوا يتعلمون في الخلوة وهم أقدم سكان المنطقة غير أنهم لم تكن لهم حلة على الجانب الشرقي من النيل الأبيض، وكذلك كان يسكن محل أرباب الطلاب الذين يحضرون من بلاد بعيدة لطلب العلم. وكان بناؤه من اللبن ولذلك عدّ أساس بناء مدينة الخرطوم الحديثة.

وأما محل إمام فقد كان يقيم فيه أولاد وتلاميذ إمام ود محمد[2] وهو فقيه محسي كانت له خلوة في ذلك المحل وعند وفاته دفن فيه. وقد كانت مدافن المنطقة المحيطة بالخرطوم في منطقة قبره واستمر الأمر بعد ذلك حينا ثم حول مكان المقابر. ثم لما شق الحكم الإنجليزي شارع فكتوريا (القصر الآن) وسط المقابر نقل مقبرة الفقيه إمام إلى غرب مكانها مباشرة حيث مقبرة (أبو جنزير) وهو الاسم الذي أطلق عليها بعد النقل بسبب إحاطتها بجنزير من الحديد[3].

وأما بري المحس فقد كان يقيم فيها المحس المرزوقاب وعلى الأخص البداناب.

وعلى ضفاف النيل كانت تمتد سواقي المحس، وهي الأراضي الزراعية التي تسقى بالسواقي وتمتد على طول الضفة المواجهة لجزيرة توتي. حيث كان أهل توتي يزرعونها.

---

(1) ور في كتاب تاريخ مدينة الخرطوم – أنهم الصورادة الروساب. والأصح أن الروساب جعليون وليسوا صواردة، وهم أبناء خلف الله الملقب أبو الروس بن علي بن محمد بن حسين بن محمد بن سعد بن عبد الدائم بن عدلان بن عرمان جد الجعليين. عن الطاهر.

(2) إمام بن محمد بن عبد الرحمن بن كرم الله بن شكر بن سمرة بن عصفور بن سليمان بن محمد كبان بن محمد (عجم).

(3) من مواضع متفرقة من كتاب تاريخ مدينة الخرطوم – وقد ذكر الكاتب أن أهل الفقيه إمام كانوا يشرفون على مقبرته ويتلقون النذور إلى يوم كتابته الكتاب(حوالي عام 1958م). قلت: وآخر من تولى ذلك منهم آمنة (كلول) بنت محمد (تي). عن الطاهر وكمال أحمد البشير.

توتي والخرطوم في عهد الترك

في أوائل عهد الترك كان سكان الخرطوم ثلاثة أصناف: المحس، وكانوا يعملون كمعلمين للقرآن. والجعليين، وكانوا "سبّابة" والسبّابي هو التاجر الذي يحمل بضاعته على حمار ويطوف بها على القرى. والدناقلة، وقد قدموا مع الترك وكانوا كبار التجار. [1]

وكان الأتراك أول ما وصلوا إلى السودان قد حاولوا اتخاذ عدة أماكن عاصمة لهم، ثم استقر بهم الأمر في الخرطوم التي اتخذوها أولا معسكرا لجيوشهم، ثم ما لبثت أن تحولت عاصمة لهم.

وقد كانت بداية العلاقة بين الحكم التركي وأهل توتي والخرطوم سيئة جدا، حيث إن الدفتردار[2] لما وصل إلى الخرطوم "قتل توتي" على نص عبارة كاتب الشونة [3]. وذلك بعد أن أحرق حلة خوجلي التي وجدها خالية من السكان وهدم القبة، وقبلها أحرق حلفاية الملوك بعد أن وجدها خالية من السكان كذلك[4]. وأمر عثمان بك الذي وصل إلى الخرطوم سنة 1824م فهدم مسجد أرباب العقائد وقتل الفقيه أرباب ود كامل بن الفقيه علي بن أرباب العقائد خليفة الخرطوم، حيث جيء بالشيخ وربط على فوهة المدفع، وأمر به فأطلق في الهواء وتناثرت جثته رحمه الله تعالى[5]، الأمر الذي أدى إلى توقف سيل المريدين الذي كان ينصب على جامع وخلوة أرباب العقائد وقضى على سكنى هؤلاء إلى جانب الجامع، وهي التي كانت قد أعطت محل أرباب وحلة المقرن الشكل العمراني الذي كانا عليه قبل الحكم التركي.

ثم نمت المدينة في العهد التركي ودخلت الحَلّال في مدينة واحدة، وقد كانت في أول العهد التركي مخططة على أن طرقا هي عبارة عن مشارع من الشمال إلى الجنوب تخترق سواقي المحس لتنتهي إلى شارع عرضي يتصل بالمسجد الذي بناه الترك وكان المسجد الوحيد في المدينة؛ والسوق. وكان لأهل توتي شارعان يصلان إليه:

أولها وأقدمهما مشرع أرباب وهو أول طريق يدخل المدينة من ناحية الغرب وهو طريق سكان توتي إلى جامع أرباب العقائد قبل الحكم التركي. وظل طوال العهد التركي أحد الطرق التي توصلهم إلى الجامع والسوق.

---

(1) د.أحمد أحمد سيد أحمد، تاريخ الخرطوم.

(2) محمد بيه الاسطنبولي، أرسله محمد علي باشا حاكم مصر للانتقام لمقتل ابنه اسماعيل باشا الذي قتله الملك نمر ملك الجعليين – فعاث في البلاد فسادا وقتل الناس وتفنن في تعذيبهم بلا ذنب ولا جريرة.

(3) وممن قتله الدفتردار محمد نور بن عبد الرحمن بن إدريس بن شكرته السعدلابي.

(4) من مقال للأستاذ قيس إبراهيم أحمد علي الشكرتابي.

(5) Sudan Note العدد 18 لسنة 1935 بعنوان قصة مدينة الخرطوم بقلم ويكلي.

والطريق الآخر هو مشرع القاضي وقد كبر دوره وتفوق على طريق مشرع أرباب في العهد التركي. ويقع هذا الطريق مكان شارع الحرية اليوم.

كما أن آخر طريق يدخل الخرطوم من ناحية الشرق هو مشرع المحس وهو محط عبور محس بري. ويقع هذا الطريق مكان شارع كرومر الآن.

ثم إن الحكمدار موسى حمدي باشا (1862م-1865) أعاد بناء وعمارة مسجد أرباب العقائد الذي ظل متداعي البنيان منذ هدمه الدفتردار، ليعود من المعالم البارزة في المدينة كما كان. ولتصبح الخلوة الملحقة به من أهم خلاوى الخرطوم في العهد التركي. إضافة إلى خلوة الفقيه علي ود إدريس[1] وهو محسي من جزيرة توتي. وخلوة (صباحي) وهو أحد الفتيحاب من سكان الخرطوم.[2]

وفي أغسطس سنة 1866م فكر الخديوي إسماعيل حاكم مصر والسودان في نقل العاصمة من الخرطوم إلى جزيرة توتي، وذلك أن الخرطوم أصابها مطر قوي أدى إلى إصابتها بكثير من الأضرار، وتزامن ذلك مع غرق المدينة بفيضان النيل. وذلك لأن جزيرة توتي تتمتع بمميزات موقع الخرطوم، وتزيد عليها أنها عالية لا تصل مياه الفيضان - مهما زاد خطرها - إلى وسطها، ويسمح ارتفاعها دائما بتسرب مياه الأمطار إلى النيل. ومن أجل ذلك كتب الخديوي إلى الحكمدار جعفر مظهر (ديسمبر 1865-سبتمبر 1871) بنقل العاصمة تدريجا إلى الجزيرة " إذا كان هذا من الهين وفيه فوائد جمة، وكانت الجزيرة المذكورة تصلح أكثر من الخرطوم لاتخاذها مركزا" ولكن الحكمدار رأى أن دواعي النقل غير كافية ما دام قادرا على اصلاح ما أفسدته الطبيعة وتجديد المباني الأميرية في الخرطوم، خاصة وأنه يمكنه الإستعانة في تنفيذ برنامجه بمحاجر اكتشفت وقتئذ على ضفاف النيلين بالقرب من الخرطوم وباستخدام عمال الحكومة في إقامة المباني الأميرية. حتى إذا أتموها أسهموا بعد ذلك في إقامة مباني المواطنين. وقد كتب الحكمدار بوجهة نظره هذه إلى الخديوي الذي أجازها.[3]

وأما على الصعيد الاجتماعي فقد كانت معاملة الأتراك للسكان سيئة للغاية حتى أنهم كانوا يجبرون كل من مرّ بالقرب من الميناء النهري لأن يعمل في تفريغ شحنات السفن بالقوة ويجلدون الناس بالسياط في سبيل ذلك. وذلك إضافة إلى الفساد الإداري والظلم الاجتماعي وكثرة الضرائب ومضايقة المسئولين للناس في معايشهم. وأما الموظفون فكان حالهم أفضل، وكان لكثير من الموظفين السودانيين في الخرطوم -بحكم أنهم أصلا من المنطقة المحيطة بالمدينة-منازل في جزيرة توتي وحلة خوجلي علاوة على منازلهم في الخرطوم، مما أضاف أسبابا إلى نمو حلة خوجلي في العهد التركي ونشاط المعدية بين الخرطوم

---

(1) هو الفقيه علي بن إدريس بن الفقيه عامر بن الفقيه موسى الضيق الغردقابي.

(2) تاريخ مدينة الخرطوم.

(3) كل المعلومات التي وردت في وصف الخرطوم في العهد التركي وما قبله مأخوذة من أماكن متفرقة من كتاب تاريخ مدينة الخرطوم لمؤلفه د.أحمد أحمد سيد أحمد.

وهاتين الجهتين. كما كان لهم كيان ووجود كبيران في مجتمع الخرطوم الراقي، وكان بين الكثير منهم وبعض الحكمداريين علاقات متينة، وآية ذلك ما كان بين الحكمدار جعفر مظهر – الذي حدثت نهضة فكرية بين علماء السودان في عهده–والشيخ الأمين الضرير شيخ الإسلام من رابطة حب العلم والاطلاع[1].

شيخ الإسلام الأمين الضرير والحكم التركي

كان الشيخ الأمين الضرير[2] فقيها وعالما متميزا ومثقفا واسع الإطلاع، وقد نشأت بينه وبين حكمدار السودان جعفر مظهر علاقة وطيدة، فعينه (شيخ مميز علماء السودان)، وهو أول من ولي هذا المنصب، ونتيجة لذلك فقد رحل الشيخ الضرير من توتي إلى الخرطوم وأقام بها. ولما ظهر محمد أحمد الدنقلاوي[3] وحارب التركية مدعيا أنه مهدي آخر الزمان المنتظر، أفتى الشيخ الأمين بأنه مدع، وكتب كتابا بين فيه حقيقه المهدية وشروطها عند العلماء أسماه: (هدي المستهدي إلى بيان المهدي والمتمهدي) [4]. ورغم ذلك فإن المهدي أمر الأنصار بأن لا يقتلوه إذا دخلوا الخرطوم. إلا أنه توفي بعد دخولهم الخرطوم مباشرة. وصلى عليه المهدي في حشد كبير للغاية لم تشهد البقعة مثله.

---

(1) تاريخ الخرطوم .

(2) الأمين (الضرير) بن محمد بن الأمين بن محمد النور بن موسى بن سليمان بن موسى بن علي بن طاع الله بن أحمد (علبك) بن محمد (مقيود) بن غردقة. ولد بتوتي عام 1815م، وتلقى العلم على يد الشيخ إبراهيم بن أحمد ولد عيسى بمسيد ود عيسى جنوب الخرطوم، له مؤلفات في علم الفرائض وأشعار في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، وبحوث علمية منشورة في المجلات المصرية (الوقائع، والجوائب، وروضة المدارس). وتروى عنه في الذكاء نوادر، منها أن خديوي مصر نشر مسابقة فيها نقط آية دون حروفها، فلم يعرفها أحد إلا الشيخ الضرير. وممن درس علي يديه الفقيه مضوي بن بركات بن طاع الله بن موسى، والفقيه بابكر الجاركوك، والفقيه داوود (والد الفقيه الدكتور الأمين داوود) ، وفي رفاعة الشيخ محمد عمر البنا، والشيخ يوسف النعمة والشيخ أحمد عوض الله. توفي سنة 1885م رحمه الله تعالى.

(3) ادعى أنه المهدي المنتظر وحارب الإنجليز والترك، وحرر البلاد منهم، وحكم البلاد بشرع الله، وتوفي بعد أن دخل الخرطوم وقتل الحاكم الإنجليزي الذي عينه الترك عليها وهو "غوردون باشا" عام 1885م.

(4) وعد حروف اسم الكتاب وفق نظام العد الأبجدي تأريخ للعام الذي ألف فيه الكتاب. والكتاب اليوم مخطوطة عند ذرية الفقيه الأمين الضرير، ويملك المؤلف نسخة منها.

توتي في عهد المهدية

في عام 1965م أجري تسجيل لرواية الفقيه النور بن الفقيه محمد بن أحمد بن مضوي حول تاريخ توتي مع المهدية. وكان رحمه الله قد عمّر أكثر من مائة عام. وهذا نص ما قاله[1]:

(كنا إبان الجحيم التركي مستائين بسبب ما وصلت إليه البلاد من فساد إدارة وظلم اجتماعي، وبظهور منشور المهدي الذي جاء فيه أنه ينوي تحرير الخرطوم من أيدي الكفرة الفجرة استبشرنا خيرا بالمهدي الذي يريد أن يصلح هذا الفساد ويحكمنا بالإسلام.



محمد أحمد المهدي

بعد أن وصل المهدي ونزل بديم أبي سعد –وكان حمدان أبو عنجة[2] من قبل قد نزل في الجهة الجنوبية من أم درمان –ذهبنا إليه بخيولنا وجمالنا. وكنا في ذلك الزمان نسكن بالقرب من المرخيات بأمر غردون الذي أمر بإخلاء توتي ودخول الخرطوم أو الصبابي لكي نحمي ونذود عن الخرطوم عند هجوم المهدي. واختار أبونا ذلك المكان. فأتينا بخيولنا لمقابلة أبي عنجة الذي وصل قبل المهدي.

وبعد ثلاثة أيام وصل المهدي إلى شجرة الحضرة (الفتيحاب) وهناك عسكر بجيشه. وبعد شهرين تحرك المهدي وعائلته ودخلوا أم درمان مكان الحوش والقبة الآن. وفي مكان القبة كانت خلوته الصغيرة.

وفي مساء الأحد يوم 24 يناير 1885م أمر المهدي بدخول الخرطوم وبدأ الهجوم في الصباح الباكر. فحطموا الأسوار وراحوا يقتلون كل من يصادفهم. وبعد قتال دام –قتل فيه عدد كبير من الأبرياء – ضربت البواري تنبه بوقوف القتال.

---

(1) سجل حديث الفقيه النور على شريط كاسيت وتم إفراغه بواسطة مولانا الشيخ عبد الحميد عثمان عصملي وقد حضر التسجيل الأستاذ: صديق الزين الفكي مدني والأستاذ قيس إبراهيم أحمد علي. وقد توفي الفقيه النور رحمه الله في نفس العام.

(2) حمدان بن أحمد بن عز الدين. حمدان أبو عَنْجَة هو واحد من أشهر القادة العسكريين في الدولة المهدية بالسودان. شارك في أكثر من موقعة وعملية عسكرية خاضتها جيوش المهدية ضد القوات التركية وانتصرت فيها، ومن بينها معركة شيكان وتحرير مدينة الأبيض وسقوط الخرطوم.

وبعد ثلاثة أيام من دخول الخرطوم حضرنا لنعرف ما حصل لأهلنا فوجدنا الشوارع كلها جنائز منتفخة عليها آثار الطعون. وتعرفنا على كثير من مواطنينا الذين قتلوا، أمثال: ود دار صليح[1]، وعلي ود صباحي[2] وآخرين[3]. ثم قفلنا راجعين.

وبعد أن استقرت الأحوال وهدأت الأمور عند المهدي بدأنا نتسرب ونهجر الموطن المؤقت إلى موطننا الأصلي.

بعدها استقرت الأحوال وعين المهدي (مقاديم) و (ملازمين) و (كتّاب) في دولته من توتي، أمثال: النور الجريفاوي[4] البلولة وحاج حمزة[5].

وقبل أن يضع النظم الإدارية والتخطيطات لدولته انتقل إلى الرفيق الأعلى. والرأي الأرجح لقصة موته هو أن سلاطين باشا والخليفة عبد الله دبرا قتله إذ وضعا السم في لبنه وأعطوه له، فمات في نفس الليلة التي تناول فيها اللبن. وبموته انهدم صرح، وانهدمت كل الدولة. وأصبح الخليفة عبد الله خلفا له.

الخليفة عبد الله:

تسلم الخليفة الأمور، ولم يرض أهل البحر[6] والأشراف عنه. وبدأ عهده رهيبا نفّر الناس من المهدية. وبعدها جلب التعايشي أهله البقارة لكي ينصروه على الخارجين.

---

(1) عبد الله بك ود دار صليح، واسمه عبدالله بن محمد بن دليل بن ضو البيت العبودي. وكان ضابطا في الجيش التركي برتبة (أميرلاي)، ودار صليح لقب أبيه. عن الطاهر وقيس.

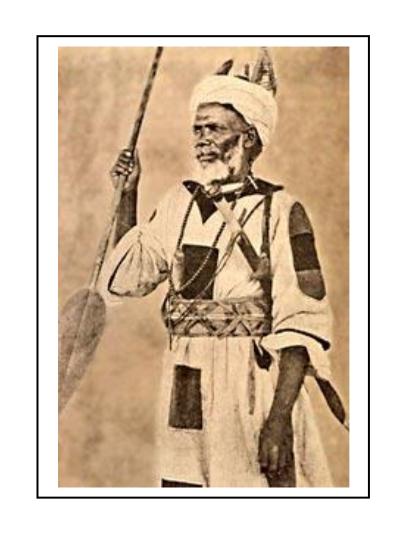
(2) علي بن صباحي بن أحمد بن صباحي بن أحمد بن صباحي بن محمد (حمودة) بن الحاج العمراني الغردقابي.

(3) وممن قتل أيضا حسن ود الفقيه علي بن حسن بن حمد بن قنديل بن منوفلي السعدلابي، وكان ضابطا بالجيش التركي برتبة (أميرلاي). والفقيه العجب بن الحاج أحمد الجاركوك. والفقيه أحمد بن الفقيه محمد النور بن نعيم السعدلابي قتل بساقيته مكان مسجد الشهيد بالخرطوم اليوم. وأحمد بن عثمان بن محمد بن الضو ود الشيخ بر أبو البتول. قتلوه ذبحا أما منزله وعياله. وهو والد محمد (الأفندي) الذي انتقل إلى شمبات واشتهر بها.

(4) النور بن إبراهيم بن النور بن عبد الله الجريفاوي البرقاوي الصليحابي الجعلي. وأمه النخيل بنت أحمد بن المشرف بن محمد بن دليل بن عمر المكنابي. وأم أبيه زينب بنت راد الله بن أحمد بن دليل بن عمر المكنابية. عن الطاهر. وقد كان من قواد المهدية المشهورين، وقد عينه عبد الله التعايشي أمينا لبيت المال.

(5) هو الحاج حمزة بن محمد بن الفقيه أحمد بن موسى بن جاد الكريم بن مضوي بن جاد الكريم بن الفقيه موسى (الضيق). عن الطاهر.

(6) تعبير مستخدم في وسط السودان لتفريق سكان النيل عن أهل غرب السودان.



الخليفة عبد الله التعايشي

وبعد أن استتبت الأحوال بعض الشيء وجد الخليفة خيوله وجماله وحميره تكاد تموت لعدم وجود علف كاف لها في أم درمان. وهنا بدرت له فكرة وهي: تحويل توتي إلى مرعى كبير للخيول والحمير والجمال. وجاء برسله لكي يخطروا الناس بأنهم ينوون ترحيلهم لزراعة توتي علفا لبهائمهم.

هذا هو أول يوم نصطدم فيه بالمهدية. وقد دحرنا الرسل بعد أن أوسعناهم ضربا. وبعدها جاء الأمير يعقوب وسيق كل الشبان والشيوخ إلى أم درمان. وكتب عدد كبير من الشبان وسلموا إلى أبي قرجة. وبعدها وصلنا إلى حل: نسلم المهدية ساقية ونسوق ساقية (ساقية لهم وساقية لنا). [1] وقد كانت (بيت قدوم) من نصيب أحمد شرفي[2]. ومن درب المسيد إلى الطابية كانت من نصيب يعقوب[3].

وبدأ الخليفة يتغلغل في توتي إلى أن ثبت أقدامه وبنى بها بيت الأمانة لحفظ السلاح، وبنى بها ورشة لصنع البارود والبنادق ودق السيوف والرماح. وكان المسئول عن الحراسة (البرتا والتاما). أما التعايشة فملاك أراضي ومساكن.

وفي عام 1305هـ وبعد أن ضيقوا علينا الخناق وكسروا المنازل في الحلة ارتحل عدد كبير إلى أم درمان وبحري والديم وبري، وبقي عدد ضئيل يسكن حمد النيل.

---

(1) وكان من ضمن الوفود التي تفاوض (حاج الشيخ ود ضو، وأحمد ود أب سن، وأحمد عبد القادر) من كتيب عن حاج الشيخ، أعده خوجلي محمد خوجلي ولم يطبع. وأيضا ممن كان بالوفد علي الأحمر الشكرتابي، وقيل أنه حضر اجتماعا تكلم فيه مع الخليفة عبد الله التعايشي بكلام شديد، ثم غاب عن الاجتماع التالي فقال الخليفة: (الأحيمر وين هو؟)، وهذا هو سبب اشتهاره بلقب الأحمر. عن رواية قيس إبراهيم أحمد علي الشكرتابي.

(2) هو أحمد بن محمد بن علي (شرفي) بن محمد بن علي بن شرف الكنزي.

(3) هو أخو الخليفة عبد الله بن محمد التعايشي. وكان من قواد المهدية، لقب بـ (جراب الرأي) لرجاحة عقله.

كان المنتوج الزراعي من العيش في 1304هـ خارقا للعادة لغزارة الأمطار، ودفن في مطامير لنوائب الدهر. وعندما امروا بالخروج كانت الوسيلة الوحيدة لنقله هي المراكب، وعندما رأى اتباع الخليفة القناطير المقنطرة من العيش الذي تنعم به فئة قليلة من الناس أمر أتباعه بالاستيلاء عليه جميعا. واستقر بنا المقام في حوش كبير بالقرب من بركات مخازن لإنتاج القماير بإذن من النور الجريفاوي، وجزء منا سكن الديم ثم بري. وبجوار القبة. كنا نسكن هناك ونأتي لنعمل في سواقينا بالمراكب يوميا.

مجاعة سنة ستة (1306هـ):

لم نتأثر بالمجاعة الفعلية التي حصلت عام ستة هجرية. ولكن تأثرنا بها سنة سبعة هجرية بعد أن صادر الخليفة أملاكنا من العيش وأمر بصرف ربع لكل بيت يوميا. وكانت العوائل تتكون من عدد وفير من الصبيان، وقد كان كل صبي يقوم بصرف العيش، وبهذا استطعنا أن نوفر مقدارا غير ضئيل من القوت.

وفي سنة ستة هجرية عندما نفد عيش الحكومة كنا على عكسهم. لأننا خزّنا العيش الوافر، وهذا هو الذي أنجانا من المجاعة، ولكن لم نسلم من غارات الجهادية الجائعين الذين يستولون على أي شيء يطعمهم.

وكان راتب النفر أربعة كيلات، والجواد كذلك. وكنا نشتريه من العرب بعد أن يعطيهم إياه الأمين. ونحن على هذه الحال جاءت سنة 1307هـ سنة أذابت اللحم ونقت العظم، فنفد كل ما نملكه من عيش، وبدأ الجدري يفعل فينا ما فعل: مرض وموت بالجملة وجوع.

وهنا فكرنا في ترك أم درمان وبدأنا بالتسلل إلى توتي. وبعد تلك الأيام من الضيق وفي نصف سنة 1307هـ تم رحيل كل الأهالي. وبدأوا يبنون بيوتهم بعد أن كانت من القش لقرب الخريف. وكانت كل مجموعة من العائلات تسكن في منطقة حول البحر: (بيت قدوم) و (بحر الهوى) و (الدومات).

وكان الفقيه محمد قد بنى خلوة في الدومات، وعندما تكون هنالك جنازة تحضر بالبحر، ويصلي، ثم إلى بحري. والذي يمر —ولو سهوا–يقطعها من الشرق إلى الغرب أو أي جهة عكسية يكون مصيره السجن أو الغرامة أو العقوبتان معا.

وظللنا على هذه الحالة عام 7 و 8 و 9 و 1310هـ. وفي نهاية عام 1315هـ وبداية 1316هـ بدأت طلائع جيوش الاحتلال تأتي. وعندها وجدنا المخرج من ذلك الاضطهاد. وجاءنا مكتوب من النور الجريفاوي– بعد أن شفع لنا عند الخليفة– مضمونه: (أن ننتقل وأهلنا من البحر إلى داخل الحلة بعد أن نُقِلّ كل عمال المهدية مع المؤن والذخائر والسلاح إلى أم درمان).

وتجمعنا حيث أدخلنا النساء في الورشة [1] ، وكانت بها رواكيب كبيرة معروشة. وكانت هناك عدة طوابي: واحدة باقية إلى اليوم،[2] والثانية كانت في وسط الحلة محل منزل الشيخ إدريس، والأخيرة كانت في (بيت قدوم). وأول الهجوم دكت مدفعية كتشنر هذه الطوابي والقبة. [3]



جانب من طابية الرويس أقصى شمال توتي (2006م)

الخليفة عبد الله والفقيه محمد:

كنا على عادتنا إذا سمعنا الأذان نأتي إلى المصلى فنصلي خلف الفقيه محمد[4]. ويوما رآنا أحد الجهادية نتوافد بعد الأذان لأداء الفريضة، فتعجب: من يكون هذا الشيخ؟! فذهب إلى الخليفة عبد الله وأخبره بما رآه: (إنت قاعد كي والناس من توتي في واحد سموه الفكي، كان قال: الله أكبر تسمع في البقعة). فسأل الخليفة عبد القادر ود أم مريوم عن هذا الشيخ وورعه. وبعدها أرسل الخليفة أخاه الأمير يعقوب لإحضار ذلك الفقيه.

وجاء مكتوب من عبد القادر ود أم مريوم يخطر الفقيه فيه بطلب حضوره. وعند قراءة المكتوب وعند صلاة الفجر أجهش الناس بالبكاء –لا يعلمون ما سيفعل بشيخهم–وفي منتصف النهار حضر

(1) مكانها بحي الورشة اليوم، وسيأتي ذكرها لاحقا.

(2) وتقع بالرويس – رأس توتي الشمالي – وهي دائرية الشكل وقد كانت مزوَّدة بمدفع حبلي واحد بقيادة علي عبد الجبار وتحت إمرة طاقم مكوَّن من اثنين بقيادة جمعة علي العمراني.

(3) وقد كانت الطوابي تحت قيادة عبد الجبار برتي.

(4) المقصود الفقيه محمد أحمد مضوي العونابي.

يعقوب لكي يأخذ الفقيه إلى أم درمان. وسأله عن سبب بقائه في توتي: (ما نحن الخلق كلها جبناها هنا، إنت قاعد في الحلة دي بتسوي شنو؟) فأجابه: (بدرس أولاد المسلمين). وعندها دهش يعقوب عندما وجد ألواح التلاميذ وعليها كل المصحف من البقرة إلى الناس. وسر سرورا عظيما. وأخذ يتحدث إليه إلى أن أدركهم العصر. فصلوا العصر، ثم بعدها ذهب يعقوب إلى أم درمان.

في الصباح ذهب الفقيه إلى أم درمان وكان يصحبه جمع غفير من الناس بعد أن ترك كل واحد عمله في انتظار ما سيفعل بالفقيه.

وصل أم درمان ودخل على الخليفة، ودار بينهما حديث ديني شيق، وأوصى كل واحد أخاه، ثم ودعه بعد أن صلى معه المغرب. وعرف الخليفة في الفقيه ذلك الرجل الورع التقي الذي تطبع بالقران — (راجل بلا القرآن ما عنده شغلة، فارق الحرام، أجيب ليهو الكلام؟ يا زول انت بتقري القرآن لى ولاد المسلمين أنا عفيت عنك).

الخليفة عبد الله وعبد القادر ود أم مريوم:

كان عبد القادر[1] من العلماء الذين ولوا السلطة القضائية في زمن الخليفة.

وجد الخليفة عبد الله تضخما في الأموال التي غنمت مع بقايا الدولة التركية، فأمر علماءه بإصدار فتوى يستحل بها هذه الأموال ويحولها إلى منفعته الخاصة. وكان رأي العلماء واضحا–عبد القادر وابن الزهراء[2]–وهو أنهم سيموتون في الحق ولن يتجلجلوا عنه.

وفي موعد تسليم الفتوى حضروا إلى الخليفة وأعلنوها صريحة: (لم نجد مخرجا تحل لك به هذه الأموال). وعندها ثار عليهم الخليفة فأمر بحبسهم. وفي المحبس منع ابن الزهراء من الأكل والشرب فمات في محبسه. أما عبد القادر فبعد أن جلد نفي إلى فشودة. وعفا عنه الخليفة بعد مدة وأحضره إلى أم درمان لكي يعينه على تسيير الأمور.وعند الحرب كان عبد القادر أحد ملازميه.

وعندما حميت الحرب أفتى الخليفة بالهجرة —النبي صلى الله عليه وسلم عندما جاهد ولم يجد نصيرا كان يذهب أو ينسحب من الحرب بغية تقوية جيشه ثم يعيد الكرة–لهذا هاجر الخليفة إلى أم دبيكرات بغية أن يجمع حوله أناسا عسى أن يسترد بهم دولته التي سقطت في أيدي الحكم الإنجليزي ولكن لم يتركوه يبلغ ما أراد، فتبعوه إلى أن قتلوه ومن معه. وبعدها دانت البلاد كلها للحكم الانجليزي) أهـ. انتهى كلام الفقيه النور.

---

(1) عبد القادر بن إبراهيم بن محمد بن المنصور بن محمد النور بن الشيخ حمد ود أم مريوم. وكان يسكن أيام المهدية في منطقة الفتيحاب الحالية مع بعض أهله، وكانت تعرف بديم عبد القادر ود أم مريوم، ثم إنه هجرها بعد المهدية مع أهله إلى توتي ثم إلى حلة حمد. ورحل الفتيحاب بعد سنة 1900م من مكانهم الأصلي مكان سلاح المهندسين الآن إلى ديم عبد القادر ود أم مريوم.

(2) حسين بن إبراهيم المشهور بود الزهراء. قاضي الإسلام. قتله الخليفة عبد الله التعايشي عام 1895م. وكان قد قتل سلفه قاضي الإسلام أحمد علي في 1894م.



الخليفة عبد الله التعايشي يقود الجيوش لمحاربة الإنجليز

ويمكن أن نضيف إلى كلام الفقيه النور أن المهدي لما دخل الخرطوم كان لأهل توتي فيها مركز ديني مرموق يتمثل في خلافة أرباب العقائد بالخرطوم، وشيخ الإسلام الأمين الضرير عالم الدولة التركية بالسودان.

وقد قتل أنصار المهدي خليفة أرباب العقائد – لما دخلوا الخرطوم – بمسجد جده رحمه الله تعالى وهو: الفقيه محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن الكامل بن علي بن أحمد (أرباب العقائد).

ويبدو أن المهدي حاول ترميم ما انكسر مع أهل توتي، فنزل في سراية بابكر ود الجاركوك – وكانت إحدى سرايتين[1] في الخرطوم، وكانت الثانية لغوردون باشا – وتزوج ابنته آمنة بنت بابكر الجاكوك، التي قتل زوجها الفقيه العجب بن الحاج أحمد الجاركوك على يده[2]. وصلى أول جمعة له بمسجد أرباب العقائد.

وقد كانت علاقة المهدي مع الشيخ الضرير جيدة، رغم إنكار الشيخ الضرير عليه إدعاءه المهدية. وذلك أن الشيخ الأمين الضرير خالف الترك وحرض الناس على القتال مع الشيخ العبيد ود بدر لما عين الترك غوردون باشا النصراني حكمدارا عاما على السودان، واتصل سرا بالمهدي عند حصار الخرطوم. [3] ويقال إن محمد أحمد (المهدي) حضر بعض دروس الشيخ الضرير قبل أن يدعي المهدية. وأنه أقنع المهدي بترك ادعاء المهدية بعد دخوله الخرطوم، غير أن الخليفة عبد الله التعايشي سمّه قبل أن يفعل

(1) السراية: كلمة تركية وتعني القصر.

(2) رواية عن فوزي بن الأمين ود نمر البدانابي وآخرين.

(3) تاريخ مدينة الخرطوم. ورواية شفوية عن محمد الأمين (سيد الحوش)، والشيخ الأمين الضرير جده من جهة أمه.

ذلك. [1] وأن عبد الله التعايشي –في حياة المهدي– لم يكن يحب الشيخ الضرير وكان يمنعه من التدريس قائلا: (لا ألفينك بعد اليوم تحدث عن فلان وفلان فهذا العلم قد رفع وبقي علم المهدي فقط)، وقد اضطر الشيخ نتيجة لذلك إلى التدريس سرا. ويقال إن عبد الله التعايشي أحضر أحد حيران المهدي وطلب من الشيخ الأمين الضرير إلتزام هذا الحوار وتعلّم راتب المهدي عنه، فدعى الشيخ الضرير الله أن يقبضه إليه قبل أن يفتن في دينه، وتوفي بعدها بقليل، بعد ثلاثة أشهر من دخول المهدي الخرطوم. وصلى عليه المهدي في حشد لم تشهد البقعة مثله كما مر. [2]



غوردون

وقد انضم عالمان من أبناء الفقيه الأمين الضرير إلى المهدي، أولهما الفقيه علي بن الفقيه الأمين الضرير وهو أكبر اخوته وكان عالما بايع المهدي – غير أنه لم يصدق بمهديته – وشهد شيكان وكان من أمراء المهدية ولقبه المهدي بعلي الصادق وظل أميرا على المحس حتى استشهد مع ود النجومي[3] بدنقلا. [4]

وثانيهما الفقيه عبد الرحمن بن الفقيه الأمين الضرير وقد تولى الإمارة بعد أخيه علي إلى نهاية المهدية وعين قاضيا شرعيا طاف السودان، وكانت له مواقف ضد الانجليز.

---

(1) رواية شفوية عن محمد الأمين (سيد الحوش)، وعن قرشي بن عباس بن بابكر بن محمد بن قرشي بن أحمد بن الزين بن عجيمي بن منوفلي. غير أن قرشي قال إن المهدي قبل ادعاء المهدية درس في بعض خلاوي توتي كما درس في غيرها، وقال إن الذي أقنع المهدي بفكرة العدول عن المهدية هو الشيخ محمد شريف. وربما كان أكثر من عالم قد حاول إقناع المهدي بالتراجع عن ادعائه المهدية.

(2) رواية عن محمد الأمين (سيد الحوش) بن أحمد بن علي الغردقابي.

(3) هو عبدالرحمن بن أحمد بن محمد (النجومي) ولد بالخوجلاب شمال الخرطوم عام 1854م. ووالدته هي الحاجة زينب بنت عبدالرحمن بن الشيخ خوجلي أبوالجاز. من أكثر أمراء الثورة المهدية وقادتها شهرة ومهارة، إشتغل بالتجارة قبل الإنضمام إليها في مراحل نشأتها الأولى وشارك في أهم معاركها الحربية وكلف بقيادة حملتها على مصر . كتب إلى غردون في حصار الخرطوم الخطاب التالي:(اعلم أني ود النجومي أمير أمراء جيوش المهدية، الملقب بسيف الله المسلول، و فاتح كردفان و الداير، و قد جئتك بجيوش لا طاقة لك بها، و مدافع لا قدرة لك على احتمالها، فسلم تسلم، و لا تسفك دماء العساكر، و الأهلين بعنادك. و السلام).

(4) رواية عن قيس إبراهيم أحمد علي الشكرتابي ومحمد الأمين (سيد الحوش).

وقد اتخذت المهدية مرفقين مهمين للدولة داخل توتي، وهما ورشة لصنع السلاح – البنادق والبارود والسيوف والرماح، وسك النقود المعروفة بـ (أبو جزولي)، ومكانها في حي الورشة الحالي. وبيت الأمانة الذي يحفظ به السلاح والنقود – ثم ترحل إلى بيت المال بأم درمان بالمراكب – وكان من أهل توتي من يعمل به كمحمد بن قرشي بن أحمد بن الزين. (1) ويقع مبناه بالملجة ومبناه في الأصل خلوة الشيخ أرباب العقائد ومكانه الآن مركز الشاووشاب، غير أنه كان كبيرا يشمل كثيرا من البيوت التي حوله الآن، وله حائط عريض من الحجر يصل عرضه إلى نصف متر. (2)

وقد عين النور الجريفاوي أمينا لبيت المال عام 1307هـ وهو ما يوافق العام 1890م. وقد كان قبل المهدية تاجرا وأمينا لبيت مال بربر. (3)

وشارك بعض أبناء توتي ممن اشتهروا بالشجاعة والفروسية في جيوش المهدية كبابكر بن محمد بن قرشي بن أحمد بن الزين الذي كان "قائد ميّة" في جيوش المهدي، وأحمد ود أب سن الذي شارك في معارك الشرق مع عثمان دقنة. ومن الطرف التي حصلت له، أنه كان يمشي مع الجيش برجليه، فظن أحد الشكرية أنه من آل أب سن زعماء الشكرية، فأهداه جملا، وقال: (حرام أن يمشي أحد أبناء أب سن برجليه) (4). وكحاج الشيخ ود الضو (5) الذي شارك بالإضافة إلى معارك الشرق مع عثمان دقنة في معركة القصر لتحرير الخرطوم وقتل غردون. وقد وُجِد ضمن تركته سيف غوردون باشا. (6)

---

(1) وكان له بيت من طابقين من اللبن في الملجة، وقد قتله الأنصار لما عادوا مهزومين من كرري حيث قيل إنه استفزهم فقتلوه على تبروقته (وهي سجادة من جلد البقر أو الضأن تدبغ بالملح والقطران وتكون عادة بيضاء وناعمة). رواية شفوية عن قرشي بن عباس بن بابكر بن محمد بن قرشي.

(2) رواية عن قرشي بن عباس بن بابكر. و محمد الأمين (سيد الحوش) أحمد بن علي الغردقابي. و فوزي بن الأمين ود نمر البدانابي وآخرين.

(3) ب.م.هولت – دولة المهدية في السودان. وفي عام 1894م شكى الخليفة عبد الله التعايشي من تزوير العملة فتعهد له وقيع الله المحسي بسك عملة لا يمكن تزويرها. وقد سكها لكنها زورت بعد فترة. ووقيع الله المحسي المذكور هو وقيع الله بن إدريس بن سوركتي وكان يسكن أم درمان وهو والد فاطمة (الزهراء) أم أولاد أحمد بن أرباب بن أحمد (لقمان) وهم سراج النور وستنا (كندورة) التي هي جدة المؤلف لأبيه.

(4) من كتيب عن حاج الشيخ ود ضو أعده خوجلي محمد خوجلي ولم يطبع.

(5) هو حاج الشيخ بن محمد بن أحمد بن موسى بن يس بن إبراهيم ود ضو البداني. توفي في بداية الستينات من القرن العشرين عن عمر جاوز المائة وعشرين سنة، وكان مشتهرا بالقوة والشجاعة، ويعمل في حراسة قوافل الحجيج، وتروى عنه في ذلك بطولات، فقد قتل مرة ثلاثة فرسان اختطفوا إحدى نساء القافلة وحده، ومرة أخاف لصوصا سرقوا من القافلة بعيرا بأن أكل أمامهم كبد بهيمة نيئا، ثم تقدم نحوهم وفمه مترع بالدم، ففروا. وقد وقف مرة أمام باب جامعة بيروت بقصد زيارة ابن أخته حمزة، فوصفه الحارس لحمزة بقوله: (رجل كبير بدقن، متحزّم، يركب حصانا، ويحمل سيفا ودرقة، يريدك)، فقال حمزة على الفور: (هذا خالي حاج الشيخ). من كتيب عن حاج الشيخ ود الضو أعده خوجلي محمد خوجلي ولم يطبع.

(6) المرجع السابق، إضافة إلى رواية شفوية عن قرشي بن عباس بن بابكر بن قرشي العجيمي السعدلابي. وقد ذكر أن غوردون قتل بأكثر من حربة ألقيت عليه لأنه كان يحمل سلاحا ناريا ويقتل به كل من يتمكن منه.



العملة المعروفة بأبي جزولي – مكتوب عليها (ضرب في أم درمان) باعتبارها عاصمة البلاد
وعليها تاريخ 1312هـ، وهو ما يوافق 1894م.

توتي في عهد الاحتلال الانجليزي

الحياة في توتي أيام الإنجليز

وصف محمد عبد الرحمن أحمد جميل الله توتي من حيث الحياة الاجتماعية في عهد الاحتلال الانجليزي في مقال كتبه في جريدة توتي، فقال:

(كانت توتي يحكمها العمدة أحمد إبراهيم علي بر، ويعاونه شيخان : شيخ المكناب خوجلي حامد النور وشيخ الغردقاب شيخ إبراهيم بابكر علي بر ويشرف على الشكرتاب أيضا ثم تلاه الشيخ أحمد علي الأحمر وبعده أبو عوف إبراهيم علي موسى . وكان العمدة والشيوخ يحكمون باسم مركز الخرطوم بحري والضواحي التي تتبع لها توتي ويجمعون العشور والقطعان فقط من الأهالي وأغلبهم مزارعين . وكانت المواصلات بين توتي والمدن الثلاثة مراكب خشبية بها ريسين يختارهم العمدة والشيوخ ، والراكب يدفع تعريفة أي نصف قرش، والحمار وحمولته قرش واحد، والمراكب أربعة : واحدة بحري والثانية الخرطوم واثنين أم درمان حيث جميع خضار المزارعين يرحل إلى سوق أم درمان للبيع . ودخل المراكب : واحدة للعمدة وواحدة للشيخ والثالثة للشيخ الآخر والأخيرة للمسجد وقف ، ينار منها ولبساط الصلاة. كانت توتي تشرب من الآبار بالدلو وبعضها من البحر بالحمير والخرج[1]، وكانت الآبار من الشمال للجنوب هكذا أذكر منها : بئر الورشة – بئر عميرة – بئر الماحي – بئر ود بلول – بئر المسيد – بئر شاووش – بئر الطاهر – بئر جبريل – بئر العاقب – بئر محمد تي – بئر الطاهرة – بئر الملك ، [بئر حمد، بئر الحبر، بئر الإمام، بئر الحاج بابكر، بئر بيت الأمانة][2] وغيرها كثير . كان لكل عائلة من الأهالي (صمد) يرجع له في تنفيذ ما يتفق عليه بمناسبة الزواج والأفراح ومآتم البكاء وله كلمة مسموعة بين أهله وعشيرته . والأهالي كانوا متسامحين متعاضدين متعاونين ، قلما تحدث بينهم مشاكل والحياة مبسطة للغاية الطعام كسرة بملاح دائما مفروكة ، إلا ببعض المناسبات والضيوف . وتطورت المائدة بتطور السكان شيئا فشيئا ، وكان إكرام الضيف واجب على جميع الجيران ، ويحملون أكلهم له مهما كان مستواه . والملاحظ أن الضيوف لا تبيت بتوتي لضيق المساكن، ولأن العمدة والشيوخ لا يسمحون للغريب المبيت بتوتي مهما كان قدره، ويمنع ريس المركب من أن يربطها قبل إرجاع الزوار لأهلهم [3]. وكان المنزل عبارة عن مبنى من الطين أمامه راكوبة من القش وخلفه مخزن يسمى

---

(1) في أواخر الخمسينات وأوائل الستينات كان هناك 40 صبيا يشتغلون في مهنة جلب الماء على الحمير، بعضهم يملك الحمار وبعضهم يؤجره وبعضهم يعمل لحساب مالك الحمار ولكل منهم حوالي 15 زبونا منتظما. عن دراسة مجتمع توتي.

(2) إضافة من أسامة إمام المحسي.

(3) وكان يسمح للغريب بزيارة الناس، ولا يسمح له بالسياحة والفسحة في توتي، ويذكر أن أحد الأشخاص المحترمين زار توتي وهو يلبس بدلة (إشارة إلى أهميته) وعندما طلب منه ريس المركب تحديد من يريد زيارته قال أتيت للفسحة، فأجابه ريس المركب قائلا: العمدة مانع

(قطيع) للعدة، والرجال ينامون شرقا والنساء غربا ومنزل الضيافة في بعض البيوت للمقيل والزوار، ويقفل بالمساء)أهـ.

وكان النيل في موسم الفيضان يُغرق توتي حتى المحطة من الناحية الجنوبية ، وحتى المسيد من الناحية الشرقية، ويصل من الناحية الشمالية حتى حوش الإمام . وكان قبل ذلك يصل من الناحية الغربية حتى حي الجزر ، وكانت تتشكل دبب وقيزان حتى السارة والجهة الشرقية من النيل.

وقد كان النيل الأزرق من الناحية الشرقية بين توتي وبحري يجف تماما في الصيف إلى أواخر الخمسينات، ويُزرع في مجراه البطيخ والشمام والعجور والخيار وتُسقى من الجمام. ولم يكن أحد من الحلة يشتري البطيخ والشمام ولا الخضار ، كان الواحد يأخذ من زراعة أي واحد ما يحتاج من الخضار.[1]

وفي عام 1939م فاض النيل فيضانا كبيرا وصل حتى مباني الشفخانة وقاد العمدة أحمد ود إبراهيم المواطنين وأشرف على أعمال صد الفيضان بنفسه.[2]

ويجدر التنبيه في هذا المقام إلى أن نظام العمد أوجده الإنجليز، ولم يكن قبلهم[3]، وكان العمدة هو المسئول عن جمع الضرائب واعطاء الأوامر عن منطقة عموديته ويعاونه الشيوخ. [4] وكان العمدة يتبع إداريا لمأمور المركز الذي يرأسه المفتش ثم مدير المديرية، وهما منصبان محتكران للإنجليز[5].

وأما توتي فلم يكن بها عمدة غير أحمد ود إبراهيم [6] الذي تولى المنصب بين عامي (1905-1948م) ، فهو الأول والأخير. وكان عمدة توتي أحمد ود إبراهيم رئيسا لمجلس عمد المحس بالخرطوم.[7] ومن عمد الخرطوم: عمدة توتي، وعمدة الخرطوم، وعمدة الخرطوم بحري، وعمدة أم درمان، وعمدة الخوجلاب، وعمدة الفتيحاب، وعمدة اللاماب، وعمدة السرواراب [8].

الفسحة. فقال: بلا عمدة بلا كلام فارغ. فأرسل الريس من يخبر العمدة. فأرسل العمدة إلى أصحاب المراكب المعدية إلى الخرطوم وبحري وأم درمان بمنعه من الخروج من توتي حتى يقابل العمدة. وفعلا حاول الزائر الخروج من توتي من جميع الجهات وكان أصحاب المراكب يقولون لا يمكنك حتى تقابل العمدة. فالتمس بيت العمدة ليقابله. فلما قابله قال للعمدة: ما المشكلة، لماذا منعتني من الخروج، فأجابه العمدة: لا توجد مشكلة، ولكني أردت أن أعلمك أن في توتي عمدة!. عن أحمد الحسين.

(1) رواية عن صباح الخير عبد الساوي. وقرشي بن عباس بن بابكر.

(2) تطور التعليم في جزيرة توتي.

(3) رواية عن قيس إبراهيم أحمد علي الشكرتابي.

(4) مجتمع توتي.

(5) الحبر عثمان – منتديات بري المحس على الانترنت.

(6) أحمد بن إبراهيم بن علي بن محمد بن بر بن ضوء بن سليمان بن محمد بن الحاج العمراني الغردقابي. عمل بالتجارة في النيل الأبيض في أواخر العهد التركي، ورجع إلى الخرطوم مع بداية المهدية. وعمل ببيت المال مع الخليفة عبد الله التعايشي، وعمل في عهد الاحتلال الانجليزي عمدة وساهم في فض النزاعات والصلح بين القبائل. وكان فاتح اللون طويلا.

(7) رواية شفوية عن محمد الأمين (سيد الحوش) أحمد علي الغردقابي. وفوزي الأمين ود نمر البدانابي. وقيس إبراهيم أحمد علي.

(8) تولى عمودية قوز الخرطوم أحمد (المحيسي) سليمان دكين أبو الروس ابن عم آل الجاركوك الروساب، وكان عمدة الخرطوم علي محمد المرضي الصاردي، و آخر عمدة للخرطوم هو محمد علي كرم الله الصادردي جد أولاد الخليل ود البلولة الحسن إبراهيم مضوي البدانابي

وكان العمدة أحمد ود إبراهيم فاتح اللون، طويلا، أحدب ظاهر الحدبة، له هيبة. يلبس جلابية خفيفة داخل توتي ويحمل عكازا. أما عندما يذهب لمحكمة الخرطوم بحري -وكان أحد أعضائها- فكان يرتدي جلابية وعمامة وفرجية وملفحة، وكان يرافقه خفير يسير معه دائما وهو حامد الدقيل من الفتيحاب(1).

وكان له حمار كبير مرتفع يشده له غلامه ليركبه. ويطوف به في الحلة مع المفتش الإنجليزي، وكان المفتشون الإنجليز: مفتش صحة، ومفتش تعليم، ومفتش القطعان. وكان المفتش يحضر راكبا حصانا وزيا رسميا وبرنيطة عليها رمز فيل لامع — وهو شعار مديرية الخرطوم — وبمشاركة الشيوخ لتفتيش نظافة الشوارع، والمدارس، والمزارع، على حسب اختصاص المفتش. وتغريم المخالفين، والدفع يكون فورا أو لاحقا يتحصله الشيوخ.(2)

وكانت بتوتي محكمة قروية غرب المسجد العتيق مباشرة، في ديوان العمدة، يحكم فيها الشيوخ بحضور العمدة. فإذا أتي بسكارى قد أثاروا الفوضى بعد أن سكروا - بخمارات بحري التي أنشأها الإنجليز وكانوا يذهبون إليها في موسم جفاف النيل الأزرق من جهة شرق الجزيرة- يحكم كل شيخ على من يقع تحت سلطته منهم بحضور العمدة. ثم ينفذ غلام العمدة عليهم العقوبة التي تكون عادة الجلد. وأما إذا كانت المشكلة إجتماعية تتعلق بنزاعات أسرية فغالبا ما يتم إشراك القيادات الإجتماعية والمتعلمين والموظفين في الوساطة والحل.(3)

وقد استمر نظام الشياخة بعد العمدة، حيث تقاسم الشيخان مهامه بعد وفاته وكان الشيوخ يجمعون الضرائب من الأراضي والبهائم. ويتقاضون 10% من ما يجمعونه من الضرائب. وبعد وفاة العمدة أصبحت القضايا تحول إلى الخرطوم بحري حيث أصبح الشيخان يمارسان القضاء في المحكمة الريفية. وكانا في أغلب الأحيان يحلان النزاعات بالإعتماد على المكانة الإجتماعية دون الحاجة إلى رفع الأمر إلى المحكمة. (4) وقد أستمر العمل بهذا النظام إلى أن أُلغي نظام الإدارة الأهلية عام 1969م.

بتوتي لأمهم. وكان عمدة بحري مقبول الصديق أبو المعالي المقبول الشيخ حمد ود أم مريوم. وعمدة أم درمان مقبول ود العوض وهو ركابي وله قرابة مع الخوجلاب وقبله كان أخوه عبدالرحمن وقبله أبوه. وعمدة الفتيحاب يحي وهو جد أولاد حمزة من آل الفكي. وعمدة السروراب أحمد ود أُسَيْد والد شموم والدة أولاد عطا المنان بتوتي. وعمدة اللاماب حسين ود فرح الجموعي. وقد ورد في أرشيف حكومة السودان بالملف رقم 705 بيان يدعم الحكومة الإنجليزية ضد ثورة 1924م، وقع عليه كثير من أعيان البلاد بأسمائهم وصفاتهم، ومنهم: عبد الرحمن السيد العوض: عمدة أم درمان، وعلي محمد المرضي: عمدة الخرطوم، وأحمد إبراهيم: عمدة توتي، وبابكر جميل: عمدة الدناقلة بأمدرمان، وحامد عثمان إبراهيم: عمدة بحري. والملاحظ أن اسم محمد علي كرم الله ورد بصفته تاجرا، وظاهر أن ذلك كان قبل توليه العمودية.

(1) تطور التعليم في جزيرة توتي، وروايات شفوية عن قرشي وأحمد الحسين.

(2) رواية شفوية عن قرشي بن عباس بن بابكر بن محمد السعدلابي، وإبراهيم بن حسن بن محمد بن أرباب الغردقابي.

(3) رواية شفوية عن قرشي بن عباس بن بابكر بن محمد السعدلابي.

(4) مجتمع توتي.

جدول توزيع الشياخة في توتي: [1]

شياخة الغردقاب		شياخة المكناب	
إبراهيم علي موسى (غردقاب) [2]	1905-1920م	خوجلي أحمد خوجلي [3]	1905-1916م
الأمين النور الأمين (بداناب) [4]	1920-1926م	عبد القادر الفكي أحمد [5]	1916-1918م
إبراهيم بابكر علي بر (غردقاب) [6]	1926-1943م	خوجلي حامد النور [7]	1918-1969م
أحمد علي الأحمر (شكرتاب) [8]	1943-1948م		
أبو عوف إبراهيم علي موسى	1948- 1969م		

وقد كانت علاقة سكان توتي بالعمدة والشيوخ تتوقف على مواقفهم من المواضيع المطروحة وليس هناك تقسيم للولاء العشائري بصورة ثابتة بينهم. [9]

وفي العشرينيات بدأ أوائل المتعلمين في توتي التوظف في الوظائف وبدأت تتغير أشكال وخرائط بيوتهم عن الشكل التقليدي – فقد كانت تبنى من الطين ثم أصبحت تبنى من الطوب الأحمر. وفي الثلاثينيات بدأوا بالظهور كمثقفين لهم أراء ونواد وتجمعات ووزن اجتماعي. [10]

وأما توزيع الأحياء في توتي فقد كتب محمد عبد الرحمن أحمد جميل الله في جريدة توتي أيضا:

(في حوالي عام 1930م كان سكان توتي تقريبا ستة آلاف يسكنون داخل منازل توتي القديمة من الورشة للخطاطيب أي شمال الحلة حتى جنوبها والجامع الكبير فاصل بين الفريقين.

الورشة: وسميت على أنها في المهدية كانت فعلا ورشة نقود (أبوجزولي) ويحمل لبيت المال بأم درمان بالمراكب ثم يليها فريق ود الريس وجزء من السواجير ثم أولاد الفكي مضوي وحوش عميرة وباقي السواجير غربهم أولاد الامام وجنوبهم آل الماحي وآل سرار ثم المريوماب والعمراب وآل يعقوب وأولاد الحاج ثم فريق البلولاب آل قاد ولي وصديق بلول والجيلي غربهم أولاد الإمام وآل عبد الرازق وآل أحمد أرباب شرقهم آل الرباطي وحاج الشيخ ود الضو وأولاد فرح ثم منزل العمدة أحمد إبراهيم واخوانه وحوش

(1) مجتمع توتي ومصادر أخرى شفوية.

(2) إبراهيم (قجيجة) بن علي بن موسى بن جاد الكريم بن مضوي بن جاد الكريم بن الفقيه موسى الضيق.

(3) خوجلي بن أحمد بن خوجلي بن محمد بن أحمد بن المشرف بن الفقيه محمد (تور منى) بن دليل بن عمر المكنابي.

(4) الأمين بن النور بن الأمين بن النور.

(5) عبد القادر بن الفقيه أحمد بن مضوي بن محمد بن مضوي بن دليل بن عمر المكنابي.

(6) إبراهيم بن بابكر بن علي بن محمد بن بر بن ضوء بن سليمان بن محمد (حمودة) بن الحاج العمراني الغردقابي.

(7) خوجلي بن حامد بن النور بن حامد بن النور بن إبراهيم بن عمر بن دليل بن عمر المكنابي.

(8) أحمد بن علي (الأحمر) بن محمد بن عبد الرحمن بن إدريس بن شكرته.

(9)بروفيسور ف. بارث، ودكتور ن. دايسون هدسون، ل.هيل، فهيمة زاهر، تاج الدين علي الضاوي – مجتمع توتي – دراسة أعدها قسم علوم المجتمع بجامعة الخرطوم عن توتي عام 1964م.

(10) رواية شفوية من أسامة إمام المحسي.

الفكي جوار المسجد بالشمال وآل حاج عمر وآل الفكي إبراهيم غربهم آل طيب الأسماء وحوش أبو عادل وآل طه وآل عبيد الله وفريق ود ضو والعبودية وآل ضو البيت ومناي ودار صليح وأبو شيبة ثم شرقهم أولاد العباس ود علي وود شاويش ثم حوش جبريل بجوار أحمد ود خوجلي وآل مقبول وأولاد محمد سليمان وآل قرشي والشيخ دريس وآل عبد الله عبد الماجد وأولاد عبد الباقي ود دليل جنوب الجامع الكبير وأولاد محمد الفكي أحمد وعبد القادر وسليمان ونمر وأولاد الكبيش بجوارهم أولاد المصطفى الصديق وإخوانه وأولاد ثلاثين والزين شرقهم محجوب أحمد عثمان والمشرف والفكي عطا المنان بعد ذلك حوش حامد ود النور وأبناؤه والبشير حسن وأولاد محمد نور وحوش علي نار القش وأبو كبريتة وأبو القاسم علي بابكر وحمد النيل ومحمد الأمين ود النور وكبير ثم حوش العاقب وشرقه عثمان حامد ومحمد أحمد الدائر وعثمان ود حسن ثم شرقهم العصملاب حاج بابكر وحمد المكي والطاهر طيب الأسماء والد أحمد الطاهر شمالهم ود أرتو ثم غربهم أولاد الحسن ود الدائر وعلي دليل بعدهم حوش شيخ إبراهيم ود بابكر وجواره إبراهيم الطويل وغربهم ود الزاكي وشمال أولاد الملك والكرار لأبيهم وحاج العباس عبد القادر ثم شمالهم أولاد محمد موسى ويس المصطفى والطريفي غربهم أولاد الفكي إدريس والجامع الوراني وجنوب أولاد محمد تي شرقهم أولاد سليمان الروقل والسراج وحبيب ثم ود الزاكي شرقهم الطاهر محمد عمر ومحمد عثمان وأولاد مراد ثم أحمد أبو سن وعبد الرحمن يس وآل ملوة ثم الخطاطيب غربهم الشكرتاب هذا ومن ناحية تقسيم وتوزيع أراضي توتي الزراعية من الشمال الرويس أي رأس توتي وبه مزارع أولاد إدريس وأولاد الإمام وجنينة خضر وسعيدة فواكه ثم أولاد الحاج بعدهم أولاد أرباب جنوب الوابور الزراعي الذي تشرف عليه شركة تعمير توتي بعد حادث توتي 1944م ثم جنينة العباس حاج عمر والرباطي والفكي حمزة وجنينة حاج الشيخ ود الضو ثم أولاد عبيد الله وبعدها تسمى المنطقة الشيخ خوجلي وبعدها نعيم ثم السنطة التي أغلب أراضيها أولاد طيب الأسماء وآل الجيلي ثم قيرة حامد ود النور وبعدها شاويش وحاج البدري جنوبها العبودية وهليس والحرازة وبنت قدوم وبحر الهوي ود عباسي والسارة الثمانين الغالق أم رحم الله درب المسيد الكجابرة شجرة إسماعيل وربما نسيت كثيرا من الأسماء).أهـ

توتي والحركة الوطنية في عهد الاحتلال الانجليزي

إن موقع جزيرة توتي المميز جغرافيا ومعنويا فرض عليها مسئولية وطنية وتاريخية عظيمة بالمساهمة الفاعلة في الحركة الوطنية أيام الاحتلال الانجليزي وفي بناء النهضة الوطنية بعده، وهو ما لم تقصر فيه جزيرة توتي، إذ ساهم أبناؤها بحكم أنهم من أوائل المتعلمين في بناء قاعدة العمل الوطني للتحرر من الاحتلال، وكانت أرضها ملاذا للوطنيين للاختباء والاجتماع وتأسيس العمل الوطني.

فمن ذلك مساهمتهم في ثورة 1924م، وكان من أبرزهم في ذلك أرباب محمد عثمان الذي ساهم في الثورة إضافة إلى ما يكتبه من مقالات مقاومة للاحتلال الانجليزي على الصحف باسم مستعار. وكان لعثمان الطاهر مطبعة في بيته في توتي تطبع فيها المنشورات المعارضة للحكم الإنجليزي أيام ثورة 1924 وما بعدها[1].

ومن ذلك مساهمتهم في تأسيس الحركة الوطنية التي أدت إلى الاستقلال (1956م) حيث كان أبناء توتي من أبرز المؤسسين لها، وذلك بمشاركتهم الفاعلة في كل التنظيمات التي قادت الاستقلال، سواء في مؤتمر الخريجين، أو حزب الأشقاء، أو النقابات الوطنية، أو في مجلس السيادة ولجنة السودنة.

فأما مؤتمر الخريجين فقد كان من أبناء توتي الكثير من مؤسسيه الذين كانوا أعضاء في لجانه الستينية المتعاقبة بين عامي (1938م) و (1948م) ومنهم: (إبراهيم حسن أبو المعالي – وإبراهيم عثمان إسحاق – وإبراهيم يوسف سليمان – وأحمد الصديق دار صليح[2] – وأحمد الطاهر طيب الأسماء – والهادي أبوبكر إسحاق[3] – وإمام إبراهيم المحسي – وحامد المحينة – وحبيب الله الحسن أبو المعالي – وحسن عثمان إسحاق[4] – وخضر محمد صالح – وزين العابدين إبراهيم الإمام – وعبد الله عبد الرحمن الأمين الضرير – وعلي عبد الرحمن الأمين الضرير – وعلي النور[5] – وعمر إسحاق[6] – ومحمد أحمد عبد القادر – ومحمد حمزة علي طيب الأسماء – وعمر حمزة محمد[7] – وإمام عبد الوهاب الإمام – وقاسم موسى حمزة[8] – وتوفيق إسحاق إبراهيم[9] – وعبد الرحمن النور أبو الريش[10]) [11].

وقد كان هذا العدد الكبير لأبناء توتي في اللجان الستينية لمؤتمر الخريجين ثمرة للثقة الكبيرة التي تمتع بها أبناء توتي وسط الخريجين وتقدير الخريجين لجهودهم الكبيرة في مجال العمل الوطني حيث أنهم نقلوا النشاطات والاجتماعات الهامة إلى داخل توتي في الجنائن والرمال وعلى ضفاف النيل في الليالي المقمرة

(1) رواية شفوية لأسامة إمام المحسي.

(2) أحمد بن الصديق بن عبد الله بن محمد (دار صليح) بن دليل بن ضو البيت بن علي بن جميل الله العبودي.

(3) الهادي بن أبي بكر بن محمد بن أحمد بن إسحاق بن إبراهيم الخليل بن الشيخ خوجلي (أبو الجاز). وهو من الخوجلاب.

(4) حسن بن عثمان بن محمد بن أحمد بن إسحاق بن إبراهيم الخليل بن الشيخ خوجلي (أبو الجاز). ابن عم الهادي المذكور قبله.

(5) علي بن محمد بن أحمد بن النور بن أحمد بن محمد بن برير بن حمد بن صباحي بن محمد بن الحاج العمراني الغردقابي.

(6) عمر بن محمد بن أحمد بن إسحاق بن إبراهيم الخليل بن الشيخ خوجلي (أبو الجاز). عم أولاد اسحاق المذكورين قبله.

(7) عمر بن حمزة بن محمد بن أحمد بن موسى بن جاد الكريم بن مضوي بن جاد الكريم بن الفقيه موسى (الضيق).

(8) قاسم بن موسى بن حمزة بن محمد بن أحمد بن موسى بن جاد الكريم بن مضوي بن جاد الكريم بن الفقيه موسى (الضيق).

(9) توفيق بن إسحاق بن إبراهيم بن أحمد بن حسين بن محمد بن حسين (جد الحسيناب) الغردقابي.

(10) عبد الرحمن بن النور بن إبراهيم بن النور بن حامد بن النور المكنابي.

(11) أسامة إمام المحسي – نقلا عن وثائق احتفالات اليوبيل الذهبي لمؤتمر الخريجين – 1988م.

وذلك تخفيا عن أعين الاحتلال الانجليزي رغم المخاطر المحدقة بسبب هذه الأنشطة في تلك الظروف العصيبة[1].

أما مجلس السيادة الأول (1953م) والذي كان من خمسة أعضاء فقد كان ابن توتي إبراهيم يوسف سليمان عضوا فيه.

وأما لجنة سودنة الوظائف المكونة من أربعة أعضاء (1955م) فقد كان إبراهيم يوسف سليمان أيضا عضوا فيها، وإمام إبراهيم المحسي مستشارا لها.

وأما حزب الأشقاء الذي ساهم مساهمة فاعلة في العمل الوطني ومقاومة الاحتلال، فقد كان لتوتي أيضا سهم نافذ فيه، وممن شارك في قيادته من أبناء توتي: [2]

- الشيخ: علي عبد الرحمن الضرير – من المؤسسين للحزب.
- الشيخ: عبد الله عبد الرحمن الضرير – من المؤسسين للحزب.
- إمام إبراهيم الإمام المحسي – من المؤسسين للحزب.
- زين العابدين إبراهيم الإمام - من المؤسسين للحزب- سكرتير الحزب في كل من (أبو عشر، مدني، كوستي، بورتسودان).
- خضر محمد صالح رمضان[3].
- محمد أحمد عبد القادر – من الأعضاء البارزين. [4]
- مكاوي خوجلي الماحي[5] – سكرتير شباب الأشقاء بتوتي.

وقد كانت بعض اجتماعات الحزب تعقد في حوش الضرير بأم درمان [6]. ونسبة لدور توتي الفاعل في الحركة الوطنية لحزب الأشقاء فقد سماها يحيى الفضلي "حصن الأشقاء الحصين"[7].

أما النقابات المقاومة للمحتل فلأبناء توتي فيها أيضا سهمهم حيث كان إمام عبد الوهاب الإمام سكرتير نقابة السكة حديد وكان من أبرز مؤسسي النقابة التي نفذت إضراب عمال السكة حديد الشهير عام (1948م) مما تسبب باعتقاله من قبل سلطات الاحتلال وفصله من العمل ومنعه

---

(1) أسامة إمام المحسي – مقال منشور.

(2) أسامة إمام المحسي – نقلا عن وثائق احتفالات اليوبيل الذهبي لمؤتمر الخريجين – 1988م. والأربعة الأوائل رواهم أيضا محمد الأمين (سيد الحوش) بن أحمد بن علي الغردقابي.

(3) خضر بن محمد صالح بن رمضان بن عيد بن بلال الكنزي.

(4) تطور التعليم في جزيرة توتي.

(5) مكاوي بن خوجلي بن الماحي بن خوجلي بن الماحي بن دليل بن حمد بن محمد بن إمام (أبو جنزير) الكباني.

(6) رواية عن محمد الأمين (سيد الحوش) بن أحمد بن علي الغردقابي.

(7) صحيفة الأيام – من وثائق أسامة إمام المحسي.

من مزاولة أي عمل حكومي مع 112من زملائه[1]. وفصل سيد أحمد محمد عبد الرحمن المشهور بغاندي من كلية غوردون لاشتراكه في إضراب عام 1931م [2].[3]

واختير مكاوي خوجلي الماحي أمينا عاما لاتحاد المعلمين العرب وسكرتيرا للجالية السودانية بلندن عام (1955م) [4].

هذا إضافة إلى مشاركة عدد من أبناء توتي في الحرب العالمية الثانية (1939-1945م) بناء على وعد الحلفاء لمستعمراتهم بأنهم سيعطونهم الاستقلال إن وقفوا معهم في الحرب ضد دول المحور، منهم البدري محمد البدري وحمزة حمودي وآخرون شاركوا في القتال إلى جانب الانجليز في حربهم على الطليان بليبيا. [5] وقد كان من آثار ذلك أن أغارت طائرات الطليان المتمركزين في إثيوبيا وأسمرا على مدينة الخرطوم وقصفتها. مما دعى الحكومة الانجليزية بالسودان إلى حفر الخنادق لاستخدامها كملاجئ[6]. إضافة إلى إصدار توجيه إلى السكان بحفر الخنادق في بيوتهم.

وقد حفر المواطنون بتوتي الخنادق في بيوتهم،[7] وقد شارك طلاب مدرسة توتي الأولية بحفر خندق طويل داخل المدرسة من الشرق إلى الغرب عمقه حوالي المتر وسقفوه بالحطب والعشر والسنسنة وكانت به فتحات. وكونت لجنة للإعلام بتوتي تنبه بالإنذارات والإصابات، وتتكون من العمدة أحمد ود إبراهيم وبركات أحمد علي والمساعد الطبي لشفخانة توتي عبد الدائم مصطفى[8].

وكان الناس في جميع الخرطوم يلجأون إلى الخنادق المحفورة وسط الأحياء، وذلك عند دوي صافرة الإنذار- الصادرة من الوابورات- بصورة متقطعة ويخرجون عند دويها بصوت طويل.وقد سقطت مرة قنبلة في النيل الأزرق شرق الكبري، وفيها تقول المغنية:

الله ليّ الطيارة جاتنا هجوم

الله ليّ كشفت على الخرطوم

الله ليّ كتلت حمار كلتوم ست اللبن

الله ليّ الطيارة جات بدري

---

(1) وثائق ومقالات أسامة إمام المحسي.

(2) ومن زملائه في هذا الإضراب: يحيى الفضلي، والصديق المهدي (والد الصادق المهدي)، ويوسف بدري.

(3) تطور التعليم في جزيرة توتي.

(4) وثائق ومقالات أسامة إمام المحسي.

(5) رواية عن أحمد المرتضى بن البدري بن محمد بن البدري البدانابي وآخرين.

(6) عن عمار مرتضى محمد أحمد، وفوزي الأمين ود نمر وقد ذكر أن إحدى قنابل الطائرات الايطالية سقطت ببري في موقع يقع الآن داخل مطار الخرطوم.

(7) رواية شفوية عن إبراهيم بن حسن بن محمد بن أرباب، وقد ذكر أنه حفر خندقا في منزلهم. وجعل له درجات للنزول إليه.

(8) تطور التعليم في جزيرة توتي.

الله ليّ   كشفت على الكبري

الله ليّ   المدفع الجبلي

الله ليّ   خلى البحر يغلي

وأصدر الانجليز قرارا بأن لا يضيء أحد شيئا بعد المغرب أيا كان، مصباحا أو نارا. وقد حدث أن لعب بعض الصبيان بتوتي ليلا لعبة الكُدَّة – وهي كرة من لب القرع الذي يتخذ للأواني، يشعلها الصبية ثم يتقاذفونها بالعصي – فجاء الانجليز صباحا وطلبوا القبض عليهم، وبعد تدخل العمدة وافق الانجليز على أن يعاقبهم العمدة بالجلد أمامهم ولا يقبضوا عليهم. (1)

ثورة توتي عام 1944م

ما زال موقع توتي المميز سببا دائما لحسد الحاسدين لأهلها على التنعم بالجنان التي زرعوها والأرض التي عمروها مبنى وعلما ومجدا تليدا، وما زال كل نظام حكم استبدادي يحاول نزعها من أهلها، بحجج مختلفة، تارة نريدها مرعى، وتارة نريدها عاصمة، وتارة نريدها سياحة، وأما الإنجليز فقالوا نريدها حقل تجارب زراعية.

بدأت القصة بنشر الصحف عام 1944م أخبارا بأن مدير الخرطوم الانجليزي مستر ماكنتوش قد قرر نزع 350 فدانا من أراضي توتي لإقامة حقل تجارب لمدرسة الزراعة بشمبات، وبعد التقصي ظهرت النية المبيتة، إذ كانت القرارات كما يلي:

1- نزع 350 فدانا من الأراضي الزراعية الجيدة بحجة حقل التجارب.

2- نزع جميع الأراضي الرملية بحجة شكوى أصحاب الفنادق بالخرطوم منها.

3- تركيب طلمبة حكومية لسقي الزراعة بالأراضي المتبقية على أن لا يسمح لأحد بالسقاية منها إلا بعد موافقته على نزع ملكية الأرض منه. بحجة الأسوة بمشروع الجزيرة.

4- إعادة تخطيط الحلة السكنية بصورة صحية –كما زعم القرار – بحجة أن توتي مزدحمة بالسكان جدا.

تحجج مدير الخرطوم المستر ماكنتوش بأن خلافات أهل توتي كثيرة وأنه لا يوجد أحد نافذ الكلمة فيهم يمكن التفاهم معه مما يعطل جميع مشاريع الحكومة الانجليزية الزراعية بالمنطقة، كما تحجج بخطاب من العمدة أحمد ود إبراهيم عمدة توتي بتاريخ 1938م يطلب فيه ترحيل سكانها إما إلى الخرطوم بحري أو إلى أم درمان في منطقة السور.

(1) فوزي بن الأمين ود نمر عن عبد الله الصديق المشهور بكاسترو وكان من الصبية المجلودين.

استشعر سكان توتي الخطر المحدق، فهبوا للتصدي له، وعقدوا بخصوص هذا الأمر اجتماعا عاما في المسجد العتيق، بعد صلاة الجمعة يوم 7 أبريل 1944م، وخطب فيهم مصطفى خالد[1] خطبة ألهبت المشاعر بحب الوطن، وتمثل بقول الشاعر:

ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء

وقال: (لا يتخلف عن الذهاب للمديرية أحد يستطيع أن يمشي على رجلين).

واختار أهل توتي ستة ليمثلوهم في مقابلة مدير الخرطوم وهم: مصطفى خالد وأحمد عبد القادر والحسن الفكي محمد[2] والعباس طيب الأسماء[3] وعثمان إبراهيم علي موسى والأمين محمد بابكر[4].

وفي اليوم التالي توجه المئات من أهل توتي وأحاطوا بمبنى المديرية، ودخل وفد الستة للتفاوض مع مدير الخرطوم، مفاوضة عسيرة استمرت ساعة ونصف، ومما كان فيها أن مصطفى خالد قال لمدير الخرطوم: (أتعنى أن الأراضي الرملية منزوعة، وأن ثلاثمائة فدان من الأراضي الجيدة منزوعة؟) فقال المدير: (نعم، هو كذلك)، فقال مصطفى خالد: (أنا أفهم أن تطلب منا الحكومة فدانا أو اثنين للتجارب، أما أن تنزع بلدا بحاله فهذا لا يكون أبدا). قال المدير: (إن هناك سابقة حصلت في عهد المهدية، فقد نزعت)، فرد الوفد: (النزع كان جزئيا ومحدودا، كما أن هذه السابقة لا يمكن اعتبارها)، فقال مساعد مدير الخرطوم مصطفى عبدالله الشفيع: (جزيرة ود حامد نزعت منهم وأنتم لستم أحسن منهم). والحاصل أن المدير أصر على أن القرار نافذ والأرض منزوعة. وهنا خرج الوفد مغضبا، ليقابل مصطفى الجموع المحيطة بالمديرية بعبارته الشهيرة: (قالوا منزوعة، البتسووه سووه!). والتهبت الجماهير، واقتحمت مبنى المديرية واشتبكت مع العسكر. وكانت الخلاصة شهيدا هو أحمد محمد يوسف وعددا من الجرحى وأحكاما بالسجن على 20 من أبناء توتي.

جدول أحكام السجن:

الاسم	مدة السجن بالشهور	الاسم	مدة السجن بالشهور
مصطفى خالد	9	عبد الوهاب محمد سليمان	4
محمد حمزة علي	2	الصديق الملك	4
إدريس أحمد أرباب	2	البشير أحمد سرار	3
فضل الله النور	4	علي عثمان الجيلي	3
سليمان أحمد الدائر	4	جبريل محمد علي	2

(1) مصطفى بن خالد بن محمد بن عبد الرحمن بن إدريس بن شكرته السعدلابي، توفي في العام 1970م.

(2) الحسن بن محمد بن أحمد بن مضوي بن محمد بن مضوي بن دليل بن عمر المكنابي.

(3) العباس بن علي بن محمد (طيب الأسماء) الغردقابي.

(4) أخو الحاج أحمد الرباطي من أبيه. وأم الأمين رقية بنت الأزيرق بن الأمين بن الشيخ خوجلي (أبو الجاز).

الاسم	مدة السجن بالشهور	الاسم	مدة السجن بالشهور
عبد الوهاب الأمين الضرير	2	عبد المتعال سليمان محمود	3
علي عبد الله عبيد الله	4	بابكر محمد بركات	2
النذير فضل الله	2	حسين الفكي الهادي	2
علي عثمان بلول	3	بخيت محمد زكي	براءة
مدثر محمد المبارك	2	نور الجليل البشير	براءة
محمد نور أحمد علي	2	على محمد إمام	براءة
علي إبراهيم بابكر	2		

ألهبت هذه الحادثة مشاعر السودانيين، وحركت روح النضال للدفاع عن الوطن، وألهمت قيادات التحرر الوطني، لا سيما وأن توتي كانت من مراتع الحركة الوطنية.

فأما حزب الأشقاء الذي اشتهرت توتي بأنها معقله، فقد أرسل وفدا يسوق معه ثورا إلى توتي ويحمل رسالة إلى إمام المحسي جاء فيها:

(*إن الدماء الزكية التي تخضب بها أديم الأرض أمام مقر حاكم الخرطوم بشيشا بالوطن وذودا عن حياضه لهي القطرات الأولى من دماء التضحية في تاريخ سوداننا الحديث، وإن الأشقاء الذين ازدادوا شرفا على شرف بانتسابك لهم يقدمون الذبيحة لتكون رمز الفداء أمام قبر الشهيد المظلوم*).

وأما مؤتمر الخريجين فقد جاء وفده برئاسة رئيس المؤتمر إبراهيم أحمد وفيه إسماعيل الأزهري وإسماعيل العتباني وأحمد يوسف هاشم وإبراهيم عثمان إسحاق وخضر حمد. كما أرسل برقية للحاكم العام بهذا الشأن. وأوعز إلى قياداته من القانونيين الدفاع عن المتهمين من ثوار توتي أمام القضاء الانجليزي، باعتباره حدثا وطنيا مقاوما للاحتلال، وقد قاموا بالمهمة خير قيام وهم: الدرديري محمد عثمان وإبراهيم المفتي ومبارك زروق.

وأما نادي الخريجين بأم درمان فقد أوصد أبوابه حدادا على مصاب توتي.

وأما نادي المدارس العليا فقد أرسل وفدا من خمسين طالبا من طلبة المدارس العليا إلى توتي معزيا ومواسيا ومؤازرا.

ويذكر أن الأستاذ محمد أحمد عبد القادر قاد مظاهرة بمدني –حيث كان يعمل أستاذا – تأييدا لأهله بتوتي. ثم أراد العودة لتوتي لمشاركتهم ومؤازرتهم، فمنعه المفتش الانجليزي. فما كان منه إلا أن صفع المفتش الانجليزي قائلا: (هذا تعبير عن مشاعر أهلي، ومشاعري الشخصية في ثورتنا ضدكم!) [1] .

---

(1) تطور التعليم في جزيرة توتي: خوجلي أحمد خوجلي، مضوي عمر سرار، مصطفى النور إبراهيم.

وأصبحت القضية قضية رأي عام نشرت تفاصيلها في كل الصحف السودانية، وأذاعت إذاعة برلين خبر ثورة توتي على الحكومة البريطانية[1]، وذلك في خضم أحداث الحرب العالمية الثانية (1939م – 1945م)، واستمرت آثار هذا الأمر المدوية في تصاعد، وهو ما أجبر الإنجليز على التراجع عن قراراتهم، وعدم إثارة هذه القضية مرة أخرى إلى أن انجلى ليل احتلالهم البلاد. [2]

أما في توتي فقد كان لهذا الحدث - الذي سمي في توتي بثورة 1944م – الآثار التالية:

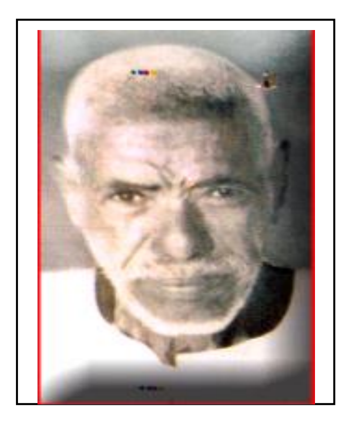
1- ظهور مصطفى خالد كزعيم لتوتي في هذا الظرف العصيب، وهو ما أثبت له هذا اللقب – الزعيم مصطفى خالد كفخر تاريخي عبر الأجيال.

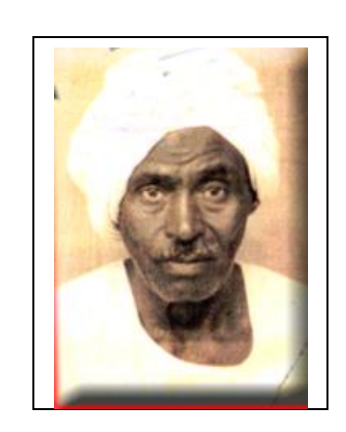
2- أطلق الزعيم إسماعيل الأزهري على توتي لقب "توتي المجاهدة".

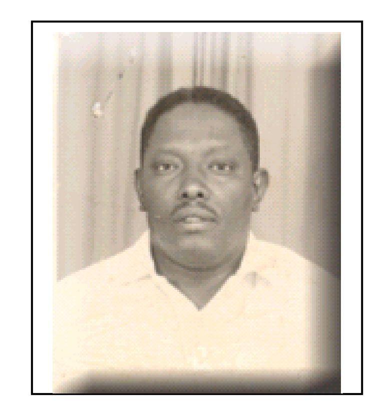
3- نشط أهل توتي في إنشاء شركة تعمير توتي، لزراعة الأرض وتعمير الجزيرة لتفويت الفرصة وإبطال تذرع الحكومة الإنجليزية مرة أخرى بأن الأرض بور.


الزعيم مصطفى خالد


الحسن محمد الفكي أحمد


الصديق الملك







(1) من نافذة القطار: البروفيسور عبد الله الطيب- وقد أذاع الخبر المذيع العراقي يونس بحري.

(2) جميع المعلومات المتعلقة بثورة توتي 1944م ملخصة من كتاب توتي المجاهدة – للأمين مصطفى خليفة، وقد وصف هذه الثورة بالتفاصيل والوثائق فليراجعه من أراد الاستزادة. مع زيادات شفوية قليلة من أسامة إمام المحسي.

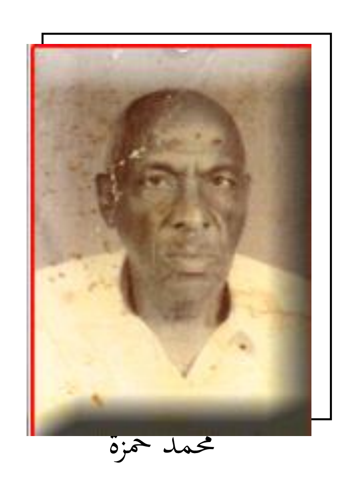
النذير فضل الله

بخيت زكي

سرار

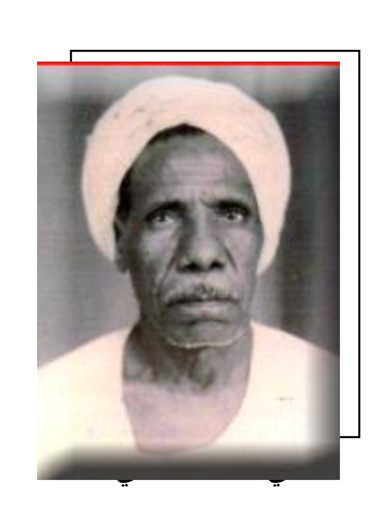
عبد الوهاب الضرير

عبد الوهاب حمد سليمان

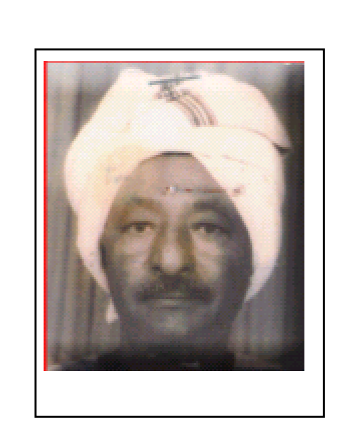


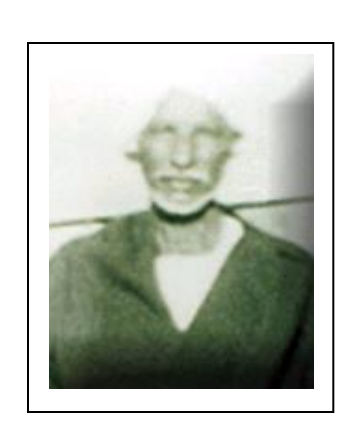
محمد حمزة



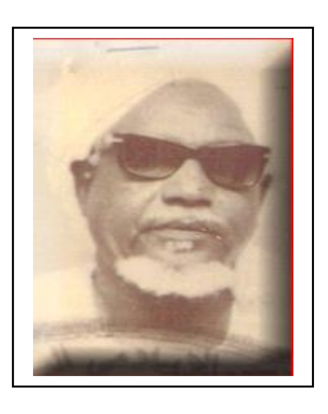








محمد نور أحمد علي　　　　مدثر محمد المبارك　　　　إدريس أحمد أرباب



نور الجليل

فيضان سنة 1946م

في العام 1946م حدث فيضان تاريخي كبير للنيل، أغرق كثيرا من القرى والحلال المجاورة للنيل، وماطلت الحكومة الانجليزية في مد أهل توتي بالأدوات اللازمة لصده، أملا في أن يؤدي الفيضان إلى

هجرتهم من الجزيرة، بعد ما حدث من أحداث ثورة 1944م، ولكن أهل توتي خيبوا فأل الإنجليز، وأبطلوا كيدهم، بتكاتفهم وتماسكم الذي مكنهم من التصدي لخطر الفيضان، وهو ما خلدته الشاعرة صفية بنت إبراهيم بن الإمام[1] بأبياتها التي غناها حمد الريح، وأصبحت رمزا لتلاحم أهم لتوتي:

عجبوني الليلة جو ترسوا البحر صددو

عجبوني أولاد السراري[2] عجبوني وسروا بالي

ترسو البحر بالطواري ما شالونا باللّواري

عجبوني أولاد الفرسان ملصوا البدل والقمصان

ترسو البحر خيرصان من شاويش ولى برقان

وقد اشتهرت برواية هذه الأبيات عائشة بنت الله جابه.

وقال الصادق عبد الرحمن الإمام (النجومي) مفاخرا بإنجاز توتي:

وطن النسور ومربض الآساد فلتخلدي علما لكل جهاد

شركة تعمير توتي

كانت نتيجة لثورة عام 1944م. أنشئت في عام 1949م. وكانت تمثل التعاون بين أهل توتي على دفع المخاطر عن جزيرتهم والعمل على جلب المصالح المشتركة. وكان للزعيم مصطفى خالد دور بارز في إنشائها والعمل على إنجاحها حيث دفع هو وأبناؤه وإخوانه 24% من قيمة رأس المال المقدر بعشرة آلاف جنيه مصري دفع هو أكثر من نصفها. وأكمل بقية أهل توتي رأس المال. وأصبحت الشركة أهم مظهر للعمل العام بتوتي. و نجحت في زراعة مساحات شاسعة بالليمون والفاكهة بعد أن اشترت الوابور (الكبير) وحفرت الجدول (الكبير). كما نجحت في إحضار بنطون وباص لحل مشكلة المواصلات. وقد تمكنت لفترة محدودة من جني أرباح للمساهمين. وهي لا تزال تعمل حتى الآن – بعد 63 عاما – لكن عملها انحصر في الزراعة وتعهد الوابور.

وفي ما يلي نص تقريرين لإدارة الشركة قدما إلى المواطنين، الأول بتاريخ سبتمبر 1949م والثاني بتاريخ ديسمبر 1968م أي بعد عشرين عاما من التقرير الأول، وقد آثرنا عرض التقريرين كاملين لأنهما يعكسان جوانب مهمة من الحياة الاجتماعية ومشاكل الحياة اليومية بتوتي في تلك الفترة التاريخية، إضافة إلى إعطاء صورة جيدة لكيفية تعاون أهل توتي لحل مشاكلهم العامة.

نص التقرير الأول: [1]

(1) رواية عن محمد الأمين (سيد الحوش) بن أحمد بن علي الغردقابي.

(2) السراري: جمع سرية، وهي الأمة أو الجارية، وابن السرية من الحر يكون حرا، ولا يجوز بيع أمه بعد ذلك، وكان الاعتقاد السائد أن ابن السرية يكون شجاعا.

(مواطني الكرام – إخواني – أبنائي ..

أحييكم أطيب تحية، وأتمنى لكم عيدا سعيدا ولتوتي عقدا نضيدا وللسودان عيشا رغيدا وللعالم الإسلامي تضامنا مشيدا.

مواطني: بالأمس القريب كان الناس يتساءلون فيما بينهم هل حقيقة أن لهذه الجزيرة أن تنفض عنها غبار الشحناء والبغضاء وأن ينسى أبناؤها ما بينهم من قطيعة وجفاء، ويستمسكوا بقوله تعالى: (واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم، فأصبحتم بنعمته إخوانا) وفي هذا وبين دعوات الحادب الحريص وشماتة الحاسد المتربص قلتم كلمتكم وخرجتم للعالم حولكم بهذه الشركة الميمونة التي وضعتم فيها أمانيكم وأماني أبنائكم من بعدكم حفاظا على التراث أن يضيع والأمانة أن تخيب وها هي شركتكم بحمد الله وتوفيقه تسير قدما نحو غاياتها ونحو الكمال المنشود. وها هي باكورة أعمالها وأهم منشآتها قائمة تتحدى، وها هي الأرض اخضرت وربت بإذن ربها، فليقر الحدب الحريص عينا، وليمت المتشكك المتربص غيظا.

إن لمن دواعي سروري أن أقف بين أهلي وعشيرتي وملء إهابي قوة وعزم، وملء صدري أمانيٌّ عذاب، وملء جوانحي يقين وإشراق نحو مستقبل باسم زاهر أحس به في كل خلجة من خلجات نفسي أبصره أينما حللت في ربوع الجزيرة وأنتم أيها الإخوان تشعرون فيها بنشوة الظفر وبسمة الأمل وفرحة المحروم من لذة المتعة بعد أن طال حرمانه منها ذلك فضل الله علينا فله الحمد ومنه التوفيق.

مواطني: إننا عندما أطلقنا اسم تعمير توتي على الشركة فكرنا في مدلول هذا اللفظ لنقطع دابر الأقاويل ولنعمل على ضوء الحقيقة التي توصلنا إلى بر السلامة، ونساير الزمن في تطوره وقد تخلفنا عنه كثيرا وكثيرا جدا فلا نود أن نبقى كما كنا بل لا بد لنا من السير مع قافلة التقدم والعمران. إن مدلول هذا اللفظ يشمل كل ما تحتاجه الجزيرة من إصلاح وتعمير وسنرتبها حسب أهميتها ثم نضع له خطة تكفل له التنفيذ ككل المشاريع الضخمة العظيمة – ولنبدأ ..

أولا الزراعة: إن كل التفكير منذ إنشاء الشركة كان مركزا في الزراعة، وها هي والحمد لله كادت أن تستقر لأنه لم يبق إلا استلام الوابور الكبير والسير به حسب دورات الزراعة تحت إرشاد المختصين.

ثانيا المواصلات: وما أدراك ما هي؟ هي علة العلل وأصل البلايا والمحن منذ أن خلقت هذه الجزيرة وهي ما تئنون منه صباح مساء وما ترموننا به من التقصير والإهمال، ولكننا عملنا وما زلنا نعمل، أظنكم إذا أنصفتمونا قليلا لوجدتم أننا لم نأل جهدا في السير بها إلى طريق أفضل من ذي قبل، وإن أبيتم فلنا أجر المجتهد. وإن المواصلات في هذه الجزيرة يجب أن يجري فيها تعديل، بمعنى أن مجلس الإدارة الجديد يسعى لعمل بنطون وإحضار باصات .. وإلخ حتى تسكت هذه الضجة.

(1) نص التقريرين مأخوذ من وثائق قيس إبراهيم أحمد علي – رئيس مجلس إدارة الشركة الآن 2013م.

ثالثا إزاحة الرمال: إزاحة الرمال وهي طبعا أم المصائب، فهي تغمر تحتها ما لا يقل عن 100 فدان صالحة للزراعة ويمكن الاستفادة منها، ولقد قال الخبراء رأيهم فيها وهو زراعة شجر المسكيت ونحن نوصي بزراعته حتى يأتي الزمن ونحكم على هذه التجربة إن كانت صحيحة أم لا. وبمناسبة الرمال فإننا نرى أن هنالك أشجارا كثيرة عديمة الفائدة وهي من أهم الأسباب في تراكم الرمال فكذلك نوصي بإزاحتها لتصلح الأرض من تحتها.

رابعا ماء الشرب: ماء الشرب .. وما أمرّ ما يعانيه الفرد في انتظار السقاء؛ لإحضار الماء من البحر ويرجع بخفي حنين مع أن الماء غير صالح للشرب من الجهة الصحية، فنرجو أن يفكر مجلس الإدارة في أن يعد فناطيز خارج الحلة ليسقي منها الناس وذلك طبعا بعد تجربة الوابور الكبير.

خامسا تخطيط الحلة: تخطيط الحلة هذه مسألة شائكة ومثيرة وربما ينفر من سماعها الكثير من حضراتكم ولكن لا بد مما ليس منه بد، لكيلا يعيد التاريخ نفسه ثم نعض بنان الندم.

سادسا غرس الأشجار: غرس أشجار الفاكهة في المحل المعد لها حسب الدورة التي عرفتم بها، وكذلك غرس أشجار ظليلة على ضفاف شارع الخرطوم والشوارع الكبيرة المؤدية إلى المشارع.

سابعا فتح مكتب بوسته: فتح مكتب بوسته صغير لراحة الأهلين أسوة بالمحلات المترامية في المدن، وأظنه لا يكلف شيئا.

وهنالك أيها الإخوان الكثير من التعمير نحتاجه يأتي تباعا لهذه النقاط. فإذا أمنتم معنا بضرورة هذه الإصلاحات فنصنع لها خطة ولنسمها خطة العشر سنوات مثلا، ننفذ فيها هذه المشاريع حسب ضرورتها حتى نضمن لأنفسنا الاستقرار، وحتى نجعل توتي قرية نموذجية وسط العاصمة المثلثة، لأننا لا نعمل لأنفسنا بل نعمل للأجيال القادمة، ,إن سنة التطور تحتم علينا أن نقرب ما بيننا وبين جيراننا من الفارق العظيم.

مواطني الكرام: إن الصورة العالقة بذهني منذ أنشئت هذه الشركة صورة وضاءة مشرقة، صورة تتراءى لي في يقظتي ومنامي — وإن هاتفا يهتف دائما في أذني: لم هذا العقوق؟ ولم هذا النكوص؟ وأنتم بحمد الله قوة، وأنتم بحمد الله لا تنقصكم المادة والفكر! نعم إننا جميعا نريدها جنة، فلنعمل لها يدا واحدة وقلبا واحدا، وليقل كل منا:

ولي وطن آليت أن لا أبيعه	وأن لا أرى غيري له الدهر مالكا
وحبب أوطان الرجال إليهم	مآرب قضاها الشباب هنالكا
إذا ذكروا أوطانهم ذكّرتهم	عهود الصبا فيها فحنّوا لذلكا

مواطني: إن بين أيديكم التقرير السنوي ومنه تعلمون الموقف المالي وما يتطلبه العمل من مال، وزيادة على ذلك فإن جميع ما تمتلكه الشركة إلى آخر سبتمبر 1949م هو مبلغ 647,572 جنيها (ستمائة وسبعة وأربعون جنيها وخمسمائة واثنان وسبعون مليما) فقط بينما نحن نريد مبلغا لا يقل عن

4000 جنيه للوابور وضربه ونقله ومكتب للشركة وأثاثات وخلافه، وكلكم يعلم أنه لا يمكن أن تحرك حجرا من موضعه إلا بالمادة، وإننا بعد غد يجب أن ندفع مبلغ 750 جنيه مصري لـ "مر كنتايل" نرجو أن تسهلوا مهمة مجلس الإدارة الجديد بدفع ما عليكم لئلا تكون مهمته عسيرة من أول خطوة. ثم ثانيا تتحدثون عن الشركة وما يجب أن تعمل من إصلاح وتصرون على نقدكم، فمثلكم مع مجلس الإدارة:

ألقاه في اليم مكتوفا وقال له إياك إياك أن تبتل بالماء

تريدون من المجلس أن يعمل وتلحون في ذلك وأنتم الدعامة التي يرتكز عليها المجلس في التنفيذ فمن أين له أن يصلح وأنتم تعضون على قرشكم النواجذ، فاتقوا الله في أنفسكم وفي بلدكم وفي شركتكم! وأنصفوا أنفسكم من أنفسكم لتنصفوا غيركم. زودوا المجلس بالمادة ثم اركبوا ظهره بالنقد المرير الباني لا النقد الهادم.

ثم أمر ثالث، ألا وهو كثرة التعدي على المراكب وعمالها والعمل على عرقلة المساعي التي تبذل لبقاء العمال. ثم تنسون غلطاتكم وتنحون باللائمة على مجلس الإدارة. فهذه إحدى المآخذ التي تثير كثيرا من المشاكل، فنرجو أن تساعدوا هؤلاء الموظفين بحفظ اللسان عن بذيء القول والتعدي على الماعون.

مواطني: أرجو أن تسمحوا لي إذا أطلت عليكم في الكلام، ولكنها نتف لا بد من سردها، وقبل أن أستودعكم الله، أود أن أعرج بالشكر والثناء على الأستاذ الشيخ عبد الله إبراهيم[1] وأهله العامراب بهبتهم القائمة بضرب الوابور ورفضهم أخذ أي ثمن أو أجر عنه. وكذا أتقدم بالشكر للأخ عبد الرحمن أفندي خالد الذي تبرع مشكورا بمنزله هذا للشركة طالما كان غائبا من البلد، ولقد ألحفنا في الطلب في أن يأخذ أجرة عليه ولكنه رفض رفضا كريما، وكذا المواطنان أبوعوف أفندي إبراهيم وإبراهيم أفندي الطيب والشيخ إبراهيم محمد على (القديّم) على خدماتهم في نقل الوابور من الكدرو إلى هنا، وان ننس لا ننسى قط كل من ساهم في نقل الوابور أو ضربه أو في حفر الجداول ورفعها، فلهم منا الثناء ومن المولى الجزاء.

إبراهيم أحمد علي
سبتمبر 1949م.

) أهـ.

التقرير الثاني: (حضرة المحترم السيد: ....

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته — وبعد:

(1) عبد الله بن الفقيه إبراهيم بن الفقيه علي بن عبد الرحمن بن أحمد بن عامر بن الفقيه موسى (الضيق).

يتشرف مديرو شركة تعمير توتي المحدودة لرصد الميزانية العمومية عن السنة المنتهية في 68\66 والسنة 68\67 وتقرير المراجعين محسي وشركاه ويرجون منك البحث الدقيق لتتمكن من معرفة ما فيها وما حوته بنودها وإن مجلس الإدارة رأى من الأصوب أن يطلعك على حقيقة موقف الشركة بعد نهاية السنة مباشرة ما أمكن ذلك ولذا فقد عرض على الاجتماع السابق المنعقد بتاريخ 23 نوفمبر 1967م ميزانيتا 65\64 و 66\65 وبذا أصبحت حسابات الشركة مستوفاة وسائرة بدقة ونظام كاملين – يقفل الحساب كل شهر من إيرادات ومصروفات ليرى المجلس ما للشركة وما عليها – وبحمد الله تعالى وحسن توفيقه فقد وصل مجلس الإدارة إلى حالة مرضية جدا في إيرادات الشركة ومصروفاتها واتفقوا بحسن عملها والفائدة المرجوة منها ويأمل أن يجد القبول والتجاوب فيها من حضرات المساهمين الكرام وتقديرهم لهذا العمل الجليل من الإدارة.

الأسهم: لا يزال عدد 22 سهما متبقية للبيع لمن يريد بالسعر المحدد كقرار مجلس الإدارة وهو ثمانية جنيهات للسهم الواحد وبحمد الله تعالى فإن حالة الشركة المالية تدعو للاطمئنان والإعجاب وليست في حالة عجز أو احتياج إلى المادة.

الجنائن: لا يزال العمل جاريا في شتل الجنائن بالأراضي التي لم يزرعها أربابها من قبل وبذل المجهود من المزارعين فإنه سيمر وقت قصير وستكون مساحة الجنائن ما يعادل أكثر من نصف الأراضي. أما الخضروات فحالتها مرضية جدا وهي تساهم بقدر ملحوظ في إمداد المدن الثلاث وتخفف وطأة الحاجة لها. أما تنظيف الطريق المحاذي للجدول الكبير فللآن لا يزال وعرا ولم يستجب لنداء مجلس الإدارة إلا القليل من المزارعين فلهم منا الشكر وقد قام مجلس الإدارة في فترات كثيرة بنظافة الباقي فنطلب من المزارعين القيام بنظافته كل في حدود أرضه لئلا يعوق سير الناس في الطريق وفي نفس الوقت يفسح المجال لأي تصليح يتطلبه الجدول.

الضرائب ورسوم المراجعة: لا يزال المجلس الريفي يطالب بضريبة الجنائن من إدارة الشركة وهي من اختصاص ملاك الجنائن وقد دفعت الشركة جزءا كبيرا منها وعليها استحقاقات من المجلس الريفي وسيطالب مجلس الإدارة ملاك الجنائن بدفع جميع ما دفعة نيابة عنهم. أما ضريبة الأطيان ورسوم المراجعة فليس فيها ما يستحق الذكر – وقد طلبت مصلحة الضرائب بالمالية بضريبة الأرباح عن السنة المنتهية 67\66م بمبلغ 239,990 جنيها ولا تزال المكاتبات بيننا جارية في تخفيض هذا المبلغ لأنهم لم يعتبروا الاستهلاكات لما جاءت الميزانية.

أعمال الحسابات وتحصيل إيرادات المياه: لا تزال الديون معلقة بالرغم من المجهود الجبار الذي يبذله مجلس الإدارة بالمرور على المديونين بمنازلهم وفي محلات مجمعاتهم وإن نسبة التحصيل ضئيلة جدا إذا ما قورنت بالمبالغ المطلوبة، ولذا نطلب من المساهمين الذين عليهم متأخرات أن يتكرموا بدفع ما عليهم

وأن يساعدوا في بث الروح فيما حولهم من أهلهم لأن يمثل الثلث في رأس مال الشركة إذ يبلغ 2465,170 جنيها.

الإيرادات والمصروفات: إن سير العمل بالإيرادات سائر بحالة مرضية جدا ولكي أعطيك صورة واضحة لها فقد كانت النقدية الموجودة بالبنك عندما تسلم مجلس الإدارة الحالي العمل تبلغ 3130,418 والآن 6268,813 جنيها زائدا سلفيات مباني 390 جنيها فتكون الجملة 6658,813 جنيها وكانت الخسارة المقفولة للحساب تبلغ 1016,888 جنيها والآن تبلغ الأرباح مبلغ 1498,859 جنيها زائدا 370 جنيها احتياطي فوائد ما بعد الخدمة للعمال (أي المكافآت) وتبلغ الجملة 1868,859 جنيها ومعنى ذلك أن الخسارة المشار إليها تغطت ويبقى هذا المبلغ كأرباح وفي نفس الوقت فقد قام بتصليح ماكينة الباص وتعميرها وكذلك بعمل عمرة عامة للوابور الزراعي خلال عام 1968م. ويأمل مجلس الإدارة بعون الله وتوفيقه أن تكون ميزانية 68\69 للعام المقبل أحسن مستوى من هذه السنة إن شاء الله تعالى.

انتهت مدة عضوية السيد محمد الشيخ إدريس[1] من مجلس الإدارة ونرجوا انتخاب خلف أو انتخابه إذا له الرغبة في العمل.

1968\12\23م

...) أهـ.

---

(1) محمد بن الشيخ إدريس بن الأمين بن عبد الرحمن بن حسن المسلّمي، وأمه العازة بنت الريح بن بابكر بن الشيخ العبودية، وأم الشيخ إدريس فاطمة بنت إبراهيم بن الشيخ العبودية.



صورة لتوتي [illegible] (الحلة القديمة)،
كما يظهر فيها النيل من الجهة الشرقية يكاد يجف، وتظهر بقايا سواقي التوانة في الخرطوم (مكان شارع النيل اليوم) خضراء.

توتي في العهد الوطني

كما كان لتوتي فضلها وسبقها في العهد الانجليزي بالنضال في كل الميادين، كان لها السبق في قيادة البناء والتعمير في العهد الوطني، وقد عرف السودان كثيرا من القيادات في الحياة المدنية والسياسية والرياضية. ممن أنجبتهم توتي، فمنهم: الشيخ علي عبد الرحمن الأمين الضرير الذي كان أول وزير عدل في أول حكومة وطنية، وتولى بعدها وزارات عديدة كوزارة الخارجية ووزارة الداخلية ووزارة التربية والتعليم[1]. ومنهم أحمد الطاهر طيب الأسماء أول سكرتير لمجلس الوزراء[2]، ومنهم عبد الرحمن النور إبراهيم حامد[3] الذي تولى وزارة الثقافة والإعلام عام (1965م) [4]، و عبد الله عبد الوهاب الشيخ أول وكيل لوزارة الصناعة والتعدين في العام (1966م) [5]، وفوزي أحمد الفاضل القائد العام للقوات المسلحة في عهد حكومة حزب الأمة (1986- 1989م)، وزين العابدين محمد أحمد عبد القادر عضو مجلس قيادة الثورة في عهد النميري(1969-1984م)، وحسان عبد الرحمن وزير الدفاع في عهد حكومة الإنقاذ (1989م- 2013م)، وعصمت عبدالرحمن الحسن أبوالمعالي القائد العام للقوات المسلحة في عهد الإنقاذ، وإسحاق إبراهيم عمر رئيس هيئة الأركان في عهد الإنقاذ، ومصعب بركات أحمد علي وزير الدولة بوزارة الحكم المحلي في عهد الإنقاذ، وعبد المنعم خوجلي وزير الطاقة في عهد الإنقاذ، ومحمد علي دليل وكيل وزارة الثقافة في عهد الإنقاذ، وفخري عبد الصادق نائب مدير الشرطة في عهد الإنقاذ. ومن أشهر اللاعبين الكابتن أمين زكي وعمار خالد وبابكر مبارك (كروت) ومن أشهر الحكام عبد الرحمن الخضر وأنس إبراهيم.

وأما الأحزاب فمن قياداتها الذين أنجبتهم توتي: علي عبد الرحمن الضرير الذي كان من قيادات الصف الأول بالحزب الوطني الاتحادي. ورئيس حزب الشعب الديموقراطي بعد الانشقاق[6]. وإمام إبراهيم المحسي عضو المكتب السياسي للحزب الشعب الديموقراطي، ثم عضو المكتب السياسي للحزب الاتحادي، وقد كان عضوا بجامعة الشعوب الإسلامية بالقاهرة[7]. ومحمد أحمد عبد القادر الذي كان عضوا بارزا بالحزب الوطني الاتحادي، وأحد الأعضاء المؤسسين لحزب الشعب الديموقراطي، ثم عضوا

(1) رواية عن محمد الأمين (سيد الحوش) بن أحمد بن علي الغردقابي.

(2) رواية عن قرشي بن عباس بن بابكر السعدلابي.

(3) وأمه بنت النور الجريفاوي.

(4) تطور التعليم في جزيرة توتي.

(5) تطور التعليم في جزيرة توتي.

(6) رواية عن محمد الأمين (سيد الحوش).

(7) عن مقال للطاهر محمد الطاهر الكنزي.

بالمكتب السياسي للحزب الاتحادي الديموقراطي[1]. وعبد القادر الجيلاني عضو المكتب السياسي للحزب الاتحادي الديموقراطي في أواخر التسعينات من القرن العشرين. وعبد الحميد عثمان عصملي عضو مجلس شوري الحركة الإسلامية السودانية (المؤتمر الوطني قبل انشقاقه إلى حزبين). وكان حيدر زين العابدين خالد محمد من قادة الحركة الإسلامية في السودان، وأحد دعاة تطبيق الشريعة الإسلامية، وقد اعتقل عدة مرات، وزج به السجن، لاتجاهاته المعادية لنظام الحكم في فترة حكم النميري. وقد اشتهر بالإنفاق على المحتاجين وعلى الدعوة للإسلام بجنوب السودان. ومما رثاه به أبو شوقي:

إن جاءه المسكين يوما سائلا — كالمزن يهطل ساخيا بعطائه

زهد الحياة وكان منها قانعا — لم يكترث لطعامه وهنائه

وعبادة الرحمن كانت همه — بصلاته وصيامه ودعائه[2]

(1) تطور التعليم في جزيرة توتي.

(2) تطور التعليم في جزيرة توتي.

التعليم في توتي

الخلاوي

كانت الخلوة– في البلاد عامة– عبارة عن سور من القصب وفروع الشجر أو الطين يضم مربعا أو مستطيلا به حجرات جانبية من القصب والأغصان أيضا وراكوبات هي خلوات الحيران –أي التلاميذ– والفقهاء. وكان الشيخ يجلس للدرس على العنقريب أو الأرض فوق الفروة أو البرش، ويجلس التلاميذ حوله في حلقة على الأرض مفروشة أو غير مفروشة.

ومن المساجد والخلوات ما يدرس فيها القرآن فقط أو العلم فقط، وأغلبها كان لتدريسهما معا. وكان التعليم يبدأ عادة بحفظ القرآن وقراءة بعض أحكامه، ثم يرتحل من حفظ القرآن إلى مسجد أو خلوة العلم أو يبقى في نفس المسجد–إن كان العلم يدرس به –حيث يتلقى علوم الدين، على أن كثيرا ممن شرعوا في حفظ القرآن قد يتركون الخلوة قبل إتمامه. (1)

وكانت سور القرآن تكتب على ألواح من الخشب، وتمسح بالماء بعد حفظها لتكتب عليها سورة جديدة. وأما الفقه فقد كانت الخلوة تدرس (الرسالة) لأبي زيد القيرواني، و (مختصر خليل) في الفقه المالكي، وكذلك (مقدمة السنوسية) في العقيدة. وتتراوح مدة بقاء التلميذ (الحوار) في الخلوة بين (7-15) عام. (2)

والخلوة إلى جانب أنها كانت مكانا للتدريس كانت مكانا للتعبد والذكر، كما كانت مكانا للضيافة ومحطا لرحال المارة والعابرين والطالبين للطعام والشراب والمنام.

وكان التعليم في الخلوة مجانا، وينفق على الحيران من دخل الشيخ وماله والهبات والنذور التي تقدم له. وكثير من المشايخ كانوا أغنياء يملكون البهائم والأراضي الزراعية. وكان الحيران يخدمون شيوخهم في الخلوة وخارجها بفلاحة الأرض وجمع الحطب ورعي الماشية وأحيانا إعداد الطعام، وإن ازدحمت الخلوة بالحيران ولم يعد بها مكان للطلبة الغرباء فإن سكان الحلة يقتسمونهم فيما بينهم ويبقونهم في منازلهم ساكنين طاعمين.

وكان الحيران يقدمون لمشايخهم شيئا ماديا من حين لآخر على سبيل المساعدة والاعتراف بالفضل، ومن ذلك ما هو معروف باسم (الشرافة) وهي جعل من المال –عينا أو نوعا–يقدم إلى الشيخ بمناسبة وصول المتعلم إلى سورة خاصة من سور القرآن الكريم. وما هو معروف (بحق الأربعاء) وهو شيء من المال أو الحبوب أو الطعام يقدم في يوم الأربعاء من كل أسبوع، وفي حالة الحبوب تعمل منها (بليلة)

---

(1) تاريخ مدينة الخرطوم. وقد أخذ كثيرا من المعلومات حول نظام الخلاوى من مواطني توتي.

(2) تطور التعليم في جزيرة توتي.

للحيران، وتسمى هذه الأكلة (كرامة الأربعاء)، وقد يأخذ الشيخ كل ما يقدم له إلى منزله. كما كانت تقدم الهدايا إلى الشيخ في المناسبات كأيام الأعياد وعندما يفرغ التلميذ من التعليم. (1)

وكان الفقهاء أصحاب الخلوات في الخرطوم صنفين، الصنف الأول وهم الفقهاء الذين يديرون الخلوات بأنفسهم، والآخر وهم الفقهاء الأكثر ثروة، فكانوا يملكون الخلاوى ولكنهم كانوا يعينون فقهاء للإشراف على تعليم الأطفال نظير أجر، بينما هم يمضون أوقاتهم في العبادة والزيارات. والعادة أن تعمل الخلوة من شروق الشمس حتى غروبها (2).

ولعل أقدم الخلاوي في توتي خلوة أرباب العقائد والتي كانت في حي الملجة مكان ما يعرف الآن بمركز الشاووشاب وكان سابقا يعرف ببيت الأمانة، وبها بئر من الحجر، كان أثره موجودا حتى وقت قريب (3) . وقد سبقت الإشارة إلى أنها كانت من أشهر الخلاوي في السودان في عهد الفونج.

إضافة إلى خلوة المسجد الكبير وكانت مبنية من الحجارة، وقد تعاقب عليها عدد كبير من العلماء والفقهاء أقدمهم وأشهرهم هو الشيخ خوجلي أبو الجاز والفقيه عامر بن الفقيه موسى (الضيق). وأيضا الفقيه علي بن إدريس بن عامر والفقيه محمد بن أحمد ود مضوي، والفقيه الأمين البشير والفقيه محمد المبارك والفقيه الهادي بن الفقيه محمد بن أحمد ود مضوي، والفقيه إبراهيم، والفقيه محيي الدين بن بابكر بن الجاركوك، والفقيه المشرف بن الفقيه محمد بن أحمد ود مضوي. الذي كان يسكن في الخلوة. وفي آخر عهد خلوة المسجد الكبير كان بها دوامان صباحا ومساء، وكان الفقيه محيي الدين بابكر يدرّس في الصباح، والفقيه المشرف محمد أحمد في المساء. (4)

وكان الأطفال يدخلون الخلوة وعمرهم 3 سنوات، ويعلمون الحروف ويحفظون جزء عم وتبارك، ويقدم لهم التعليم في شكل ألعاب، يجلسون في حلقة على رمال المسجد – حيث كانت به قيزان رمل بيضاء – ويكتبون الحروف على الرمل، ويطوف عليهم الفقيه يصحح ويعلم. ويحضر كل منهم شيئا من الحبوب (ذرة و قمح ولوبة ..إلخ) ويصنعون البليلة. وينطلقون للعب بعد قليل من الدراسة. ثم ينتقلون بعدها للدراسة في الكتاب (المدرسة الإبتدائية). (5)

وأما اليوم فتستخدم مباني الخلوة الملحقة بالمسجد العتيق لتدريس الصبيان القرآن في الإجازة الصيفية لطلاب المدارس الابتدائية، وأيضا تستخدم كمقر لكثير من حلق التلاوة بالمسجد العتيق.

---

(1) تاريخ مدينة الخرطوم. وقد أخذ كثيرا من المعلومات حول نظام الخلاوى من مواطني توتي.

(2) تاريخ مدينة الخرطوم.

(3) رواية عن عبد الوهاب أحمد المدني العجيمابي.

(4) تطور التعليم في جزيرة توتي.

(5) رواية عن قرشي بن عباس بن بابكر بن محمد بن قرشي.

وخلوة الفقيه إدريس بن بركات[1] (1815م-1912م) والذي كان يدرس إلى جانب تحفيظ القرآن مختصر خليل في الفقه المالكي على ما كان سائدا وقتها في البلاد، وقد كان من ضمن طلبتها أبناء المشاهير والكبراء مثل سليمان بن الزبير باشا والذي كان والده صديقا للفقيه إدريس[2]. وممن درّس فيها أيضا: الفقيه الطيب بن عثمان (من شمبات)، والفقيه محمد بن المبارك، والفقيه محيي الدين بن بابكر بن الجاركوك[3].

وقد كانت لآل الفقيه الضرير خلاوي تقع جنوب المسجد العتيق مباشرة[4].

وكان تعليم النساء في فترة المهدية يتم بطواف المعلمات عليهن في بيوتهن ومن هؤلاء المعلمات الفقيهة رقية بنت عبد القادر. وكانت الفقيهة أم حداقة (الضريرة) بنت عبد الرحمن بن الأمين (الضرير) تدرّس النساء في منزل فاطمة بنت الإمام. وكانت الحاجة عائشة بنت داوود بن محمد بن عبد الرحمن الشكرتابية تدرس النساء في خلوة الفقيه إدريس بن بركات. وأما الحاجة أم حريرة فكانت لها خلوة خاصة بالنساء[5].

وقد استمر نظام الخلاوى إلى أن أغلقت آخر خلوة في توتي عام 1957م، وذلك بسبب توجه الناس إلى المدارس الحديثة وتركهم الدراسة فيها[6].

---

(1) بن إدريس بن شكرته السعدلابي.

(2) من مجموعة مقالات تعريفية برموز توتي لأسامة إمام المحسي أعدت لأسبوع جزيرة توتي بمناسبة الاحتفال بالخرطوم عاصمة الثقافة العربية 2005م.

(3) تطور التعليم في جزيرة توتي.

(4) رواية شفوية عن فوزي الأمين ود نمر و إبراهيم الضرير.

(5) تطور التعليم في جزيرة توتي.

(6)فهيمة زاهر، تاج الدين علي الضاوي : مجتمع توتي، دراسة أعدها قسم علوم المجتمع بجامعة الخرطوم عام 1964م.

جدول مصطلحات الخلوة: [1]

المصطلح	المعنى
المسيد	المسجد وبجانبه الخلوة
الخلوة	مدرسة لتعليم القرآن
الفقيه (الفكي)	معلم الخلوة وشيخها
العريف	مساعد الفقيه
الحوار	طالب القرآن
التقابة	نار القرآن وتوقد ليلا لمراجعة الألواح بعد كتابتها
السجل	وعاء يحفظ فيه الطالب كتبه
رمية	إملاء المعلم القرآن لتلاميذه
العرض	إلقاء التلميذ ما حفظه على الشيخ
ماح	من عرض حفظه على الشيخ وأذن له أن يمحو لوحه
مشرف	من الشرافه وهي تزويق اللوح بألوان مختلفة لدى سور معينة من القرآن
الفزعة	خروج جماعي لجلب حطب الوقود وغيره لنار القرآن
العمار	المداد (الحبر) الذي يصنعه الطلاب من الصمغ والفحم
المغور	جير أحمر يصنع منه المداد
المحاية	آيات من القرآن تكتب على لوح وتغسل بالماء في إناء ويشرب الماء للشفاء
حزب	نصف الجزء من القرآن
السبع	سبع القرآن
عن	أخرج الغنة
الحدر	قراءة القرآن السريعة
شرّف	ارتفعت مكانته في سلم معرفة القرآن الكريم
التدلية	قراءة القرآن مرة ثانية للحفظ
عرض لوحه	تلاه على الشيخ عن ظهر قلب ليعرف هل حفظه أم لا
الفلقة	خشبة يشد في طرفها حبل يقيد بها التلميذ ليضرب على قدميه عقابا.

(1) تطور التعليم في جزيرة توتي: خوجلي أحمد خوجلي، مضوي عمر سرار، مصطفى النور إبراهيم.

المدارس

بدأ التعليم الحديث في توتي بمدرسة توتي الأولية التي افتتحت سنة 1917م بمنزل خوجلي الماحي، ثم أقيم مبنى المدرسة الحالي على قطعة أرض تبرعت بها فاطمة بنت بابكر علي بر بطلب من العمدة أحمد ود إبراهيم، وقد بنيت بالطوب الأخضر وأقيمت الكتوف بالطوب الأحمر، وقام بالبناء حسن مناي، وحاج الطيب أحمد نعيم، وحمد أحمد الحاج، وأحمد خوجلي محمد. وانتقلت الدراسة إلى مبنى المدرسة عام 1921م. وكان أول ناظر (مدير) للمدرسة هو بر محمد أحمد، وكان المعلم في ذلك الوقت يلبس جبة وطربوش مغربي. وهو زي المشايخ ولذلك كانت تطلق على المعلم في ذلك الوقت كلمة شيخ.وكان طلاب المدرسة عند إنشائها يلبسون جلابية من الدمورية. ويجلسون على بروش وأمام كل أربعة تختته.

وكان يتم اختيار طلبة المدرسة من الخلوة، تختارهم لجنة مكونة من العمدة أحمد ود إبراهيم وشيخ الحلة خوجلي حامد النور ومفتش إنجليزي. ثم أصبح الاختيار للمدرسة لاحقا يتم عبر امتحان طلاب الخلوة في الحساب والإملاء وجزء عمّ ليقبلوا بالمدرسة الأولية. وقد جدد بناء المدرسة عام 1951م وأصبح عدد طلابها 200 طالب. وخرّجت الأفذاد والعلماء والوزراء، من مثل أمين التوم ساتي وزير رئاسة مجلس الوزراء في عهد عبد الله خليل (1956م-1958م)، ووزير الدفاع في حكومة محمد أحمد المحجوب (1966م).[1]

وقد افتتحت أول مدرسة أولية للبنات بتوتي عام 1954م. وكانت بمباني نادي توتي. وأصبح اسمها لاحقا مدرسة (الزعيم مصطفى خالد). وأما مدرسة توتي المتوسطة للبنين فقد افتتحت عام 1969م، بمنزل عمر الملك، ثم انتقلت لاحقا إلى مبانيها الحالية (مباني مدرسة أرباب العقائد). وبنيت المدرسة المتوسطة للبنات عام 1977م[2]. وقد قام بجمع التبرعات للبناء الأستاذ محمد حمزة علي طيب الأسماء وتبرع بقطعة الأرض عبد الرحمن أبوالريش وأصبحت تسمى لاحقا –سنة 1984م – مدرسة محمد حمزة الثانوية بنات[3] وذلك تقديرا لدوره.

المعلمون

لقد اشتهرت توتي بالتعليم جدا، واشتهر معلموها الذين نشروا العلم في شتى بقاع السودان، وتقلدوا كثيرا من المناصب المهمة في التعليم، وسنكتفي في الإشارة إلى اشتهار معلمي توتي بذكر بعض المدارس التي كان نظّارها (مديروها) من توتي، فمنها مدرسة أرومة الأهلية الوسطى التي كان من نظارها

(1) تطور التعليم في جزيرة توتي.

(2) تطور التعليم في جزيرة توتي.

(3) من مطبق أعد على شرف زيارة الفريق عمر حسن أحمد البشير رئيس الجمهورية إلى توتي (2\10\1992م).

الأستاذ سيد أحمد غاندي، ومنها مدرسة الشعب الثانوية للبنين بالخرطوم بحري ونظرها أيضا الأستاذ سيد أحمد غاندي، ومنها مدرسة الأبيض الصناعية التي كان من نظارها الأستاذ عبد الحميد علي الإمام، ومنها مدرسة مريدي الوسطى التي كان من نظارها أيضا الأستاذ عبد الحميد علي الإمام، ومنها مدرسة السروراب الأولية التي كان من نظارها الأستاذ محمد عطا المنان عثمان الجيلي، مدرسة كريمة الأولية التي كان من نظارها الأستاذ التجاني محمد عصملي، ومنها مدرسة أدنق بأعالي النيل وكان من نظارها الأستاذ عبد الوهاب محمد عبد الرحمن، ومنها مدرسة الكلاكلة القبة وكان من نظارها الأستاذ عبد الوهاب محمد عبد الرحمن، ومنها مدرسة مستري بدارفور وكان من نظارها أيضا الأستاذ عبد الوهاب محمد عبد الرحمن، ومنها مدرسة الجنينة ونظرها أيضا الأستاذ عبدالوهاب محمد عبد الرحمن، ومنها مدرسة كسلا (عواض) ونظرها الأستاذ عبد الوهاب محمد عبد الرحمن أيضا، ومنها مدرسة الحاج يوسف الأولية ونظرها الأستاذ محمد النور إبراهيم خوجلي المشهور بعبد السلام النور، ومنها مدرسة أم تريبات الأولية بالجزيرة ونظرها الأستاذ محمد النور إبراهيم خوجلي أيضا، ومنها مدرسة أم رماد الأولية بشمال كردفان ونظرها أيضا الأستاذ محمد النور إبراهيم خوجلي، ومنها مدرسة البيبور الأولية بأعالي النيل ونظرها الأستاذ محمد النور إبراهيم خوجلي أيضا، ومنها مدرسة الهلالية نظرها أيضا الأستاذ محمد النور إبراهيم خوجلي، ومنها مدرسة أم بدة (الحارة الرابعة) ونظرها الأستاذ القاسم الحبر المختار حماد، ومنها مدرسة الحاجاب بغرب النيل ونظرها الأستاذ القاسم الحبر المختار حماد أيضا، ومنها مدرسة كواجينا الأولية ببحر الغزال وقد نظرها الأستاذ الصادق عبد الرحمن الإمام، ومنها مدرسة الكوّة الأولية ونظرها الأستاذ علي الإمام محمد الشيخ إدريس، ومنها مدرسة سواكن الأولية وقد نظرها الأستاذ علي الإمام محمد الشيخ إدريس، ومنها مدرسة بورتسودان الأولية نظرها الأستاذ علي الإمام محمد الشيخ إدريس، ومنها مدرسة طوكر الأولية نظرها أيضا الأستاذ علي الإمام محمد الشيخ إدريس، ومنها مدرسة الخرطوم الثانوية للبنين وقد نظرها الأستاذ محمد أحمد عبد القادر، ومنها مدرسة الخرطوم الأهلية الوسطى وقد نظرها الأستاذ محمد حمزة علي طيب الأسماء [1].

وقد عمل الأستاذ عمر الصديق محمد مضوي كبيرا لموجهي اللغة الإنجليزية في السودان.

بل ولقد ألف بعض معلمي توتي الكتب التي تدرس في المدارس من مثل الأستاذ محمد عطا المنان عثمان الجيلي الذي ألف كتاب (الدين الأول) الذي ظل يدرس لتلاميذ المدارس الأولية منذ عام 1947م إلى عام 1967م. وكذلك دُرِّس الكتاب لتلاميذ مدارس ولاية كانو بنيجيريا[2]. والأستاذ

(1) ملخص من كتاب تطور التعليم في جزيرة توتي.

(2) تطور التعليم في جزيرة توتي.

سيد حسن محمد أرباب الذي كان أحد مؤلفي كتاب اللغة الإنجليزية الذي يدّرس الآن بالمدارس الثانوية. وكانت بعض قصائد عبدالله عبد الرحمن الضرير تدرّس بالمدارس الثانوية في الخمسينات[1].

وقدم بعضهم البرامج التعليمية للأطفال بالتلفزيون القومي مثل الأستاذ عبد الوهاب جبريل محمد علي الذي كان من مقدمي برنامج (تعالوا ندرس) التعليمي للأطفال بين عامي (1967م – 1970م) [2].

واستفادة البلاد من مكانة معلمي توتي البارزة كانت واضحة من عهد مبكر إذ أَوكَل مؤتمر الخريجين رئاسة لجنة التعليم الأهلي بالمؤتمر للأستاذ محمد حمزة علي طيب الأسماء. وأوكل الإنجليز إلى الأستاذ عبد الحميد علي الإمام مهمة توجيه ورعاية أبناء الملك عبد العزيز (ملك السعودية): فهد وعبد الله وابن عمهم سعود، عندما أرسلهم والدهم سنة 1945م للدراسة بالسودان، وكان المطلوب أن يدرسوا بمدرسة الأميرية الابتدائية، ثم وادي سيدنا الثانوية، ثم جامعة الخرطوم. ولكن في الواقع تم إرسالهم إلى بخت الرضا بعد وصول برقية بهذا الخصوص من والدهم، وبعد بضعة شهور جاءت برقية من والدهم بإرسالهم إلى كلية فكتوريا بمصر.

وبعد زوال الاحتلال الإنجليزي للسودان بعامين أي في عام (1958م) طُلب الأستاذ محمد أحمد عبد القادر ليعمل وزيرا للتربية والتعليم لكنه رفض.

وقد تخرج على أيدي معلمي توتي كثير من قيادات البلاد، ونشير إلى بعضهم، إشارة تدل على البقية: فمن تلاميذ الأستاذ علي عبد الرحمن الفكي علي: إسماعيل الأزهري وعبد الله خليل و صديق المهدي. ومن تلاميذ الأستاذ علي الإمام محمد الشيخ إدريس (1895-1976م): الصديق عبد الرحمن المهدي. ومنصور محجوب (وزير مالية سابق). والفنان عثمان حسين[3]. ومن تلاميذ الأستاذ عبد الله عبدالرحمن الضرير: أ.د.عبدالله الطيب[4].

وبذلك فقد استحقت توتي ما وصفها به رئيس الجمهورية عمر حسن أحمد البشير عندما قال: (كل سوداني إما أن يكون أستاذه من توتي أو يكون أستاذ أستاذه من توتي) [5].

---

(1) رواية عن محمد الأمين (سيد الحوش).

(2) تطور التعليم في جزيرة توتي.

(3) تطور التعليم في جزيرة توتي.

(4) رواية عن محمد الأمين (سيد الحوش).

(5) قالها في احتفال جماهيري منقول على التلفزيون بمناسبة افتتاح كوبري الخرطوم توتي.

الحياة الاجتماعية

مراكز الاجتماع

إن المحافل التي تجمع أهل توتي هي المساجد والنوادي، لا سيما مسجد توتي العتيق ونادي توتي الثقافي، إضافة إلى تجمعات الأعراس والوفيات.

فأما المساجد التي تجمع الناس فأهمها مسجد توتي العتيق، حيث تقام عقودات الزواج ويصلى على الجنائز وتعقد الاجتماعات للنظر في قضايا توتي العامة. والمشاهد في توتي وقت الصلاة أن جميع من في الطرق المؤدية إلى المسجد يتحركون في اتجاه المسجد داخلين إليه، ومن ثم يشاهدون وهم خارجون بأعداد كبيرة متحركة في جميع الاتجاهات، ثم يعودون إليه في الصلاة التالية، أشبه بالدم الذي يتجمع من جميع أجزاء الجسم ليدخل إلى القلب الذي يعطيه دفعة فيخرج منه في جميع الاتجاهات إلى جميع أجزاء الجسم ثم يعود إليه في نبضة تالية. والملاحظ في توتي أن الصلاة في المسجد من العادات الاجتماعية الهامة حيث يتلاقى الناس بعد الصلاة، يقضون حاجات بعض ويتسامرون، وتتحرك كل جوقة سوية إلى مكانها الذي اعتادت أن تأنس به. وتغلق جميع الدكاكين القريبة من المسجد أبوابها ويذهب أصحابها للصلاة ثم يعودون. حتى أن من أراد ملاقاة أحد في توتي رصده وقت الصلاة في المسجد الذي اعتاد أن يصلي فيه. لا سيما صلاتي المغرب والعشاء، حيث يعج المسجد بالمصلين، فلا يكاد يوجد بتوتي أحد لا يصليهما فيه.

وأما النوادي فيتجمع فيها الناس مساءا، وأهمها نادي توتي الثقافي، حيث يتجمع الناس للتآنس واللهو. يلعب بعضهم الورق وبعضهم الدومنو وبعضهم يشاهد التلفزيون، وتنظم أمور الرياضة والمسابقات. وفي بعض النوادي الأخرى يلعبون كرة الطاولة. وتقام في النوادي احتفالات الغناء والتمثيل والترفيه، إذ في أكثرها توجد مسارح، تقام فيها أيضا المحاضرات العامة في قضايا توتي والمحاضرات العلمية. إذ أن القضايا العامة في توتي تناقش عادة في المساجد وأهمها مسجد توتي العتيق وتناقش أحيانا في النوادي وأهمها نادي توتي الثقافي.

وأما الأعراس فقد اعتاد أهل توتي أن يكون في كل أسبوع بضعة أعراس، ويكون اغلبها عادة يوم الجمعة. حيث يعلن عن عقود الزواج المستقبل بها الجمعة القادمة بعد الصلاة. ثم يعلن عن بعض القضايا العامة التي تهم الناس، ثم تعقد عقود الزواج. و يتوجه المصلون بعد الجمعة إلى بيوت الأفراح. حيث ينصب سرادق عادة في أقرب مكان من منزل أهل العرس يستقبل فيه الضيوف من الرجال، وأما النساء فعادة ما يستقبلن في منزل أهل العرس ومنازل الجيران. ومن ثم يقدم الغداء للضيوف، وربما سمعوا في أثنائه شيئا من المدائح النبوية والأناشيد. ويساهم جميع الضيوف في تكاليف العرس بأن يدفع كل

منهم ما تيسر من المال ويسجل ذلك في دفتر معد لذلك. وينتهي وقت الغداء عند أهل العرس عادة بتوجه جميع الحضور إلى صلاة العصر. حيث يطوى السرادق بعد الصلاة، أو يجهز لاستقبال حفل الغناء الذي يقام في الليل.

وأما الوفيات، فيتجمع الناس في بيت الوفاة عند سماع خبر الوفاة، وينتظرون الغسل والتكفين، ومن ثم تحمل الجنازة على عنقريب ويتبعها الرجال دون النساء إلى المسجد العتيق حيث يصلى بها، بعد أقرب وقت صلاة إن لم يكن بعيدا، وإلا صلي بها على الفور. ويتوجه الناس في أثناء ذلك إلى أهل المتوفى يعزونهم بصيغ مختلفة، أكثرها انتشارا طلب الفاتحة، وهم في الحقيقة لا يقرءون سورة الفاتحة بل يرفعون أيديهم بالدعاء المختصر للميت سرا، والمقصود إشغال أهل المصاب عن مصيبتهم. ثم بعد صلاة الجنازة تحمل إلى مقابر أبي نجيلة ببحري. حيث يتجمع هناك من سمع بالوفاة من أهل توتي الساكنين خارجها بانتظار الجنازة، وذلك في مبنى (استراحة) معد خصيصا لهذا الغرض. ومن ثم يتوجه الناس إلى القبر للدفن، وبعد الفراغ تلقى خطبة قصيرة على قبر الميت في الغالب فيها ذكر لمحاسنه ويدعو الناس له. ثم يعود الناس إلى بيوتهم. وأما أهل الميت فيبقون في انتظار العزاء في منزل أهل العزاء – يوما كاملا، وكانت عادة الناس في زمن مضى الانتظار ثلاثة أيام. وقبلها كانوا يبقون في انتظار العزاء أربعين يوما. وقد جرت العادة أن الجيران في أيام العزاء يقدمون الطعام لأهل الوفاة وضيوفهم، ولا يقيمون عرسا أو يشغلون تلفزيونا. وأما بقية أهل توتي فيساهمون بدفع المال ويسجلون ذلك في دفتر معد لذلك كل حسب استطاعته.

المقابر

لا تزال مقابر أبو نجيلة – ويقال أنه هو نفسه علي أبو عشبة جد السعدلاب– ببحري في الشاطئ المقابل لتوتي هي مدافن أهل توتي من زمن بعيد. وهي أقدم منهم، فقد وجد بها قبر يعود إلى سنة 550هـ الموافقة 1155م[1]. والمقبرة مقسمة إلى نواح كثيرة تدفن في كل ناحية منها أسرة معينة، يتم الإلتزام بذلك في الغالب. وأحيانا لا يلتزم بذلك نتيجة لظروف امتلاء المكان بالقبور، أو لظرف طبيعي مثل ماء المطر مثلا. وقد نذر نفر من أهل توتي أنفسهم لخدمة العمل على تجهيز المقابر لاستقبال المتوفين احتسابا للأجر عند الله تعالى. يذهبون كل خميس ويقيلون فيها، حيث يعجنون الطين ويصنعون طوب المقابر الذي يستخدم في تغطية القبر قبل دفنه، وهو طوب لبن كبير، أكبر من حجم الطوب الأحمر بأضعاف. ثم يخزنونه في مخزن أعد لذلك باستراحة المقابر. ويكونون دائما جاهزين لتلقي أخبار الوفيات في أي وقت من نهار أو ليل، فإذا توفي أحد سكان الجزيرة، سارعوا بمسابقة الجنازة إلى حفر

(1) رواية عن الشيخ: عبد الوهاب أحمد المدني. وقد ذكر انه ابن اخته، والصواب انه ابن بنته. عن الطاهر.

القبر. وعند وصول الجنازة إلى المقابر يكون القبر جاهزا. وقد سجلوا أنفسهم قبل وقت قريب كجمعية رسمية.

المسجد



مسجد توتي العتيق

توجد بتوتي اليوم 8 مساجد أشهرها وأهمها مسجد توتي الكبير (العتيق)، وتقدر فترة بنائه بالعام 1480م الموافق 885هـ أي قبل قيام دولة الفونج الإسلامية، وهو تاريخ هجرة أهل توتي إليها، إذ أن أول ما فعلوه – ولا بد – هو بناء المسجد للصلاة. وبهذا فلعله أن يكون المدرسة الإسلامية الأولى الباقية في منطقة وسط السودان بصورة عامة، حيث اشتهر من قديم بخلاويه لتعليم القرآن، وعلوم الفقه والشريعة، وكان أول إمام له هو الفقيه موسى بن علي بن طاع الله الغردقابي ومن ثم توارث نسله الخلافة على المسجد فمن نعلمه منهم: الفقيه موسى (الضيق) بن سليمان بن الفقيه موسى بن علي، ثم الفقيه عامر بن الفقيه موسى (الضيق)، ثم الفقيه عبد الرحمن بن عامر، ثم الفقيه علي بن إدريس بن عامر، ثم الفقيه علي بن عبد الرحمن بن أحمد بن عامر، ثم الفقيه إبراهيم بن الفقيه علي بن عبد الرحمن وهو آخر خلفاء العامراب على المسجد العتيق. ثم انتقلت إمامة المسجد إلى الفقيه محمد بن أحمد بن مضوي (ت:1912م) وخلفائه من بعده الفقيه الهادي بن الفقيه محمد بن أحمد (ت:1938م) والفقيه محمد بن الفقيه الهادي.

ومن أشهر من أمَّ المسجد العتيق ودرّس فيه الشيخ أرباب العقائد والشيخ حمد ود أم مريوم والفقيه عبد الرحمن والد الشيخ خوجلي (أبي الجاز) وهو عالم أزهري والشيخ خوجلي بن عبد الرحمن وهو أخو

الفقيه عامر من أمه والفقيه إبراهيم ولد توتي البداني وهو ابن أخت الفقيه عامر خليفة المسجد، والفقيه الأمين الضرير "شيخ علماء السودان" في العهد التركي.

وكانت قصة تولي الفقيه محمد بن أحمد ود مضوي الإمامة والتدريس بالمسجد العتيق مرتبطة بخروج الفقيه الأمين الضرير إلى خرطوم توتي لما عينه الترك شيخا لعلماء السودان، فأحس أهل توتي فراغا علميا، فقصدوا إلى الفقيه الجلي بن الفقيه محمد المقبول بن الشيخ حمد ود أم مريوم الذي دلهم على ابن بنته الفقيه أحمد ود مضوي والذي حضر من شمبات لسد الفراغ[1]، وقد صلى بالناس ثم سافر إلى الحج وبقي بالديار المقدسة إلى توفاه الله [2]، وبقي ابنه الفقيه محمد بن أحمد ود مضوي يؤم الناس، وهو من حيث النسب من المحس الصبحاب رهط أرباب العقائد والشاووشاب والبلولاب.

وممن أمَّ الناس بالمسجد أيضا الفقيه عبد الرحمن ود النجومي[3]، والجلي بن محمد بن سليمان بن طيب الأسماء الغردقابي، ومحمد بن البشير بن الحسن بن البشير المكنابي، وعباس بن عبد الله بن الفقيه محمد بن أحمد بن مضوي[4]. [5]

وأما اليوم فقد انتهت الرئاسة الدينية والاجتماعية بالمسجد الكبير وبتوتي إلى الشيخ أحمد بن عمر بن فضل الله المشهور بالشمباتي[6] وهو عالم مالكي تلقى العلم بالأزهر، وذلك بعد وفاة قرينه في العلم والمكانة الاجتماعية الشيخ البشير بن بابكر[7]. ويصلي بالناس الجمعة أيضا الفقيه الهادي بن أحمد بن الفقيه الهادي والفقيه عبد الحميد بن عثمان بن محمد (عصملي)، والفقيه خالد بن أحمد بن عبد الرحيم، والشيخ محمد بن عمر بن عباس بن محمد (طيب الأسماء)، والشيخ معتصم (الصاحب) بن حسن.

---

(1) رواية عن الشيخ: عبد الوهاب أحمد المدني. وقد ذكر انه ابن اخته، والصواب انه ابن بنته. عن الطاهر.

(2) رواية عن فوزي بن الأمين ود نمر البدانابي.

(3) هو عبد الرحمن بن الإمام بن محمد بن الشيخ إدريس الغردقابي، وكان حجة في الفقه. قال الشيخ الشمباتي: (كان عبد الرحمن ود النجومي رحمه الله أعلم من في توتي).

(4) وقد استشهد في معارك الجنوب، وكانت قد جاءته فرصة للحج ودعت الحكومة الناس للجهاد في سبيل الله، فاختار الشيخ الجهاد على الحج، ورزقه الله الشهادة.

(5) من مقال لمحمد بن (الفكي) طه بن بابكر بن الفضل الغردقابي.

(6) هو أحمد بن عمر بن فضل الله الجعلي، وأم فضل الله كنانة بنت محمد بن الكامل بن حمد بن النور بن الشيخ حمد ود أم مريوم. والشيخ الشمباتي عاش حياته كلها بتوتي وليس له علاقة بشمبات، وقد أخبرني أن والده كان يناديه بالشمباتي تسمية على عمه المتوفي غرقا وهو صغير وكان اسمه الشمباتي، وكان عمه مسمى على الشيخ الشمباتي المشهور بقرية الشمباتة، والذي سميت عليه القرية. واسمه محمد بن أحمد بن عجيمي بن منوفلي، لقب بذلك لأنه قدم عليهم من شمبات. قال لي الشيخ الشمباتي: أبي سماني أحمد ولكنه لم يناديني أبدا بغير اسم الشمباتي.

(7) الشيخ: البشير بن بابكر بن البشير بن محمد (جاد الولي) بن الجيلي الصبحابي.



الشيخ الشمباتي جالسا في وسط المسجد

وأما الإمامة الراتبة للصلوات اليومية فممن صلاها بالناس بعد الفقيه الهادي الفقيه أحمد البرعي ثم الفقيه المشرف بن الفقيه محمد بن أحمد ود مضوي ثم الفقيه النور بن محمد بن أحمد ثم الفقيه عبد الرحمن بن الفقيه محمد بن الفقيه أحمد ود مضوي، ثم الفقيه حمزة بن الفقيه محمد بن الفقيه أحمد ود مضوي، ثم الفقيه عبد الله ثم الفقيه القاسم ثم الفقيه إلياس إلى أن آل الأمر إلى الشيخ حامد بن حمزة بن الفقيه محمد بن أحمد ود مضوي[1]، ثم الشيخ محمد بن عمر بن عباس و الفقيه مختار بن الفقيه الهادي بن أحمد بن الفقيه الهادي، والفقيه أحمد المرتضي بن البدري، والشيخ عمر بن نور الجليل بن عكاشة والشيخ أحمد بن حسن بن المشرف بن الفقيه محمد بن الفقيه أحمد ود مضوي، والأربعة الأواخر من حفظة كتاب الله.

وقيل إن أول جمعة صليت في المسجد العتيق كانت على عهد الفقيه موسى (الضيق)، إذ كانوا قبل ذلك يصلون في مسجد الصبابي[2]، فقال الفقيه موسى الضيق: (المركب بقت ما بتشيلكم، تعالوا نصلي في توتي) [3]، ويقال أن الذي حفّزهم على ذلك أنه حدث فيضان كبير وفاتتهم صلاة الجمعة[4]،

(1) عن صباح الخير بن عبد الساوي مؤذن المسجد لعقود طويلة، وقد جاوز التسعين.

(2) وعلى هذا فإن في الصبابي مسجدا أقدم من مسجد توتي العتيق.

(3) رواية عن كمال بن أحمد بن البشير الكباني.

(4) رواية عن محمد الأمين (سيد الحوش) بن أحمد بن علي الغردقابي.

وقيل بل صليت أول جمعة في عهد الفقيه عامر بن موسى(الضيق) [1]. وأنا أرجح أن تكون بداية الفكرة في عهد الفقيه موسى (الضيق)، وأول صلاة جمعة أقيمت فيه في عهد ابنه الفقيه عامر وذلك بعد تجديد بناء المسجد علي يد الشيخ خوجلي الذي هو أخو عامر لأمه.

وذلك أن أشهر تجديدات بناء المسجد المعروفة هي تجديد في عهد الشيخ خوجلي (1066-1155هـ) الموافقة (1656-1742م) ، بناه من القصب[2]. وتجديد آخر عام (1284هـ الموافق 1867م) في عهد الفقيه محمد بن أحمد بن مضوي إذ نقل بناؤه من القش والسعف إلى اللبن (الطوب الأخضر) [3] . و تجديد عام (1325هـ الموافق 1907م) وكان من الطوب الأحمر والحجر، والسقف بلدي (قنا وحصير وقش فوقه طين)، يقف على أعمدة من خشب الحراز (لأنه لا تأكله الأرضة). حجم طوب البناء بقدر طوب المقابر الحالي، وبناء الحوائط حتى الوسط بالحجر ، وبقية الحائط العلوية بالطوب، وسواري المسجد من الطوب الأحمر، وحجم المسجد أصغر من الحالي بقليل، وكان مستطيل الشكل طوله متجه شمال وجنوب. وكانت أمام المسجد بينه وبين البئر القديمة المحاية القديمة[4] من زمان الشيخ خوجلي[5] .

ومعظم توسعة المسجد مقامة على أرض تبرع بها العامراب، ثم زيدت لاحقا من الأرض التي أخرجها الفقيه المدني لخلاوى المسجد.

ومن المرافق القديمة الملحقة بالمسجد خلوة الفقيه عامر التي ما زال يدرس فيها القرآن من زمان الشيخ خوجلي وإلى يومنا، وتقع في الجزء الشمالي الغربي من المسجد. ومن أشهر من درّس فيها إضافة إلى من ذكر: الفقيه محيي الدين بابكر والفقيه محمد المبارك والفقيه المشرف محمد أحمد مضوي(ت:1962م)، والفقيه الأمين البشير والفقيه إبراهيم.

وأما تجديد البناء الحالي (1381هـ الموافق 1961م) فقد جمعت له الأموال بفرض تبرع على كل فرد مكتسب في الجزيرة، وتم البناء وفق أرفع أسس البناء في زمانه، ونال فضل المشاركة فيه عدد لا يحصى من أبناء الجزيرة.

وكانت تشرف على البناء لجنة فيها: القوس ، ومحمد حمزة ، ومصطفى خالد ، وإبراهيم الكباشي أحمد علي، والفكي حميدة، والفكي إدريس ، وخوجلي الفكي وآخرون. ويرأس أعمال البناء: حاج يوسف الطيب. ويعمل معه: المنصور ، ويس أحمد موسى ، وعلي ود أبكر ، وحسن بشير النور ،

---

(1) رواية عن عبد الوهاب أحمد المدني العجيمي.

(2) عن الشيخ عبد الوهاب بن أحمد بن المدني العجيمي.

(3) عن الشيخ عبد الوهاب بن أحمد بن المدني العجيمي.

(4) حجر تغسل عليه ألواح القرآن لكتابة آيات جديدة.

(5) رواية عن صباح الخير بن عبد الساوي. مع إضافات من قرشي بن عباس بن بابكر بن محمد بن قرشي.

والبشير الحسن ، والأمين عبد الله ، والنور سليمان ، وأحمد عبد القادر وآخرون يعاونهم عبد الجبار المكي وعمر ركاب. [1]

وقد أضاف الحاج إبراهيم أخيرا تبرعا كبيرا لأرض المسجد من جهة القبلة. تقوم عليها الآن خلاوي ومكتبة ومركز صحي ومرافق أخرى تتبع للمسجد.



جانب من مكتبة مسجد توتي العتيق

والمسجد اليوم يعج بالدروس وحلق التلاوة والمدارسة والحفظ والتفسير وهو محور حياة التواتة، ففيه عقود الزواج والاجتماعات العامة لأهل توتي في كل ما يحزبهم، حتى أن الزعامة الاجتماعية لتوتي لتدور حول زعامة المسجد.

وهذه قائمة بالمساجد القائمة بتوتي اليوم:

م	الاسم	التأسيس	معلومات إضافية
1	مسجد توتي العتيق (الكبير)	1480م - 885هـ	هو أول مسجد أسس بتوتي وهو من أقدم المساجد بمنطقة الخرطوم.

(1) رواية عن صباح الخير بن عبد الساوي.

م	الاسم	التأسيس	معلومات إضافية
2	مسـجد الفقيـه إدريـس (الشكرتاب)	1902م - 1320هـ	بني في مكان خلوة الفقيه إدريس بن بركات (1815م-1912م) بحي الشكرتاب. وجدد بناؤه في 1931م الموافق 1350هـ. ثم في 1970م الوافق 1370هـ. وصليت أول جمعة به في آواخر السبعينات من القرن العشرين وذلك لأن الناس قبلها لم يكونوا يملأون المسجد العتيق.
3	مسجد السارا	أوائل التسعينات	
4	مسجد ومجمع توتي الإسلامي	أواخر التسعينات	
5	مسجد (الشكرتاب الجديدة)	أواخر التسعينات	
6	مسجد الخير	أواخر التسعينات	
7	مسجد التوحيد	2004م	
8	مسجد شيخ أحمد عبد الرحمن	تحت الإنشاء	
9	مسجد ... بالشكرتاب	تحت الإنشاء	
10	مسجد ... دار القرآن الكريم	تحت الإنشاء	

الكورة

الكورة – بإمالة الواو نحو الألف – هي إجراءات يتفق عليها قادة المجتمع لتيسير الزواج، بتخفيف الإجراءات وتغيير العادات التي لها كلفة مالية تتسبب في إعراض الشباب عنه. وقد قاد مثل هذا النشاط عدد كبير من قيادات توتي الاجتماعية لا سيما العلماء ولا يزالون، كلما تثاقلت الأعراف والعادات عادوا بمعالجات لإزالة المشقة. ومن أشهر من عمل على ذلك من القيادات: الفقيه الأمين الضرير في العهد التركي مع معاصرة الفقيه محمد بن أحمد بن مضوي ومشاركته غير أن الفقيه محمد ود مضوي استمر بعد وفاة الضرير فترة يشرف على الكورة، والفقيه الهادي بن الفقيه محمد بن أحمد بن مضوي في عهد المهدية، والشيخ محمد بن البشير بن الحسن المكنابي، والشيخ الشمباتي، والفقيه القاضي عبد الحميد بن عثمان بن عصملي، وآخرون كثيرون.

وقد كان من ثمار الكورة المهمة التي لا يلاحظها الناس عادة حفظ التوازن الاجتماعي ومنع ظهور الطبقات المبنية على الفروق المالية بين الأسر. كما أن من ثمارها المحافظة على كيان المجتمع وحفظ نسيجه الاجتماعي. ويروى أن الخليفة عبد الله التعايشي قد أراد إزالة المشكلة العنصرية بين أبناء البحر

وأبناء الغرب بأن يجبر سكان القرى النيلية على تزويج بناتهم من أبناء الغرب. وقيل إن الجعليين من حماقتهم —وهي كلمة تعني في الدارجة العناد المفضي إلى المضرة بالنفس — ألقوا بناتهم في النهر، كي لا يساموا الضيم. وأما محس الشمال فأرسلوا بناتهم إلى مصر. وأما أهل توتي فقد أرسل الفقيه الهادي بن الفقيه محمد بن أحمد ود مضوي فجمع جميع الصبيان الذين كانوا يلعبون في رمال توتي "بلباساتهم" وزوجهم بجميع البنات في سن التزويج، وعندما جاء الجهادية — جنود المهدية– أخبرهم أنه ليست لدينا بنات غير متزوجات.

وفيما يلي قصيدة لأبي شوقي الأمين مصطفى خليفة يشرح فيها الحال عام 1953م: (1)

انظر لتوتي تأمل كل ما فيها وأحضر الفكر حينا ثم ناجيها
تأمل الفرق في الأحوال منتقدا وقارن الحال حاضرها بماضيها
كان الزواج من الأشياء أيسرها فعاد صعبا بها مذ مات هاديها
جعلتم العرس يجري في مزاودة شوهتمو سنة الأفراح تشويها
دفعتم المهر مالا لا عداد له يا للمصيبة زادت في تماديها
أمل الفقير من الزواج محطم بنت الفقير بها ضلت مساعيها
والنشء إن خطر الزواج بعقله يفضل اللهو ترفيها وترويحا
لا زال في سجن العزوبة قابعا مضت السنون وقد مرت لياليها
يا لجنة بفعال الخير قد عرفت هل من معيد إلى توتي أمانيها
وترجع الحال في يسر كما سلفت والماء يجري نميرا في مجاريها

وهذه شروط زواج الكورة التي أعدتها جمعية الإصلاح بتوتي عام 1968م: (2)

1. المهر ستون جنيها تفاصيله بالكشف طيه.
2. يقدم والد العروس بالنسبة للضيوف في يوم الدخلة بلح وموية ليمون. وليس مسموحا له بتقديم وجبة عشاء في نفس اليوم.
3. العرس ثلاثة أيام من صبيحة يوم الدخلة.
4. أن ينصرف أهل الزوج والزوجة إلى منازلهم في نهاية اليوم الثالث من صبيحة الدخلة.
5. أن يكون العروض بلح.
6. أن يكون الطعام عادي في حدود المبلغ المدفوع.
7. تمنع الوليمة لأهل الزوج والزوجة.
8. تلغى الشبكة تماما.

(1) الزواج بجزيرة توتي– الأمين مصطفى خليفة.

(2) الزواج بجزيرة توتي– الأمين مصطفى خليفة.

9. تمنع العادات مثل قدح العريس وهو الذي يوزع لأهل الزوج وموية رمضان .. إلخ.
10. أن يكون في منزل العريس عنقريبين مفروشان وسجاد وإبريق للصلاة.
11. وجود لجنة لمراقبة التنفيذ.
12. عدم تجمع الشباب في منزل العريس.
13. تمنع الشيلة بأي شكل كان.
14. يمنع التجمع للخطبة وخلاص المال.
15. يمنع الكوافير والصورة والعادات الغربية.
16. تمنع الذبيحة في أي يوم.
17. المساعدات تكون نقدية.
18. إذا أقيمت لعبات(1) يشترط أن تكون في منزل العريس على أن يكون الفنانون محليون ما أمكن ذلك.
19. الزوج الذي يريد أن يتزوج خارج توتي عليه أن يلتزم بهذه الشروط إلى خروجه منها. والذي يأتي من خارج البلد عليه أن يلتزم بشروطها.
20. لا يسمح بشراء ملبوسات أخرى من تجديد عفش وخلافه لمدة ستة أشهر ثم تعود الحياة طبيعية لكل حسب مقدرته وطاقته.
21. هذا مما جميعه يختص بالبكر أما الثيب (العزبة) فلها نصف المذكور.

الشيخ إبراهيم العباس

ولد الحاج إبراهيم العباس(2) عام 1918م، وتلقى العلم في مدرسة توتي الأولية وحفظ القرآن على يد الفقيه محيي الدين بابكر(3)، كما تلقى علوم التجويد على يد الفقيهين بابكر الجاركوك(4) وعبد الباقي يوسف النعمة وختم حفظه عام 1937م. وكان مزارعا يأكل من عمل يده.

---

(1) يقصد باللعبات الحفلات الغنائية التي يتخللها رقص (لعب) – وكانت هذه هي الكلمة المستخدمة في زمن مضى.

(2) إبراهيم بن العباس بن حاج عمر بن محمد بن أحمد (القناوي) بن إسماعيل بن عركي بن مرسي بن درياس بن حريز بن جموع بن منصور بن جموع (جد الجموعية).

(3) الفقيه محيي الدين بن الفقيه بابكر بن الحاج أحمد (الجاركوك). تلقى العلم عن والده.

(4) الفقيه بابكر بن الحاج أحمد (الجاركوك) بن محمد بن بخيت بن خلف الله (أبو الروس) جد الروساب. وكان فقيها بارعا، تلقى العلم عن الفقيه الأمين الضرير ، و أخذ عنه الحاج إبراهيم والشيخ الشمباتي. ذكر لي الطاهر عن الشيخ الشمباتي، بأن الفقيه الهادي محمد أحمد مضوي وسائر أهل توتي كانوا يرجعون إليه في حل المسائل المعضلة، وقد كان يسكن المقرن وكان الفقيه الهادي يرسل في طلبه وينتظره الناس بالفتوى. ومرة جاؤا به محمولا على عنقريب لما كبر ومرض، والناس متجمعون ينتظرونه لحل معضلتهم.

وقد اشتهر بحفظه المتقن للقرآن، حتى أنه جلس في حلق لا تحصى لأعوام مديدة، ولم يذكر عنه أحد يوما أنه قد نسي آية أو أخطأ فيها، وكان كثيرا ما يذكر أن القرآن يتفلت تفلت الإبل، ويقول: أريد أن أموت حافظا. سئل مرة عن سر حفظه المتقن، فقال: كنت أسقي كل يوم ستين حوضا من زرعي، فأفتح الماء في الحوض، ثم أقرأ لوحي من القرآن، حتى إذا أتيت على اللوح كان الحوض قد امتلأ، فأنقل الماء إلى الحوض الذي يليه، ثم أعود لقراءة اللوح، وهكذا حتى أكمل سقاية جميع الزرع.

قرأ القرآن بقراءتين هما: حفص عن عاصم، والدوري عن أبي عمرو؛ أخذها عن الشيخ محمد سليمان صالح من علماء القراءات بالأزهر، وكان قد جاء إلى السودان ونفع الله بعلمه خلقا كثيرا، وكان الشيخ كثيرا ما يشير إليه بعبارة (المصري)، أخذ عنه الرواية بأصولها وقواعدها، وإلا فإن قراءة الدوري عن أبي عمرو هي قراءة أهل البلد.

وأخذ عنه القراءة جمع كثير لا يحصون من أفاضل الناس وعامتهم، وقد شرفني الله تعالى بأن أخذت عنه القراءتين. وسبب كثرة تلامذته أنه كانت له حلق تلاوة بعد كل صلاة – واحدة على الأقل – بعضها في المسجد وبعضها في بيته، وطريقته أنه يؤسس حلقة تلاوة، ويرغب الناس في الانضمام إليها، وله في ذلك طريقة مميزة، حيث يدعو كل من مرّ قريبا من حلقة التلاوة ومن يلقاه من العامة في المسجد أو غيره لحضور التلاوة، ثم يحسّن له المداومة على الحضور، ويمتدح قراءته، ثم يتلطف عليه في تعلم الأحكام بالتدريج، ويسأل تلامذته عن معاني الآيات ووجوه القراءة، ثم يدلهم على كتب القراءات والتفسير التي يجدون فيها الإجابة، ويسمع إجاباتهم في اليوم التالي وكأنه تلميذهم، فإذا أحس بأن الحلقة استقرت منتظمة، وأن أعضاءها أحسنوا القراءة، غاب عنهم بالتدريج، حتى يتركهم، ثم يؤسس حلقة أخرى، حتى فاض مسجد توتي العتيق بعشرات حلق القرآن كلهم يفخر بأن مؤسس حلقته الحاج إبراهيم.

وكان له يوم الخميس مع طلاب الجامعات لا سيما جامعة الخرطوم- يوم لم يكن بالبلاد غيرها إلا جامعة القاهرة – شأن خاص. إذ كانوا يأتونه في ديوان منزله الذي يعده وقفا لمن طلب العلم أو أراد المبيت، وكان يعلق فيه ملابس "الدمورية"، فيأتي الطلاب ويتعلمون منه القرآن ويأكلون من خبزه، ويلبسون الدمورية، ويقيمون عنده أو في المسجد العتيق قيام الليل، ويبيتون معه. وكان أكثر الوافدين عليه من الطلاب الإخوان المسلمون، إذ كانت البلاد في أوائل السبعينات من القرن العشرين الميلادي تحت حكم الشيوعيين المحاربين للدين، فكان بيته ملجأ وملاذا ومكانا للعلم والعبادة، وكثيرا ما جرّ عليه ذلك غضب الحكومة، فسجن مع الإخوان مرات عديدة، لا يزيده ذلك إلا حبا لتعليم القرآن ورعاية النشء عليه.

وكانت بينه وبين إمام عصره وزعيم الإخوان – الشيخ حسن الترابي – علاقة صداقة، استمر يداوم زيارته كل أسبوع أكثر من أربعين عاما، إذ كانت بينهما حلقة تلاوة لا يقطعها شيء – يقرأ حاج

إبراهيم والشيخ حسن يفسر الآيات، وكان كثيرا ما يحضر هذه الحلقة لفيف من علماء القراءات والتفسير والفقه بالبلاد، كالشيخ أحمد علي الإمام والشيخ عبد الرحيم علي والشيخ الشهيد أحمد محجوب حاج نور والشيخ أحمد إسماعيل البيلي والشيخ عبد الجليل النذير الكاروري والدكتور حسن مكي وغيرهم كثير.



حسن الترابي وإبراهيم السنوسي في زيارة لحاج إبراهيم (في الوسط) في منزله

وكان الشيخ حسن الترابي عدوا لكثير من الحكام، ولذلك كثيرا ما كان يسجن، وكان الشيخ إبراهيم يزوره في السجن لأجل أن يقرأ معه فلا تنقطع الحلقة الأسبوعية، وقد أخبرني مرة أنه كان يقول للسجّان: أنا طباخه أو أنا (الجنايني) الذي يعمل معه، وكان غرضي أن أدخل السجن زيارة لأجل التلاوة.

وللشيخ إبراهيم تواضع جم، حتى أنه كان لا يأنف أن يجالس صغار السن في حلق القرآن، أو يأتم بتلاميذه الذين يتعلمون منه في صلوات القيام، أو يسألهم عن مسائل العلم في القرآن والتفسير. وقد سأله صحفي يوما: هل علّمت الترابي القرآن؟ فقال لي الشيخ يومها: هذا الصحفي صاحب غرض، إنما تعلمت أنا وحسن على المصري، وحسن كان ذكيا، يذكر المصري وجه القراءة فيفهمه حسن ويحفظه من أول مرة، وأما أنا فاحتاج لتكراره.

ولما حكم الإخوان المسلمون السودان (1989م وإلى الآن 2013م) – ذاع صيت الشيخ إبراهيم العباس جدا، إذ أصبح تلاميذه وزراء وحكاما، وأصبح له حلقة يحضرها الوزراء والعلماء وحلقة في القصر الجمهوري وحلقة في البرلمان وحلقة يحضرها كبار الأطباء وكثيرا ما يحضر حلقاته رئيس الجمهورية – عمر حسن أحمد البشير، وأصبح بيته قبلة للكبراء ومدراء الجامعات. ومع ذلك لم تنقطع حلقاته مع

العامة والنساء والصبيان بل زادت بحمد الله وتوفيقه. وأصبحت للشيخ حظوة عند رئيس الجمهورية والوزراء والمسئولين، لا يرد أحدهم له طلبا، فلا والله ما طلب شيئا لنفسه، بل كان يستغل هذه الحظوة في قضاء حوائج الناس، يأتيه أيٌّ كان من عظيم أو وضيع، فيذهب معه رغم كبر سنه الذي جاوز الثمانين إلى المسؤول الذي يريد لقضاء حاجته.

ولما انقلب نظام الحكم على الشيخ حسن الترابي وأعاده إلى السجن، استمر الشيخ إبراهيم بمواصلته في الحلقة الأسبوعية في السجن ولم يخش انقطاع الحظوة.

وكان يعجبه أن يسعى في تزويج الشباب والشابات، لا سيما اللاتي كن يرتدن حلقاته للتلاوة والحفظ. وكان أيام صحته وقوته يعتمر كل عام في رمضان، حتى أصبحت له في المسجد الحرام حلقة معروفة في رمضان، يقصدها السودانيون المقيمون في تلك البقاع الطاهرة والعمّار من العامة والكبراء والمسؤولين.

وقد بلغ وتلاميذه من الإتقان بعلوم القرآن أن الدولة السودانية لما أرادت طباعة المصحف برواية الدوري عن أبي عمرو (مصحف إفريقيا) كانت تعرض نسخ المصاحف قبل الطباعة على حلقات الشيخ إبراهيم لمراجعتها وإجازتها.

وقد كرمته جامعة الخرطوم بمنحه الماجستير الفخري في الآداب تقديرا لدوره في نشر القرآن وتعليمه.

وقد مرض الشيخ مرضا شديدا لما قارب التسعين — حتى ذهبت ذاكرته- فربما نسي في بعض الأحيان بعض أسماء أولاده، غير أنه لم ينس شيئا من القرآن، فكان يقرأ مع من يأتيه زائرا، ولربما سأل في أثناء التلاوة: ما اسم السورة التي نقرؤها؟ — حفظ السورة ونسي اسمها! وما أظنها إلا كرامة له من الله تعالى بإخلاصه في حفظ القرآن ودعائه الله تعالى أن يموت على حفظه. أدام الله عليه الصحة والعافية ونفع به.

المكانة الاجتماعية

إن أهم الطرق لكسب المكانة الاجتماعية في توتي العلم . لا سيما الديني، حيث يحظى علماء الدين وأئمة المساجد بمكانة اجتماعية مرموقة، ويقصدهم الناس لاستشارتهم في قضاياهم الشخصية والعامة، وفي حل النزاعات الأسرية والعامة. ويطلبون قربهم وودهم لما في ذلك من الجاه. والغريب أن الناس برغم ذلك لا يوجهون أبناءهم لدراسة العلوم الشرعية، بل يركزون على علوم أخرى، والسبب في ذلك تركيز الناس على الوظيفة التي يمكن أن يشتغلها الإنسان بهذا العلم. وأصحاب العلوم الدينية لا وظيفة تدر عليهم مالا تقريبا. إلا التعليم. وبعض أنواع العلوم الأخرى معلمها أحظى بالمال. فإليها يكون مقصد الدارسين.

وأما أصحاب العلوم غير الدينية فأكبرهم مكانة في المجتمع، الأطباء. إذ الكل محتاج إليهم في وقت شدة ضعفه. مع أن دراسة الطب تحتاج إلى ذكاء وحذق لا يقدر عليه كل إنسان. غير أن مكانة الأطباء عادة لا تزيد عن التوقير والاحترام. ولا مساهمة لهم في قيادة الناس، أو حل نزاعاتهم، أو طلب استشاراتهم في الأمور الشخصية والعامة.

ويكاد أصحاب العلوم الأخرى غير ما ذكرنا لا يجدون من المكانة شيئا بسبب تخصصهم العلمي، إلا أن يبرز أحدهم ويحصل الشهادات العليا والجوائز العلمية، فحينئذ يكسب المكانة والاحترام والتوقير. غير أنه يكون كسابقيه من الأطباء في التأثير على حياة الناس.

والملاحظ أنه نادرا ما تكون المكانة الاجتماعية في توتي نابعة من المناصب التي يتولاها الإنسان في العمل الحكومي. إلا إذا بلغ من ذلك الغاية، بأن أصبح وزيرا أو قريبا من وزير. فأمثال هؤلاء لهم في القيادة الاجتماعية المكان المرموق. غير أنه كثيرا ما يقدم عليهم غيرهم اجتماعيا.

وأهم الأسباب الأخرى لنيل المكانة الاجتماعية في توتي غير العلم، قوة الشخصية، والمشاركة في العمل العام. إذ كثيرا ما يصبح قادة العمل العام الذي يخدم قضايا توتي أكبر القادة الاجتماعيين المؤثرين في حياة الناس وتوجهاتهم العامة.

وأما الوراثة، فإنه يكاد لا يوجد لها أثر في المكانة الاجتماعية بتوتي، باستثناء خلافة المسجد العتيق، فإنه كان يتولاها الفقهاء من أبناء آخر خليفة.

وعلى الرغم من بزوغ نجم الكثير من الزعماء الإجتماعيين لتوتي في فترات تاريخية مختلفة، إلا أن أهل توتي لا يسلمون قيادهم كليا، وتظل المساواة هي الأساس النظري بين كل أهل توتي. وتبقى قرارات القيادات الاجتماعية خاضعة لشورى المجتمع وقبوله لتكون ممكنة التنفيذ. ومن أقوى الأدلة على ذلك أن العمدة والشيوخ وإن كانت لهم سلطة رسمية تدعم المكانة الإجتماعية المتوفرة فيهم أصلا. فإن أهل توتي في بعض الأحيان يعتبرونهم ممثلين للحكومة ويلجأون إلى انتخاب ممثليهم إذا كانت المفاوضات معها، وقد يكون العمدة والشيوخ أعضاء في لجنة الممثلين ولكن ليس دائما، كما حدث في لجنة التفاوض في حادث ثورة 1944م، وفي مفاوضات توصيل الكهرباء والماء أوائل الستينات.

وهذه السمة من سمات أهل توتي تفرض على القيادات أوضاعا معينة، إذ يمكن دائما أن ترفض قراراتهم من قبل كمية من المعترضين. وأي حدث استند على فئة من المجتمع فإنه معرّض لمواجهته من قبل أغلبية المجتمع بالرفض، وسيكون مصير الأقلية الفشل. وهذا يفرض على القيادات للحفاظ على استمرارية النفوذ تجنب التكتل والمعارضة الصريحة. وهو ما يضعف قدرتهم على المبادرة والتصدي للأمور الخلافية. وهو ما يغري كثيرا من القيادات الإجتماعية إلى محاولة أرضاء الجميع وعدم اتخاذ قرارات حاسمة في لحظات قد تكون تاريخية.

ومع هذا فإن ضرورة الحفاظ على العلاقات العامة اجتماعيا إضافة إلى العلاقات الأسرية المتشابكة في توتي منعت الانقسامات المجتمعية الدائمة وقللت من الصراع الداخلي وخففت من وطأته. (1)

(1) مجتمع توتي – تلخيص مع شيء من التصرف والإضافات.

ثقافة التواتة

نذكر في هذا الباب شيئا من العلوم والآداب والفنون والمورثات التراثية.

العلوم

ما زالت توتي مستقَرا للعلم. يشهد على ذلك علماؤها في العصور القديمة والحديثة. أما علماء العصور القديمة ففيما مضى من الكتاب كفاية، وأما العصر الحديث فقد أنجبت توتي العلماء الأفذاذ وجادت بعلوم جمة. نذكر بعضها للإشارة إلى ما بلغه أهل توتي من شأو. ولا نذكر كلها لأنه أكثر من أن يذكر ومحاولة حصره تقرب من الاستحالة.

الحفظة

إن أشرف علم يحوزه الإنسان هو كتاب الله تعالى. ولهذا رأيت تقديم ذكر حفظة كتاب الله على من سواهم. وممن تشرفت به توتي من الحفظة اليوم:

الحاج إبراهيم بن العباس، و أحمد بن الحسن بن محمد بن الفقيه أحمد المكنابي[1]، ومحمد الأمين بن سليمان بن الطاهر بن طيب الأسماء الغردقابي، وعبد التواب بن مصطفى بن خالد بن محمد بن عبد الرحمن الشكرتابي، وحسان بن عبد الرحمن بن علي، وأحمد المرتضى بن البدري بن محمد بن البدري البدانابي، ومختار بن الهادي بن الفقيه محمد بن الفقيه الهادي الصبحابي، وعمر بن نور الجليل بن عكاشة بن عبد الباقي المكنابي، و عبد الله بن محجوب بن محمد (زكي) [2]، وأحمد بن حسن بن الفقيه المشرف بن الفقيه محمد بن أحمد ود مضوي الصبحابي، ومعتز محمد بن بسطاوي بن محمد (تي) الحربيابي [3]، ومحمد بن صلاح بن محمد بن منصور الساجوري، والبراء بن محمد بن عثمان (أغبش) الصبحابي، وحاج علي بن عبد الودود بن حاج علي بن محمد نور الشكرتابي، وحاتم بن محمد بن الصديق بن حاج أحمد بن بركات الشكرتابي، وعصام بن مأمون بن طه بن عبد القادر بن طيب الأسماء الغردقابي، والرشيد بن حامد بن الرشيد بن أحمد بن المدني العجيمي[4]، ومحمد بن عبد الحميد بن مصطفى بن خالد الشكرتابي، وأحمد بن محمد بن ميرغني، وعصام بن محمد بن ميرغني، وأحمد بن عمار بن عبد الرحمن بن يس، وعبد الحميد بن أحمد بن علي (الكرار) بن عبد الله بن دار صليح العبودي.

وأما من يحفظ أجزاء كثيرة ولم يختم كتاب الله بعد فهم كثر.

---

(1) أحمد بن الحسن بن محمد بن الفقيه أحمد بن مضوي بن محمد بن مضوي بن دليل بن عمر المكنابي. وقد توفي قبل بضعة أعوام.

(2) عبد الله بن محجوب بن محمد (ود الزاكي) بن السيد بن عمر بن محمد بن حاج بن عجيمي السعدلابي.

(3) معتز بن محمد (السر) بن بسطاوي بن محمد (تي) بن حمد بن علي بن بلال بن علي بن حسين بن عيد بن علي بن حسن بن فاضل بن محمد بن حربي بن غالي بن تمام (وهو نجم الدين أمير أسوان).

(4) وجده الرشيد بن أحمد بن المدني العجيمي كان أيضا من الحفاظ المتقنين.

من علماء توتي

وممن تفاخر به توتي من العلماء:

الشيخ عبد الله عبد الرحمن الضرير(1889-1964م): شاعر العروبة، وأحد أكابر علماء اللغة العربية بالسودان، وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة. وهو من أفذاذ العلماء السودانيين الذين تركوا أثرا كبيرا في علم العربية بالسودان. وهو صاحب كتاب العربية في السودان. وهو أهم وأول مرجع في مجاله. ومما رثاه به عمر الصديق محمد مضوي: (1)

وما كل من يمضي يكون افتقاده	جليلا وما كل السيوف المهند
تواكبت الأحزان يوم وفاته	علينا وجل الفقد إذ كان يفقد
بشاشات أيام تولت وأعرضت	ووارى سناها مطبق متبلد
كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا	أنيس ولا شعر نفيس يردد
عزاء لكم آل الضرير(2) فإنه	مصاب الورى ما بيتكم فيه مفرد
إذا أقصد الخطب المسدد أدلفوا	إلى كنف عطفاه علم وسؤدد
سلام على ذاك الفقيد فذكره	مخلده لو أن حيا مخلد

والبروفيسور الصديق محمد الأمين الضرير: الحائز على جائزة الملك فيصل العالمية في مجال بحوث الإقتصاد الإسلامي، والأمين العام لمجمع الفقه الإسلامي السوداني، وعضو مجمع الفقه الإسلامي برابطة العالم الإسلامي، وأستاذ الشريعة والقانون بالجامعات السودانية، وعضو لجان الرقابة الشرعية على المصارف الإسلامية. صاحب المؤلفات العلمية القيمة في عدد من مجالات الشريعة. وهو أحد أهم المراجع العلمية في الشريعة والقانون بالبلاد والعالم الإسلامي. ومن رواد علم الاقتصاد الإسلامي ومنظريه.

والدكتور الأمين داوود: أستاذ الشريعة بالأزهر الشريف ثم جامعة الخرطوم ثم جامعة أم درمان الإسلامية وأخيرا جامعة المدينة المنورة الإسلامية حيث توفي وقبره هناك بالبقيع.

والفقيه داؤود بن محمد بن عبد الرحمن بن إدريس بن شكرته: تعلم القرآن وحفظه ودرس التوحيد والفقه على يد علماء أجلاء على رأسهم الشيخ الأمين الضرير رئيس ومميز علماء السودان في

---

(1) من شعراء توتي. والأبيات مأخوذة من كتاب تطور التعليم في جزيرة توتي.

(2) آل الضرير عائلة اشتهرت بالعلم، وأنجبت عددا كبيرا من العلماء المشهورين، والقادة السياسيين، فمنهم الشيخ الأمين الضرير شيخ مميز علماء السودان في العهد التركي، وهو جد العائلة. والفقيه علي بن الشيخ الأمين الضرير، وكان من أمراء المهدية. وأخوه الفقيه عبد الرحمن بن الشيخ الأمين الضرير، وكان أميرا بالمهدية بعد أخيه، وكان قاضيا شرعيا. ومنهم الشيخ عبد الله عبد الرحمن الضرير عالم العربية المشهور، وشاعر العروبة. وأخوه الشيخ علي عبد الرحمن الضرير، الذي كان داعية للدين الإسلامي بجنوب السودان، وكان من قادة العمل الوطني للاستقلال، ورئيس حزب الشعب، ومن زعماء الحزب الاتحادي الكبار. ومنهم الشيخ البروفيسور الصديق الأمين الضرير الأمين العام لمجمع الفقه الإسلامي بالخرطوم، وعضو مجمع الفقه التابع للعالم الإسلامي. وهو العالم المشهور. ومنهم الفقيه الأمين محمد الأمين الضرير. والشيخ إبراهيم أحمد محمد الأمين الضرير مقرر مجمع الفقه الإسلامي بالخرطوم. وغيرهم علماء كثر من آل الضرير.

عهد الحكم التركي للسودان. وأنابه لتعليم الشكرية برفاعة تلبية لطلب من الشيخ عوض الكريم أبو سن زعيم الشكرية آنذاك ومدير مديرية الخرطوم أثناء الحكم التركي. وقد أقام برفاعة مدة طويلة وكان عالما وخطيبا يقال أنه انتدب لإلقاء خطبة الجمعة بمسجد الخرطوم عند زيارة الخديوي فأعجب بها وأهداه ساعته. [1]

والبروفيسور داوود مصطفى خالد (1917- 2008م) : أبو الطب في السودان، كان أشهر طبيب في زمانه، تروى عنه في حذقه ومعرفته بدقائق الطب عجائب ونوادر. وكان إذا دخل قاعة التدريس بكلية الطب جلس له الطلاب والأساتذة على حد سواء. منح لقب بروفيسور ممتاز (Emeritus Professor) في جامعة الخرطوم عام 1975م، وأصبح نائبا لمدير جامعة الخرطوم عام 1974م. حاز وسام الجمهورية من الطبقة الأولى تقديرا لخدماته في مجال الطب عام 1978م. ووسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى لجمهورية مصر العربية 1983م. ووسام النيلين تقديرا لخدماته في مجال الطب وتعليمه عام 1989م. ووسام الانجاز من رئيس الجمهورية عام 1990م. ومثل السودان في كثير من المؤتمرات العربية والعالمية في مجال الطب.

ومما قاله فيه زين العابدين خالد:

داوود هل بطبه متفوقا	وظهوره بالأولوية أبرع
بجراحة في الطب نال جوائزا	قلّ الذي ومن الأطبة يجمع
فلتهنأ توتي به وبزينة	ما من مريض بعدها يتوجع
إن التواضع في الأطبة نافع	فمكارم الأخلاق ويحك أنفع
أهل المروءة والتواضع والنهى	لهم السيادة والمكان الأرفع
داوود حقق للبلاد رجاءها	فعساك تحصد باسما ما تزرع
وقد الأطبة للأمام مجاهدا	لا تكترث إن كان غيرك يرجع

ومما قاله فيه الصديق عمر الأزهري: [2]

سلمت شمالك واليمن سليمة	وأنامل في الجود غيث هامر
إذ كل أنملة طبيب سيّما	سبابة هي ما يلي ويباشر
قد بوركت يمناك وهي نزيهة	قامت بواجبها فجهدك وافر
كم ذا شفيت عضال داء مبهم	وسواك في أمثال هذا حائر
بشراك يا توتي بعالم عصره	قد نلت فخرا لم تنله جزائر

(1) قيس إبراهيم أحمد علي الشكرتابي، من مقال بعنوان: (أ.د. داوود مصطفى خالد – المنبت الطيب).

(2) ديوان الأزهريات. والشاعر الصديق عمر الأزهري (1889-1984م) حفيد الشيخ الأمين الضرير من جهة أمه، وكان عالما أزهريا حافظا لكتاب الله. وقد تولى إمامة المسجد وحلقة العلم برفاعة.

والبروفيسور عز الدين عمر موسى: الحائز على جائزة الملك فهد في مجال البحوث الدراسات الإقتصادية في التاريخ الإسلامي. وهي جائزة عالمية يتنافس عليها العلماء من شتى بقاع العالم. ويكون الترشيح لها من قبل الجامعات والمؤسسات العلمية حول العالم. وقد فاز كثير من الفائزين بها لاحقا بجائزة نوبل. ويذكر أن هذه الجائزة حتى تاريخ هذا الكتاب فاز بها أربعة سودانيين فقط. إثنان منهم من توتي وهم: أ.د. عز الدين عمر موسى، و أ.د. الصديق الأمين الضرير، وأ.د.عبد الله الطيب، والرئيس السوداني السابق المشير عبد الرحمن سوار الذهب رئيس منظمة الدعوة الإسلامية.

والبروفيسور يونس الأمين محمد نور: الذي قلده رئيس جمهورية فرنسا وسام فيلق الشرف للدولة الفرنسية برتبة فارس عام 2013م، تكريما له لخدمته المتميزة في تدريس اللغة الفرنسية والترجمة والصحافة ودوره الكبير في توطيد علاقات التعاون بين فرنسا والسودان. وهو أرفع وسام فرنسي قرره نابليون في 1802م ويمنح للعسكريين و33% منه للمدنيين. وقد كانت الدولة الفرنسية قد كرمته قبلها في العام 1988م من وزير التعليم الفرنسي، وعام 1998م من رئيس الوزراء، وفي العام 2006م من رئيس وزراء آخر، وأخيرا جاء تكريم 2013م من رئيس الجمهورية الفرنسية نفسه. والبروفيسور يونس مؤسس قسم اللغة الفرنسية بالسودان. ورئيس رابطة أساتذة اللغة الفرنسية بإفريقيا (1984-1987-1990م). وكان عضوا بمجلس إدارة اتحاد كرة القدم السوداني. وعضو اللجنة الإدارية العليا لاتحاد كرة القدم السوداني منذ العام 1990م. وسكرتير الاتحاد الرياضي للجامعات والمعاهد العليا بالسودان (1981م – 1994م). وهو مراسل مجلة آفريك فوتبول الفرنسية. ومراسل راديو فرنسا الدولي – الأخبار الرياضية. ورئيس القسم الرياضي لتلفزيون ولاية الخرطوم.

والدكتور الصديق عمر الصديق: أحد رموز اللغة العربية والثقافة بالسودان. وشاعر مجيد. مدير معهد عبد الله الطيب للغة العربية التابع لجامعة الخرطوم. وعضو مجمع اللغة العربية بالسودان ومجمع اللغة العربية التابع لجامعة الدول العربية بالقاهرة. مثل السودان في كثير من محافل اللغة. ومما قاله فيه وفي توتي حمد النيل محمد الحسن:

لصديق أصوغ اليوم شعري	وآيات من الشكر الجزيل
إلى بحر العلوم يفيض علما	بليغ القول منطيق قؤول
إلى بحر العطاء بلا امتنان	طويل البال حمال الحمول
كريم الخلق شهم أريحي	قوي العزم ذي قدر جليل
بشوش حين تلقاه ضحوك	يفيض عليك بالقول الجميل
كأن حديثة عسل مصفى	يكون مزاجه من زنجبيل
نمته إلينا من توتي كرام	صفت أخلاقهم كالسلسبيل
وهذا النيل هم قد عودوه	عطاءهم فأروى للغليل

فلولاهم لما أروى حقولا ولا مشخت بواسق من نخيل

ولا اخضرت سهول مقفرات ولا طاب المقام بقرب نيل

ولا غنت بشاطئه شواد ولا رق النسيم مع الأصيل

وهم منعوا الديار عن الأعادي وصدوا سطوة الباغي الدخيل

العالمية

جدول بعض حملة الدكتوراه (العالمِية) بتوتي:

م	الاسم	التخصص
1	البروفيسور الصديق محمد الأمين الضرير	الشريعة
2	البروفيسور داوود مصطفى خالد	الطب الباطني
3	البروفيسور عز الدين عمر موسى	التاريخ الإسلامي
4	البروفيسور يونس الأمين	لغة فرنسية
5	البروفيسور عبد الحميد أحمد الفاضل	بيطرة
6	البروفيسور شاكر زين العابدين	الطب
7	البروفيسور عبد الله محجوب زكي	الطب
8	د. الأمين داوود	الشريعة
9	د.صديق محمد أحمد شاهين	إحصاء
10	د. الهادي أحمد الهادي	الشريعة والقانون
11	د. السيد حسن محمد أرباب	لغة إنجليزية
12	د.الصديق عمر الصديق	لغة عربية
13	مولانا الشيخ د.خلف الله عمر	المساجد
14	د.محمد الجلي محمد سليمان	
15	د.أمير محمد علي دليل	لغة عربية
16	د.عز الدين محمد عثمان حبيب	
17	د.محمد صلاح الدين محمد مضوي	لغة عربية
18	د.عمر يوسف الطيب	علم اجتماع
19	د.زين العابدين نصر محمد أحمد	الطب
20	د.فريال عمر محمد نور	
21	د.هبة صلاح الدين محمد مضوي	

م	الاسم	التخصص
22	د.نجوى مصطفى الأمين البشير	
23	د.هويدا علي عبد القادر	
24	د.ابتهال صديق عبد القادر العاقب	
25	د.مصعب بركات أحمد علي	
26	د.مضوي مختار المشرف	تربية – حاسوب
27	د.مختار إبراهيم أحمد علي	
29	د. صبري الحاج	مكتبات
30	د.حمدي أحمد الفاضل	
31	د.فاطمة عمر العاقب	علوم سياسية
32	د.يعقوب عطا المنان	هندسة مدنية
33	د.البشير أحمد المرتضى السيد	إدارة
34	د.عثمان السيد عمر	إدارة
35	د.مرتضى طلحة حمدنا الله	إدارة
36	د.أبي يونس طه الأمين	هندسة ميكانيكية
37	د.مهند عثمان يوسف	إدارة
38	د.مرمر عبد الرحمن	كيمياء
39	د.عبد الناصر	رياضة
40	د.ماهر	لغة إنجليزية
41	د.هاجر مصطفى الأمين	

أقول بعد هذه البيانات لو أردنا أن نعلن توتي جامعة لفعلنا. وصدق الصديق عمر الأزهري حين قال فيها: (1)

حسدتك كل جزيرة في بحرها ما في الجزائر من إليك يفاخر

قلب العواصم أنت وهي ثلاثة والجسم غير القلب واه فاتر

لك منظر يجلو العيون من الصدا كعروسة يزهو حلاها الناضر

قد أحرز الأبناء منك وظائفا طبا وهندسة وآخر آخر

(1) ديوان الأزهريات.

لله أنتم يا بني توتي ويا فخر البلاد ومن بكم سنفاخر

المؤلفات

جدول ببعض مؤلفات التواتة:

الكتاب	المؤلف	تاريخ التأليف	موضوع الكتاب	ملاحظات
الجواهر الحسان في تحقيق معرفة أركان الإيمان	(أرباب العقائد) أحمد بن علي بن أرباب بن علي بن عون.	(1599م – 1691م) وهي فترة حياة المؤلف	العقيدة: شرح أركان الإيمان والاستدلال العقلي عليها على طريقة المتكلمين وفقا لمذهب الأشاعرة.	من أهم المؤلفات في عهد الفونج اشتهر به مؤلفه حتى لقب بأرباب العقائد. (ما زال الكتاب للأسف مخطوطة لم تطبع).
هدي المستهدي في بيان المهدي من المتمهدي	الأمين الضرير	1880م – 1885م وهي الفترة ما بين ظهور المهدي ووفاة المؤلف.	دراسة حول النصوص التي تدل على ظهور المهدي آخر الزمان ومواقف العلماء منها. وقد خلص إلى ضعفها. مع شرح للشروط التي يجب أن تنطبق على المهدي على فرض صحتها وفق فهم علماء الأمة.	كان المؤلف أهم شخصية دينية في العهد التركي بالسودان فقد كان شيخ مميز علماء السودان، وهو أرفع منصب ديني رسمي في العهد التركي. والكتاب تعريض بأن محمد أحمد المهدي مدع وليس مهدي آخر الزمان.
العربية في السودان	عبد الله عبد الرحمن الأمين الضرير	1922م	يثبت الكتاب عروبة السودانيين عبر دراسة تاريخ هجرة العرب إلى السودان وإثبات أصالة لغتهم العربية وعاداتهم وأعرافهم وأمثالهم وألعابهم.	يعتبر الكتاب أهم مرجع لدراسة العربية في السودان. وقد احتفت وزارة التربية والتعليم بالكتاب وطبعته على نفقتها عام 1967م "كدليل على عراقة الشعب السوداني في عروبته" ووصفت المؤلف بأنه "من كبار علماء السودان وجهابذة اللغة العربية" وقد اعتمد على الكتاب كل من كتب عن العربية والعامية في السودان بعده.

الكتاب	المؤلف	تاريخ التأليف	موضوع الكتاب	ملاحظات
الغرر وأثره في العقود	أ.د. الصديق محمد الأمين الضرير	1967م	مجلد ضخم يتناول أحكام الغرر في الفقه الإسلامي وتأثيره على العقود ويناقش آراء العلماء في الموضوع مناقشة علمية موسعة.	الكتاب في الأصل رسالة دكتوراة، وهو من أهم المراجع في المجال. والكاتب من أهم العلماء المعاصرين في المجال.
الميراث في الشريعة الإسلامية	أ.د. الصديق محمد الأمين الضرير	1969م	يبين الكتاب أحكام الميراث في الشريعة الإسلامية وموقف العلماء منها وما اختاره القانون السوداني من أحكام في هذا الصدد.	يعتبر الكتاب أهم مرجع علمي وقانوني في هذا المجال في السودان وهو يدرس لطلبة الشريعة والقانون في الجامعات السودانية.
الزواج في توتي	الأمين مصطفى خليفة	1970م	توثيق لتجربة توتي في تيسير الزواج (الكورة) عبر مراحل مختلفة من تاريخ الجزيرة.	
توتي المجاهدة	الأمين مصطفى خليفة	1980م	توثيق كامل لثورة توتي عام 1944م يشمل إضافة إلى السرد التاريخي للقصة نصا لجميع المحاكمات التي تمت وما نشر بالصحف بخصوص الموضوع. إضافة إلى فصل وافر عن شعراء توتي ونماذج من شعرهم.	
أوراق سودانية	د.يونس الأمين محمد النور	1987م		
حكاوي سودانية وأشياء أخرى	د.يونس الأمين محمد النور	1990م		

الكتاب	المؤلف	تاريخ التأليف	موضوع الكتاب	ملاحظات
تطور التعليم في جزيرة توتي	- خوجلي أحمد خوجلي – مضوي عمر سرار – مصطفى النور إبراهيم	1999م	دراسة شاملة لتاريخ التعليم والمدارس ومشاهير المعلمين بتوتي.	أعد بمناسبة مرور ثمانين عاما على تأسيس مدرسة توتي لمرحلة الأساس.
مقدمة علم الإحصاء	د.صديق محمد أحمد شاهين			
الإحصاء العلمي	د.صديق محمد أحمد شاهين			
العقوبة في التشريع الإسلامي	د.الهادي أحمد الهادي	2002م	فقه: يوضح الكتاب أنواع العقوبة في التشريع الإسلامي وموقف العلماء من أنواعها ويناقش الحكمة التشريعة وراءها.	
المضاربة بالعروض في الفقه الإسلامي	د. الهادي أحمد الهادي	2003م	فقه: يناقش الكتاب أنواع المضاربة بالعروض وموقف العلماء والمذاهب المختلفة منها.	
إطار مقترح لتحديد وعاء زكاة الشركات	عبد الودود علي أحمد علي	2007م	يناقش التطور التاريخي لتجربة الزكاة في السودان ويناقش الأسئلة المتعلقة بزكاة الشركات ومعايير تحديد وعاء الزكاة للشركات المحدودة في السودان.	الكتاب في الأصل رسالة ماجستير في المحاسبة.
المختصر المفيد في تطبيق أحكام التجويد	حسين الفضل عباس	2010م	تجويد: توضيح لأحكام تجويد القرآن مع التركيز على أخطاء السودانيين في القراءة.	

الكتاب	المؤلف	تاريخ التأليف	موضوع الكتاب	ملاحظات
فقه السياسة على منهاج النبوة	محمد السيد حسن أرباب	2010م	فقه: يبين الكتاب أحكام السياسة التي وردت في الكتاب والسنة.	
الطريق إلى الحكم الراشد في السودان	م. عبد المنعم محمد علي	2013م	الكتاب في الأصل مجموعة مقالات نشرها صاحبها في الصحف اليومية، وهو يتحدث عن كيفية الوصول إلى الحكم الراشد بالتركيز على طرق الإدارة القويمة للخدمة المدنية.	
الأشعة السينية المتفلورة	محمد عز الدين الحبر مختار	تحت الطبع	كتاب فيزياء، يتحدث عن اكتشاف الأشعة السينية وخواصها واستخداماتها.	
القنبلة النووية	محمد عز الدين الحبر مختار	تحت الطبع	كتاب فيزياء، يتحدث عن القنبلة النووية كيف اكتشفت وكيف تعمل.	

الآداب والفنون

جدول للمغنين والأدباء:

الاسم	المجال	نبذة
حمد الريح	مغني وملحن	من أشهر المغنين بالسودان، يكاد لا يكون بالبلاد أحد لا يحفظ بعض أغانيه. وقد اشتهر بالتدين والخلق الحسن.
إبراهيم خوجلي	مغني وشاعر غنائي	من المغنين المشهورين في كل السودان.
التوم حسن	مغني	له أغنيتان مسجلتان بالإذاعة. وقد قال عنه مغني الحقيبة المشهور كرومة بعد أن سمعه: هذا سيكون خليفتي.
عبد اللطيف إدريس أحمد إدريس	مغني	له أغاني مسجلة في الإذاعة
قسم الله طمبل	مغني	
عبد الوهاب محمد عبد الرحمن نور صباح	مغني	
الماحي علي	مغني	
البشير حاج عمر العباس	مغني وملحن	ومن أشهر ما لحنه، قصيدة أنت كلك زينة.
عابدين (عشة) علي	مغني	
عبد العال عبد الله	مغني	
عبد العزيز عبد الله إبراهيم	مغني	
عابدين حمد	مغني	
أحمد الشيخ	عازف	عازف كمان وعود، وقد تعلم على يده الفنان المشهور عبد العزيز داوود.
بر محمد نور	شاعر غنائي	من أغانيه المشهورة في كل ربوع البلاد: إنت كلك زينة وعايمة كالوزينة.
الشيخ عمر الضو (1922-2002م)	شاعر مسرح وفكاهة (منولوج)	من أغاني الأطفال المسرحية التي اشتهرت له ونالت إعجاب الناس في البادية والحضر (الليلة يا قروية) ويكاد كل سوداني يحفظ مقاطع منها.
منير عبد الوهاب	ممثل تلفزيوني ومسرحي	من أشهر الممثلين بتلفزيون السودان والإذاعة السودانية.
معاوية محمد نور	كاتب وقصصي	وكان مشهورا وله قطع أدبية كانت تدرس في كتب الأدب بالمدارس.

الاسم	المجال	نبذة
السيد الشيخ طه	مغـــني فكاهـــة ومونولوج	يهتم بالمنولوجات الاجتماعية الهادفة.
زهرات توتي	فرقة أطفال غنائية	مكونة من بنات مدرسة الزعيم مصطفى خالد الابتدائية بتوتي وهي من أشهر الفرق الغنائية للأطفال في السودان، غنت في برامج الأطفال بالتلفزيون القومي لسنوات طويلة، ومثلت السودان في كثير من المحافل الدولية، وحازت جوائز عالمية.
عصافير توتي	فرقة أطفال غنائية	مكونة من بنات مدرسة توتي المتوسطة بنات، وهي صنوة فرقة زهرات توتي.
الزرياب	فرقة إنشاد	بلغت في جودة الإنشاد للقصائد الدينية والمدائح النبوية شأوا، وقد اتحدت معها في آخر أمرها فرقة السحر للإنشاد وهي أشهر فرقة إنشادية في السودان، وأصبحتا فرقة واحدة باسم السحر.

نماذج من فنون التواتة

أوبريت القروية

كان أول عمل لفرقة زهرات توتي خلال الثمانينات. شعر: الشيخ عمر الضو. لحن: عمر البشير. وقد سجل في التلفزيون القومي من إخراج: منير عبد الوهاب. وكلهم تواتة.

القروية:

يا ربي متين أشوف الخرطوم

قالو لي في الخرطوم جنينة البلدية

وحدثوني وقالوا الفسحة بالعصرية

وقالو لي كان شفتي البت تسوق عربية

أحَّيّا وتصرف الماهية

المدنية:

لا لا الليلة يا قروية

وانتي يا قروية ما تغرك المدنية

وانتي ماك منسية والله انتي غنية

بزراعتك المطرية وبهايمك المسعية

القروية:

ياربي متين أشوف الخرطوم

قالو لي في الخرطوم البت بِمَشّو حديثها

ودخلوها الجامعة ووظفوها رئيسة

وقالو لي كان دارت تقوم تنقي عريسها

الدبلة الدبلة تمشي تقيسها

المدنية:

لا لا الليلة يا قروية

منو بلاك يتحمل يمسك الطورية

منو بلاك يعمل يبني ميزانية

منو بلاك يمول وزارة المالية

القروية:

ياربي متين أشوف الخرطوم

قالو لي في الخرطوم البدرة والمنكير

ويا حلاة البت يوم تمشي للكوفير

أحّيّا متين اشوف الكوفير

المدنية:

لا لا الليلة يا قروية

انتي يا قروية بالكرم معروفة

وفي هبابيب الليل تقوم تعشي ضيوفا

وانتي يا قروية بالقيم موصوفا

إنت كلك زينة

كتب هذه القصيدة الشاعر بر محمد نور، ولحنها البشير حاج عمر العباس، وغناها حمد الريح. وكلهم تواتة.

انت كلك زينة وعائمه كالوزينة ويحفظك مولاك
بالسموم تسقينا وبالنيران تكسينا ونحن ما بننساك
ريدك زاد تمكينا ومُرّة حبك كينا وجلّ من أنشاك
بى قدومك أهلا عومي شيشك مهلا واطربي العشاق
عمري ضائع جهلا ويا دموعي انبهلن وقلبي ليك مشتاق
خضرتك ليمونة وتينه بل زيتونه وساحرات عيناك
العباد مفتونة بيكى يا محصونه وربحت الوالداك
يا ظبية الوادي منك طال ابعادى وكل حين اطراك
ديمه بس في عنادي ولحتك اسعادي وما بشفيني سواك
قلبي ليكى وسادة وخايله ساكت سادة والنفوس حاباك
ما كفاكى بزيادة وهجري صارلك عاده وروحي ميته وراك
يا أم كفيلا عيبة وشعري ساكت غيبه وما في زول بسواك
لي في حبك نيبة وروحي طال تعذيبه وجنتي رؤياك
انت ورده ونرجس وما بطيق المجلس وما بعيش لولاك
شوفتك تسلم بطرس وأيضا حنا وجرجس وكل ذى إشراك

مسرحية ثورة توتي:

هذه مسرحية شعرية، تحكي قصة ثورة توتي، ألفها الشيخ عمر الضو، وأخرجها: عبد الوهاب جبريل محمد علي. وقد عرضت لأول مرة في شهر أكتوبر عام 1965م بمناسبة العيد الأول لثورة أكتوبر الشعبية.

نص المسرحية:

توتي ... الأرض و التّاريخ

ثورة توتي ضد الإنجليز

لقد قرّرت الحكومة الإنجليزيّة انتزاع ثلاثمائة و خمسين فدّاناً من أراضي جزيرة توتي .. ساد هرج و مرج و لكنّ المناقشات الحادّة تمخّضت عن اتّفاق ، كان العمدة قد أخبرهم بأنّ مدير المديريّة قد طلب مقابلة ستة أشخاص يمثّلون الأهالي ، فكان الاتّفاق على اختيار هؤلاء الستّة .

بعد صلاة العشاء في ذلك اليوم الكئيب، اجتمعت اللجنة المختارة بالمسيد للتّشاور، حول الغد المنتظر ، و في تلك اللّحظات دخل عليهم العابد ذلك الرّجل الصّالح الذي اعتاد ارتيادالمسجد في ذلك الوقت للتعبّدو الابتهال و إحياء اللّيل فاندهش لوجود أشخاص بالمسجد.

المشهد الأول
المكان : المسيد (مسجد توتي)
الزّمان : الجمعة 1944/4/14م .
الشّخصيّات :
* ستّة من أهالي جزيرة توتي :
(1) مصطفى خالد .
(2) الحسن الفكي أحمد .
(3) عباس علي طيّب الأسماء .
(4) الأمين بابكر .
(5) عثمان ابراهيم .
(6) أحمد عبد القادر .
* ماكنتوش (مدير المديريّة) .
* عبد الله الشّفيع (القمندان) .
* المراسلة .
* ثائران من أهالي توتي .

اللّوحة الأولى
مصطفى : بسم الله الرّحمن الرّحيم
نحن باكر نمشيلو و لا بدّ من نتصدّى
و نوقّفو في حدودو ما دام بدور اتعدّى
الحسن : أقول ليكم رايي
ما نمشيلو تب ما دام اللعين اتحدّى
و كان راجل اللّجى يشيلا شيلة شدّة
نحن رجال ما بنخاف و لا بنتهدّ
و نقولّو تعال قوام قبّال تطول المدّة
العبّاس : يا سلام
دا ضروري نحن نمشيلو و ناخد الزّبدة
لكن كمان الفي راسو قالو أدّا العمدة
الحسن : نان العمدة ليه ما ردّ ؟
العبّاس : و الله الرّاجل جاى من الزّعل
لا أخد لا أدّا

الحسن : النّصراني ود أم زردة
العبّاس : قالّيه داب اشتهيت الغمدة
باكر الرّجال إجوك
نخاف مكتبك انسدّا
عثمان : نحن النّاس سوّونا قيادة
كلامنا يكون أبينا لا نقص لا زيادة
ما بندّى المجال إبني البيوت الفاسدة
و لا هي محل ملاهى
طاهرة و مجاهدة و زاهدة
مصطفى : عفيت منّكم
كلامنا مع النّصراني ما متجانس
كلامكم عديل
ما فيهو زايد و ناقص
نحن ضروري نمشيلو
نقدر نوقّفو خالص
تاريهو اللّعين
لي توتي لابد و قانص ؟!
الأمين : ما دام اتّفقتوا كلّكم
و الكلام بقى عندكم
اللبقى رئيسنا الفارس
الحسن : الفارس منو يا زول ؟
الأمين : أنا قلت المصطفى
راجل مجال و مجالس
نحن تاني و تالت و رابع و خامس
ندّيهو الوكالة
يفاصحن و ينافس
عثمان : يعنى نحن نبقى لبّس لابس ؟
الأمين : خلاص اللبقى المصطفى رئيس اللّجنة
و يا مصطفى قرارو ما أزعجنا
انت براك عارف النّصراني
داير إلهجنا

مصطفى : شكراً على الثّقة الأوليتوني إيّاها
توتي إحنا جدودا إحنا بناها
يا إنزل قرار
يقولوا المدير خلاها
ولا يدوس جثثنا
نموت و أرواحنا فداها
الأمين : ملاحظة
الملاحظة إمكن الحكومة تحمى النّاس
المعدا
الحسن : تحميهن ليه ؟
الأمين : بتخاف البرق عبّادي إرعد رعدة
الحسن : و دحين ؟
الأمين : النّاس اتوزّعوا بالشّرق و الغرب
المراكب راقدة
و إتلمّوا في المديريّة
محل الرّجال متواعدة
(هنا يدخل العابد يصلّي تحيّة المسجد ثم
يلتفت
إليهم و يسألهم)
العابد : سلام ناس المسيد
ها ناس ... دي ساعة ونسة ؟
العبّاس : منو القالّيك دي ونسة آ سيدنا ؟
العابد : سوّيتوني ما بعرف الونسة ؟
نان شن بتسوّوا لى هسّة ؟
العبّاس : دا اجتماع لجنة
العمدة قال كوّنوها من ستّة
العابد : ما فهمت آ العبّاس
العبّاس : ها سيدنا إنت كبرت ؟
الحلّة من أمس مقلوبة دعاية
قالو فى ورقةً جاية
هسّع وصلت
العابد : شن فيها آ ولدى ؟
العبّاس : فيها تلتميّة و خمسين فدّان من توتي
نزعوها و قالوا انفصلت ؟
العابد :الله حي ...!
و شن جايين تسوّوا بعد الحكاية الحصلت ؟

العبّاس : تراها اللّجنة ماشّالو
و لسّة ما اتّصلت
العابد : و قال ليكم متين الجلسة ؟
العبّاس : قال باكر الجلسة
العابد : إجلسوا في النّار الكفّار أكان مسوين
لنا مغسة
إنتو رجال ؟
المجموعة : نعم بالحيل
العابد : ما دام في الرّجال شرفنا ما بتمسّا
قوموا يا أولادي
هسّع اللّيل هوّد
اللّيل اتمسّا
باكر بعد الصّلاة
ناخد لنا حصّة
و نشرب القهوة
و نمرق نحضر الجلسة
أحمد : إنت يا سيدنا ما تعدّي
أكرب السّبحة و الفاتحة
ما تعدّي
العابد : دا يا أحمد
لو عندك لو عندي
الحسن : السّبحة أخير لينا
أكرب السّبحة
(ستار)
(في هذه الأثناء يبقى العابد بالمسجد كعادته
حتى صلاة الصّبح ،ظلام في المسرح ثمّ أصوات
الدّيوك ،أذان الصّبح ، إضاءة في المسرح مع
السّجدة الأخيرة ثم الرّفع و السّلام)
ينهض العابد
العابد : سويتوا الباقيات ؟
عثمان : في شنو آ سيدنا ؟
العابد : أكان سويتو الباقيات نرفع ايدينّا
أقروا الفاتحة
المجموعة : آمين ..
العابد : يا ربّي كفّ الشّينة
النّصراني دا مبارينا

قاعدين لا صحّة لا مصحّة
ما طالبنا بي تحسينا
نتعب
نشقى
نزرع
ندفع
ندفع القطعان
برضو الكلب ساكّينا !
الأمين : الخيرة قالت شنو آ سيدنا ؟
العابد : الخيرة قالت تقولوا أبينا
حكومة النّصارى
حد الله بينّا و بينها
التّرك بي تجاربهم شن لينا ؟
عثمان : إنت يا سيدنا ما تعدّي
أكرب السّبحة ما تعدّي
العابد : قتّ كدي ؟
المجموعة : أي بالحيل
العابد : أها ناس الخدار
قالوا ببيعوا جرجيرهم
و قالوا بجوا إحضروا الجلسة
بي حميرهم
و امشوا يا أولادي
ودعتكم الله
و ما تمشوا في فد درب
اتوزّعوا بالشّرق و الغرب
و أنا هنا بدرجوا ليكم الكلب
إن شاء الله الكلب إنغلب

اللّوحة الثّانية
(مؤثّرات صوتيّة : صوت النيل ، المديريّة ،
ماكنتوش يضغط الجرس فيحضر المراسلة)
ماكنتوش : ولد كلّم أبد الله أفندي
يجي أنا آوزو
عبد الله أفندي : قود مورننق
ماكنتوش : سباه الكير
النّهار دا أنا إندو إجتماع
مئا ناس توتي
ناس توتي ناس تكيان
إذا همّ آوز يأمل تلس ملس
عبد الله أفندي : ما يقدروا يعملوا حاجة
ماكنتوش : عبد الله أفندي شوف
أنا لما أقول كلاس
ما فيش كلام تاني
أنا آرف كلّ هاجة إيه
عبد الله أفندي : حاضر حاضر
المراسلة : سعادتك في ناس توتي برّة
ماكنتوش : كتير ؟
المراسلة : ما عدّيتهم
عبد الله أفندي : بليد روح عدّهم
المراسلة : سعادتك ستّة
ماكنتوش : كليهم يكشّوا
سباه الكير .. قود مورننق ،
أهلاً .. أهلاً
إتفدّل ... الليمونات الموية قوام
إنتوا ناس توتي أنا كلّمو أمبارح
ألشان يجي
ناس توتي السّتّة ؟
مصطفى : و دا خبر شنو دا النّشرتو إتّ ؟
ماكنتوش : الكبر مش نشرو أنا
لا .. لا ...
الكبر نشرو هكومة
هكومة آوز يشيل
تلتميّة و كامسين فدّان
في أهسن هتّة
ألشان آوز يأمل تجارب
هسب الكتّة
ها ... ها .... ها ...
ألشان كدا .... ها ... أنا قلت
آوز ستة ... ها ...
(يرفضون شراب الماء بعد إحضاره)
مصطفى : سعادة المدير
ديل مزارعين

عاملوهم بالحسنى
هسّع دي حمرة عين
المجموعة : ما هينة شيلة الطّين
(ماكنتوش يشير بأصبعه إلى مصطفى خالد
و يسأل عبد الله أفندي)
ماكنتوش : أبد الله أفندي ..
هو إز هي ؟
عبد الله أفندي : دا مصطفى خالد
زعيم أهالي توتي
ماكنتوش : فدّل مستفى متأسّف
مصطفى : دي حمرة عين
ثائر : بهتف بأعلى صوتي
عاش الوطن
بهتف بأعلى صوتي
و أفضّل موتي
و لا أديك شبر من توتي
ما بتقدر تشيل حقّي
الورثتو من جدّي من حبّوبتي
بموت كمداً معاك
ما بندفن بغبينتي
عبد الله أفندي : اترمي يا همجي
إنت البتزعق دا
في ستّة هنا بتكلّموا بإسمكم
(يلتفت إلى أعضاء اللّجنة)
يا أخوانّا يا ناس توتي
يا أهلنا
الموية كنتوا تشربوها
تبلّوا حلوقكم
القانون حكم
هم الإشيلوا حقّهم
و إنتوا شيلوا حقوقكم
الحسن : يا ودّ الشّفيع
الإنجليز ربّوكم
و الدّرب العديل
و الله منّو عموكم
عبد الله أفندي : و الله يا عم

أنا خايف عليكم
ما يجلوكم
ولا يجيب عساكرو
و يجو يكشّوكم
الحسن : يا ودّ الشّفيع كلامك لمو
و ماكنتوش دا الإحفظ دمّو
سجن .. موت ... ناس توتي
ما بهتمّوا
عبد الله أفندي : جزيرة ناس ود حامد
الشّالوها منهم
إنتو ما زيّهم ؟
الحسن : ما زيّهم
مصطفى : ما زيّهم ... ما زيّهم
عبد الله أفندي : طيّب يا ناس توتي
يا أهلنا
نزلاء اللّكوندا
قالو توتي بتكتّحنا
أخلوها خلّوها جنّة
كلّنا تفسّحنا
مصطفى : يا ولد بالله لا تجرّحنا
ناس ود حامد القاموا
اليوم في محنة
عبد الله أفندي : لكن ددد ...
مصطفى : كفى لم باقي الكلام
و تاني ما تفاصحنا
عبد الله أفندي : بس أنا بدور ...
مصطفى : بتدورو يعوم في النّيل
و يحوم في رمالي
عشان إزرع زهور
و جلب اللواتي ليالي
ما بنديّو شبر
الانسحب طوالي
و نحن مصمّمين
السّتّة ما بنبالي
ثائر : أنا ودّ توتي المزارع
ما بشتغل زبّالي

ما بخلّيك تشيل أرضي
و أشغل بالي
و لا أدّيك جرفي
و أخلّي عيالي
بموت في حقّي
رأسي مرفوع عالي
و إن ضرب الرّصاص
ثابت و ساتر حالي
ماكنتوش : ولد دي بقول ... موت ...
رساس
شيلو كتّو في السّجن
كلامي واحد بس
قرار توتي منزوء أمس
مصطفى : ماكنتوش ..
ما تنسى إحنا محس
أسحب كلامك دا
ولا هسة دي بتندس
كدي تاوق في النّاس
شوف فيهم من بتونّس
والله إكّان لقوك
يمصّوا دمّك مص
و كان مغالط
أنزل ..
و سوق معاك حرس
ماكنتوش : أنا إم إم ..
مدير مديريّة
مش تلتميّة و كامسين
فدّان مستفى أفندي ..
بالدّبت أنا ممكن أشيل
توتي كلّو دى الوكت
مصطفى : كضّاب
و كلامك كلّو غلط
و حكاية تجاربك
قلناها توتي أبت
مفتّشك إتظلّت
و إن درت الضّرب

هسّع بتتكفّت
ما بندّيك
و ما بنطلع رجالة
و إن قمنا نتمشّط
الأمين : نقوم نمش وين ؟
توتي الجنّة
فيها الفرض و فيها
السنّة
هيّ أملنا فيها أهلنا
ثابتين كالجبال
مهما الزّمن محنّا
يا سجّان تعال أسجنّا
و يا تاريخ كمان سجّلنا
ما تجهلنا
ماكنتوش : كلام كتير
شيل النّاس دي برّة
قرار توتي منزوء
مش آوز كلام بالمرّة
العبّاس : قرارك حار .. قرارك نار ..
قرارك جمرة ...
ما فيش فايدة
المصطفى
لا بدّ من الثّورة
مصطفى : يا ماكنتوش اللّيلة
نط الحوش
ضوق الدقّة
شوف الزرّة
الرّاوي : شوف الزرّة ...
اللّيلة وين يا ماكنتوش
وين بتطير
وين هنري و هنفري و جفري ؟
ساعة الحارّة جات
و الحارّة بتورّي
شوف الزرّة ..
طريت (24) و فتحة الكبري
و منع النّاس تعدّي

لا البقعة لا بجري
طريت الشّدر
و رفع السّلاح البدري
و العسكر في الفروع
تحلف تقول القمري
طريت المكسيم و الإنجليز تجري
مشوا على الجّريف
و إندسّوا في برّي
الله أكبر
ماكنتوش : كلام فارغ كتير
برّة ..
مستفى أفندي
الهكومة مقرّة
مصطفى : و توتي مصرّة
تدّيك درس و تدّيك عبرة
بتخوض المعارك
مهما كانت خطرة
البتسوّوا سوّوا
الرّاوي : البتسوّوا سوّوا
كانت نبرة كانت سخنة كانت أحرّا
البتسوّوا سوّوا
واحدنا بهزم عشرة
الله أكبر
الله أكبر
البتسوّوا سوّوا
العكّاز قصاد أبو عشرة
البتسوّوا سوّوا
طارت شرارة لمصرا
ماكنتوش : مستفى أفندي بقول سوّي سوّي
(يهرب)
(مؤثرات صوتيّة : الله أكبر – عاش الوطن)
الرّاوي : الله أكبر
وقع الضّرب
بين الرّجال و العسكر
اللّهم أهزم جنود الشّر
القيد انكسر و التّواتي انتصر

بالعكّاز ... بالعود ...
بفروع الشّجر
الله أكبر
نحن ما بنفشّر
و توتي ما بتقصّر
فيها الرّجال
الضّاربو المستعمر
الإيمان شعارنا
و الله أكبر تهدر
هجموا على البنادق
و وقعوا فيها تكسّر
الله أكبر
بخيت الشّجاع
لسانو سليط
ترجم للخواجة
قال ليهو : إنت جنيت
قلناها بصراحة
توتي قالت أبيت
ما بتخاف
لا من جن و لا عفريت
أسرع يا بخيت ..
أسرع يا بخيت ...
هجموا على العساكر
و ضربوه ضرب مميت
لكن الإله
أولى العناية بخيت
الزّين صاح : "عاش الوطن"
هيّج الواقفين
و العلم البرفرف
قطّعو لفتين
و خارج نفسو قاب قوسين
يا توتي الّيلة
أظهري و اتجلّي
صباح الجمعةموت
ضرب .. رصاص
مزمزي و اتسلّي

فيك الرّجال
أمثال ولد عصملّي
زيد في صلاتك
و على رسولك صلّي
المفتّش اتخنفش وقف
جاى متدلّي
اتصدّالو عصملي
أدّاهو حتّة كف
و قالوا الخواجة نزف
و قالوا الخواجة قضف
عاش ود عصملّي
الإيدو ما بتجلّي
فضل الله البطل
ضرب السّواري رماهو
هو و حصانو
بى رجلو اتوطّاهو
و عكّاز السّواري
الضمري ما خلاه
اتلقّاهو
كان قاصد البطل
الله الكريم نجاهو
ود أبّكر قبض الباب
هو يجر و العسكري يدفر
هو يجر و العسكري يدفر
و الله العظيم
نطّ تقول صقر
جدعو هناك يشخر
و دمّو يخر
ودّ الحفّان
قلع البندقيّة
و هجّج الميدان
قال ليهم : أكشّكم ؟
شوفو يا أخوان
الموت في الفضيلة
و حبّ الوطن ايمان
الملك الصّميم

و الله ما فيك شك
الخبتّو ما تحرّك
و الخمشتو ما بنفك
ألحق يا الفكي
حصّل هناك عمّك
عمّك الصّديق
اتلمّوا فيهو و يضحك
بختك يا بطل
ود الإمام ازيّك
التّاريخ كتب
و اعترف ببسالتك
ود حمد النّيل محلّك
شفناهو رافع رايتك
يا راجل يا عظيم
الليلة أمش اتدلّك
و نور الجليل أحذر ديل
يا سلام
هجمت عليهو الخيل
معليش يا بطل
أصبح نهارك ليل
و لولاكم يا رجال
كنّا بنروح بالميل
و ود همزة عليهو أجرو
هدّدو بالسّلاح و ختّ الطبنجة
في صدرو
صاح فيهو الكفاح
شيل السّلاح يا نقرو
عبد الانجليز نوعك دا
بنجيب خبرو
نحن عارفنّكم
ماكن رجال تنسترو
عبد الوهاب
عبد الرّزاق
عبد السّيد
و جملة شباب يا حسين
الليلة اتحزّم

و الله العظيم شمّينا ريحة الدّم
اللهم ما في ندم
الشّعار : عود الخضار
العندو يتقدّم
خلّونا النّموت
و خلّوا النّفوس تنجم
(مؤثّرات صوتيّة : صوت رصّاص)
إيه الخبر يا إخوان ؟
أحمد محمد يوسف سليمان
كتلو الحكمدار بأمر القمندان
(مؤثّرات صوتيّة : موسيقى حزينة –
حمل الجثمان – نغمة حزينة تتبع اكسسوار)
و وكتين مات أصبح تارو أمراً واجب
و السّخط الشّديد علي المدير و الحاجب
النّاس تنادي الموت و وكتو مناسب
الموت في الحقّ كرامة و الجبن عندو عواقب
أحمد مات و أدّى الواجب
* * *
العابد : عوك ... عوك ... يا أرباب العقايد
النّصراني اتعنّت
خبارك ساكت و الدّقايق تمت
أولادك نفوسهم كشّت
و بناتك دموعهن بشّت
و دم الرّجال
بيهو الأرض اتنشّت
الفاتحة على روح الشّهيد
البروش اتفرشت
و السّجون اتفتحت
و المدافع رشّت
الموت في الفضيلة
و لا الكرامة اتخدشت
ما بنرتاح كان ما جبنا تارنا
و بطونّا اتفشّت
ما بنرتاح كان ما جبنا تارنا
و بطونّا اتفشّت
رصاصة ود يوسف تقول

قدّت قلوبنا و خشّت
يا الشّيخ خوجلي ..
يا أبو الجاز
توتيك أمس ما اتعشّت
شن بتسوّي تاني
بعد الرّصاص اتشتّت
أولادك في ظلم
و الإنجليز تتفلّت
ما بنجيك هناك
يقولو فيك اتحوّت
براك تعال
أكشف السّحابة الغمّت
الأطراف هناك برّي .. شمبات
و العيلفون و الأطراف رجالو
مع الرّجال اتلمّت
و حلال المحس بالقضيّة اهتمت
تعال يا أبو الجاز
أكشف السّحابة الغمّت
* * *
الرّجال سلطو
باقي الرّجال سلطو باقي الرّجال سلطو
الفاتحين صدورهم للسّلاح ثبتو
يا بنات زغردو
أبواتكن يا بنات لا رجفوا لا اترقطوا
قالوا الحارّة جات و الموت خلاص وكتو
وقع اللقط اتلقطوا و اتخبتو
لاح عود الخدار ختّ الحصان تحتو
عزم الرّجال يا أهلنا برهنتو
ماكنتوش هرب ياأخوانا وين إنتو
جات ساعة الضّرب إنتو الحدود فتّو
مافيش نص شبر اتفقعوا و انشرطو
كان بالقلع ما بتقدرو تخرتوا
الفايت حدّو صوفو بنحتّو
في ميدان الضّرب المعركة خسرتو
قولوا أسلمتوا بالله لا تسكتوا

من أشعار سيد أحمد غاندي(1910-1998م):

من شعره في رثاء زوجته زينب:

عفت الديار وأقفرت أركانها	والبوم ردد نغمة الأحزان
قد كنت لي أما وكنت رحيمة	سعدت بها روحي وطاب جناني
يعفو الملوك لنازلي ساحاتهم	كيف النزيل بساحة الرحمن
أهداك ربك جنتين بفضله	مدهامتين فسيحتا الأركان
فتمتعي بنعيم ربك سرمدا	هطلت عليك سحائب الرضوان
فلو أن إنسانا يصور هيكلا	دفنوك بين جوانح الأركان

ومن شعره في رثاء زوجته السيدة:

أضحى فؤادي بالضنى يتصدع	وأمسيت من مر الأسى أتوجع
وبت أقاسي لوعة بعد لوعة	وأسقى مرير العيش صرفا وأجرع
وضل دليلي في الحياة ومرشدي	فإني في هذي الحياة مضيع
أهيم فأستعدي نهاري مشردا	بغير هدى في مهمه أتسكع
حتى متى يا دهر أنت مجانبي	وقد لذ لي فيك البكا والتوجع
ولم يحظ مثلي منك بالبشر ساعة	أما آن أن يرقا لعينيك مدمع
مخلفتي للبؤس والذل والشقا	وتاركتي في الكون بالنوح أسجع
فلا أنا في الأحياء أرزق منعما	ولا أنا في الأموات حقا فأقبع
تضاءل صبري مذ نأيت وخاطري	وضاقت بي الأرجاء سهل وأربع
ففي ذمة الديان سيري فإنه	وليٌّ كريم كاشف الضر أنفع
وفي جنة الخلد ارفلي وتمتعي	فجنات ربي جل خير وأنفع
فما حزني شاف ولا أنت عائدي	ولا سقمي مجد ولا الثكل مقنع
ولكن إذا حم القضاء فما له	مرد ألا إنا إلى الله نرجع

وله في سورة الفاتحة:

بحمدك يا رب جميعا نوحد	ولا أحد في الكون إلا ويشهد
بأنك رحمان رحيم مؤيد	مالك يوم الدين إياك نعبد
وأياك حقا نستعين لتهدنا	إليك صراطا مستقيما وترشد
صراط الذين أنعمت فضلا عليهم	فهم غير مغضوب وحاشاك تبعد

مساجلة

جرت بين أحمد المرتضى بن البدري ومختار بن الهادي بن أحمد بن الهادي وذلك أن ود البدري غضب على صديقه مختار في أمر بينهما وخاصمه، فزاره الأخير محاولا إرضاءه ولكنه لم يفلح، وكان مما قال له ود البدري أثناء غضبه: ما يفعل من لبس قميصا فوجده ضيقا إلا أن يخلعه كما لبسه، فلا تأمل في الود وعدّني قد مت). فكان مما كتبه إليه مختار طالبا إعادة الود بينهما:

إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته	على طرف الهجران إن كان يعقل
لكنه إن جئته متأسفا	على ما فعلت فإنه يتقبل
يا مرتضى قل لي بربك ما الذي	جعل المودة بيننا تتحول
قد كنت تلقانا بكل بشاشة	ونرى السرور بوجهكم يتهلل
واليوم أبدلت المودة بالجفا	ولم نعلم لهجرك علة تعلل
فان يكن الفعل الذي ساء واحدا	فما سركم منا كثير وأفضل
ولست عليما بالذي قد أساءكم	ولكنني دوما به أتساءل
واعلم بأن العفو ليس مذمة	فالله يغفر ما تقول وتفعل
والهجر ممنوع بقول نبينا	فوق الثلاثة لا أظنك تجهل
والله يأمركم بأن تتسامحوا	وإذا حكمتم بيننا أن تعدلوا
لو كان غيرك قائلاً ما قلته	أو كان غيرك فاعلا ما تفعل
لتركت صحبته بغير ندامة	فلعل خلا غيره أتبدل
أنت الذي ما زلت أكبر علمه	وخصاله وبخلقه أتمثل
فلعل حفظك للكتاب وفهمه	فضل عظيم ليس شيئا يجهل
قس ما تقول بعقلكم هل أستوي	وقميصكم هل يعقل
وتريدني كذبا أقول بموتكم	وأراك صدقا في الحقيقة تمثل

ما كان ظني حين جئتك أنكم تأبون من يأتي إليكم يسأل
إني لأطلب بعد ذلك عفوكم وأعيذكم بالله من أن تبخلوا

فأجابه مرتضى البدري:

تعد معاذرا لا عذر فيها ومن يظلم أخاه فقد ألاما
ومن يظلم أخاه ولا يبالي فلا يحزن إذا سيم الخصاما
ولا يحزن إذا ما صد عنه أخ قد كان يوليه اهتماما
فإني إن هجرتك بعد عمر ظللت به أكن لك احتراما
فلقد فعلت لأنني متعقل لأصون ذكرى عمرت أعواما
وأصون أياما تفوح بعطرها إلفا وودا خالصا ووئاما
لكنني لا أستطيع دوامها والطبع غلاب علي دواما
لا أستطيع الالتفات لما مضى حتى ولو صار الوراء أماما
دع ما مضى منا فليس بعائد إن كنت ترجوا أن تعيش سلاما
لا تبغني عبر القصيد توسلا وتوصلا فالود ليس لزاما

ثم أردف بابيات أخرى:

عمدا قصدت مساءتي لما يئست من الرضى
أو قد قصدت إساءتي أصلا ولم تقصد رضى
عبثا تحاول أن تقول بأن شيئا ما مضى
قد عكر الصفو القديم وغيرك يا مرتضى
ما زلت أجهل كنهه حتى تُعَجِّل بالقضى
ما زلت أجهل ما فعلت فكيف تعْجَل بالقضى
قل لي بربك هل يُصد دق ما تقول ويرتضى

فأجابه مختار:

إن كان ساءك ما أقول فما فهمت المعرضا
قد قلت فيما قلت انك لن تعود لما مضى
فعلمت أنك سوف تبقى كل عمرك معرضا
واعلم بأنك لو فعلت أردت لي أن أمرضا

فأردت محوا للذي قررته وكتبته فيما مضى
فاعلم بأني ما كتبت توسلا لكن لأمر قد اقتضى
واعلم بأني ما جفوت وما يئست من الرضى
لا زلت أطلب عفوكم فمتى تجب يا مرتضى

ثم إن الله فرج ما بينهما من جفوة عارضة وعاد ودّهما كما كان.

الموروثات والتراث

لا شك أن المورثات الثقافية لكل قوم تظهر بوضوح في عاداتهم وزيهم وأمثالهم ولعبهم وخرافاتهم. ودراسة هذه الأشياء هي التي تدل على الأصول الثقافية للقوم، ولأهل توتي عادات هي جزء من كل عادات السودان، تدل على أصولهم الثقافية، وهي في عامتها أصول عربية، وبعض منها من أصول نوبية، وقليل منها من أصول أخرى. وهو ما يدل على الأصالة في العربية، وذلك أن مجموع السلوك الثقافي للقوم يدل على أصلهم، بخلاف اللغة فإنها لا تدل وحدها على الأصل لأنه يمكن أن تكون وليدة التعليم، إلا ما كان منها غير شائع، وكان مخفيا في أمهات مراجع اللغة، كبعض لغات القبائل العربية الجاهلية الغير منتشرة اليوم. فمثل هذه الكلمات والتراكيب تدل على أن الناطق بها ذو أصل عربي صميم، وإلا فمن أين له بها. ولهذا سنأخذ نماذج من الكلمات التي هذا وصفها ونماذج من العادات الأخرى التي ذكرناها لندلل على أن أصل أهل توتي عرب، وأن لهم اختلاطا بالنوبة كما بيناه في أول الكتاب. وهو ما تبينه بعض التراثيات التي أصلها نوبي. على أنه توجد بعض الأشياء ذات أصول أخرى، لكنها ناتجة عن انتقالها مع اللغة عبر البلدان إلى بلادنا، مثل الكلمات الفارسية التي انتقلت مع العربية التي حملها المهاجرون. وكبعض الكلمات اليونانية التي سرت في النوبية لما كان النوبة يتعبدون النصرانية باللغة اليونانية، ومن ثم وصل بعضها إلينا اليوم.

وأما الكلمات ذات الأصول التركية التي وصلت إلينا قريبا إبان العهد التركي بالبلاد فلسنا نورد منها شيئا لأنها لا تخدم موضوعنا.

وفي ما يلي جدول يحوي بعض النماذج مما أشرنا إليه:

نماذج من الموروثات وأصولها الثقافية:

الموروث	النوع	الأصل	الوصف
الرحط – الرهط	زي نسائي	عربي جاهلي	وهو نقبة من جلد أحمر مشقق سيورا ليس له حجزة ولا ساقان، يشد كما تشد السراويل. تلبسه الجواري قبل إدراكهن. فإذا أدركن أو زوجن خلعنه. (1)
شليل وين هو	لعبة	عربي جاهلي	عظم يقذفه الصبيان في الليالي المقمرة، ثم يبحثون عنه. وهو لعبة كانت العرب تلعبها في الجاهلية ويسمونها عظم وضاح. (2)
عِرِق	لغة	نوبي	تعني تيار النهر، وأصلها (إِرِّ) كلمة نوبية معناها تيار، والقاف هي حرف المفعول في اللغة النوبية. وقلب الهمزة عينا من عادات العرب القديمة. (3)
كورة (بإمالة الواو نحو الألف)	عادة مرتبطة بالزواج	نوبية نصرانية	مجموعة إجراءات يتفق عليها المصلحون الاجتماعيون لتيسير وتقليل كلفة الزواج – وأصلها احتفال نصراني بمريم العذراء كان يحتفله النوبة لما كانوا على النصرانية قبل الإسلام، وقد تحور معنى الكلمة ليناسب العادات الإسلامية. (4)
كل شاة معلقة من عصبتها	مثل	عربي جاهلي	هذه الصيغة السودانية، والصيغة الجاهلية كل شاة برجلها معلقة، قاله وكيع بن سلمة بن زهير بن إياد وكان ولي البيت بعد جرهم، لما حضرته الوفاة جمع إيادا وقال لهم اسمعوا وصيتي: الكلام كلمتان، والأمر بعد البيان، من رشد فاتبعوه ومن غوى فارفضوه، وكل شاة برجلها معلقة. فأرسلها مثلا. (5)

(1) ملخص من العربية في السودان – عبد الله عبد الرحمن الضرير.

(2) ملخص من العربية في السودان – عبد الله عبد الرحمن الضرير.

(3) ملخص من الإسلام والعربية في السودان – البروفيسور عون الشريف قاسم.

(4) ملخص من الإسلام والعربية في السودان – البروفيسور عون الشريف قاسم.

(5) ملخص من العربية في السودان – عبد الله عبد الرحمن الضرير.

الموروث	النوع	الأصل	الوصف
الكلب يريد خانقه	مثل	عربي جاهلي	هذه الصيغة السودانية، والصيغة الجاهلية: أحب أهل الكلب إليه خانقه. (1)
كلام القصير ما بنسمع	مثل	عربي جاهلي	هذه الصيغة السودانية والصيغة الجاهلية: لا يطاع لقصير أمره، قاله قصير اللخمي لجذيمة بن مالك الأبرش ملك العراق حين نهاه عن الزّباء وقد دعته ليتزوج بها فعصاه وتوجه إليها، فأخذت بثأر أبيها منه وقتلته. فضرب المثل بقوله هذا. (2)
دق الشفة السفلى بالإثمد (لإكسابها سوادا)	عادة نسائية	عربي جاهلي	وهي عادة عربية جاهلية كانت تعتبر من الجمال عند العرب وما زالت إلي وقت قريب عندنا في توتي. وفي السودان عامة. (3)
زغردة	عادة نسائية	عربي جاهلي	وهو صوت تصدره النساء للتعبير عن السعادة. وهو من عادات العرب منذ الجاهلية. (4)
الزنانة	لعبة	عربي جاهلي	قطعة مستديرة من الخزف ونحوه تثقب ثقبين في وسطها ويجعل فيهما خيطان يلتقي طرفاهما ويربطان ببعض فيمسك الصبي بطرفي الخيطين ويدورهما، ثم يشد ويرخي الخيطين فتدور الخزفة باستمرار مصدرة دويا. وكان العرب يلعبونها في الجاهلية ويسمونها (خذروف الوليد). (5)
الكُدّة	لعبة	عربي جاهلي	وكان يلعبها الصبيان في توتي وما حولها في ليلة عاشوراء، وهي كرة تتخذ من لباب القرع الذي تتخذ منه الآنية يحرقونها ويتقاذفونها بالعصي. وكان العرب في الجاهلية يلعبونها ويسمون الكرة الكجّة والعصا التوز. (6)

(1) ملخص من العربية في السودان – عبد الله عبد الرحمن الضرير.

(2) ملخص من العربية في السودان – عبد الله عبد الرحمن الضرير.

(3) ملخص من العربية في السودان – عبد الله عبد الرحمن الضرير.

(4) ملخص من العربية في السودان – عبد الله عبد الرحمن الضرير.

(5) ملخص من العربية في السودان – عبد الله عبد الرحمن الضرير.

(6) ملخص من العربية في السودان – عبد الله عبد الرحمن الضرير.

الموروث	النوع	الأصل	الوصف
سكج – سجك	لعبة	عربي جاهلي	عصاة قصيرة تسمى الضقل يضرب طرفها بعصاة طويلة لتطير في الهواء ثم تضرب بعيدا. وكانت العرب تلعبها في الجاهلية وتسمي الضقل القلّة، والعصا التي يضرب بها القال أو المقلى. (1)
يا عين الشمس خذي سن الحمار وأعطني سن الغزال	خرافة	عربي جاهلي	إذا كسر الصبي سِنَّه يرمي بها في عين الشمس ويقول العبارة المذكورة ويزعمون أنه بذلك تنبت أسنانه حسنة بيضاء، وهذه خرافة عربية جاهلية وكان العرب يقولون إن من يفعلها يأمن على أسنانه العوج والفلج والنغل. (2)
أَلَس، تُقُم	كلمات	نوبية	الأولى الحبل الذي به تربط الدلاء في الساقية، والثانية مقعد مثبت خلف البقرة التي تديرها يجلس فيه من يحركها. وأكثر الكلمات المتعلقة بالساقية نوبية الأصل. (3)
ملوخيّا، منخوليا	كلمات	يونانية عربية	كلمات يونانية دخلت العربية ثم انتقلت معها إلى السودان. (4)
الدميرة، الشيمة، الطورية	كلمات	فرعونية قبطية	الأولى تعني الفيضان والثانية تعني الدوامات المائية، والثالثة آلة تستخدم لحرث الأرض. وهي من الكلمات الفرعونية القبطية التي انتقلت مع التقاليد القديمة المرتبطة بالنيل والزراعة. (5)
كديس، عنبلوق	كلمات	نوبية	الأولى القط، والثانية العتود، وهي كلمات نوبية. وأسماء الحيوانات والطيور كلها عربية إلى شواذا كهذه الكلمة. (6)

(1) ملخص من العربية في السودان – عبد الله عبد الرحمن الضرير.

(2) ملخص من العربية في السودان – عبد الله عبد الرحمن الضرير.

(3) ملخص من الإسلام والعربية في السودان – البروفيسور عون الشريف قاسم.

(4) ملخص من الإسلام والعربية في السودان – البروفيسور عون الشريف قاسم.

(5) ملخصمن الإسلام والعربية في السودان – البروفيسور عون الشريف قاسم.

(6) ملخص من الإسلام والعربية في السودان – البروفيسور عون الشريف قاسم.

الموروث	النوع	الأصل	الوصف
كوريق، سبلوقة ، نبرو، شادوف، قرير، انقاية، تقنت، مقة.	كلمات	نوبية	أكثر مصطلحات الزراعة نوبية إلا قليلا، وذلك أن العرب في الأصل أهل صحراء، ولذلك كان من الطبيعي أن تستخدم الكلمات المستخدمة أصلا في البلاد في هذا المجال. لعدم وجود البديل في العربية. [1]
تبش، كبكبيك، لعوت، ويكة.	كلمات	نوبية	أسماء النباتات عندنا عربية إلا النباتات التي ليست موجودة في بلاد العرب الأصلية. فكان من الطبيعي أن تبقى بأسمائها النوبية. [2]
شلوفة، بعشوم، مرفعين، عنقريب.	كلمات	بجاوية	أصلها أختلاط قبائل عربية بهم واختلاطنا بها. [3]
أستاذ، خانة	كلمات	فارسية عربية	كلمات ذات أصول فارسية دخلت في العربية وانتقلت معها إلينا. [4]

(1) ملخص من الإسلام والعربية في السودان – البروفيسور عون الشريف قاسم.

(2) ملخص من الإسلام والعربية في السودان – البروفيسور عون الشريف قاسم.

(3) ملخص من الإسلام والعربية في السودان – البروفيسور عون الشريف قاسم.

(4) ملخص من الإسلام والعربية في السودان – البروفيسور عون الشريف قاسم.

جدول الشهور القمرية على حسب تراث التواتة (1)

الشهر العربي	التسمية التراثية	سبب التسمية
المحرم	الضحية الثانية	لأنه بعد شهر الضحية وفيه تاسوعاء وعاشوراء وفيهما توسعة على أهل البيت.
صفر	الويحيد	لأنه ليس له أخ في التسمية
ربيع الأول	الكرامة الأولى	لأن فيه المولد النبوي
ربيع الثاني	الكرامة الثانية	
جمادى الأولى	الكرامة الثالثة	
جمادى الآخرة	سايق	
رجب	رجب	
شعبان	قصيّر	لأنه قبل رمضان وبه عمل كثير استعدادا له.
رمضان	رمضان	
شوال	الفطر الأول	لأنه بعد رمضان وفيه الفطر
ذو القعدة	الفطر الثاني	
ذو الحجة	الضحية الأولى	لأن فيه عيد الضحية

جدول منازل النجوم على حسب تراث التواتة

تستخدم منازل النجوم (أو العينة) لمعرفة الطقس ومواسم الزراعة وهي 28 منزلة وكل منزلة منها 13 يوما وبضع ساعات. (2)

الرقم	المنزلة	التاريخ	سمات المنزلة
1	بطن الحوت أو الرشا	9 أبريل	بداية الصيف
2	السرطان أو النطح	22 أبريل	بداية الصيف الحقيقي
3	البطين	5 مايو	
4	الثريا	18 مايو	
5	الدبران	31 مايو	أشد أوقات الصيف
6	الهقعة	13 يونيو	
7	الهنعة	26 يونيو	
8	الذراع	9 يوليو	بداية فصل الأمطار

(1) رواية عن أحمد المرتضى البدري محمد البدري البدانابي.

(2) رواية عن قرشي بابكر محمد قرشي.

9	النثرة	22 يوليو	البداية الحقيقية للأمطار
10	الطرفة	4 أغسطس	
11	الجبهة	17 أغسطس	أشد أوقات الخريف
12	الخراسان أو الزبرة	31 أغسطس	تكثر به الريح
13	الصرفة	13 سبتمبر	
14	العواء	26 سبتمبر	تكثر فيه الرعود
15	السِّماك الأعزل	9 أكتوبر	
16	القفر	22 أكتوبر	
17	الرباني أو الزبان	4 نوفمبر	
18	الإكليل	17 نوفمبر	أول الشتاء
19	القلب	30 نوفمبر	
20	الشولة	13 ديسمبر	أشد أوقات الشتاء
21	النعائم	26 ديسمبر	
22	البلدة	8 يناير	
23	سعر الرابح	21 يناير	
24	سعد بلع	3 فبراير	
25	سعد السعود	16 فبراير	
26	سعد الأخبية	1 مارس	
27	الفرع الأول	14 مارس	
28	الفرع الثاني	27 مارس	

الألعاب

هذه بعض الألعاب الشائعة التي يلعبها الصبيان في توتي اليوم:

أم الصِّلَص: ينقسم الصبيان مجموعتين، وتوضع مجموعة من العلب الاسطوانية الشكل- علب الصلصة أو اللبن مثلا – في عمود من الكبيرة إلى الصغيرة. تقف مجموعة خلف العلب (الصلص) مباشرة، وتقف الأخرى على بعد 10 أمتار تقريبا منها. ويقذف كل لاعب مرة واحدة العلب بكرة شراب. فإذا لم يسقطها أحد تبادلت المجموعتان الأماكن. أما إن نجح أحد اللاعبين في إسقاطها فيهرب القاذفون في كل اتجاه. ويجتمع الفريق الآخر خلف العلب المسقطة، ويتضامون ويعطون كرة الشراب إلى أحدهم ويخفيها تحت قميصة ويضع البقية أيديهم تحت أقمصتهم بحيث لا يعرف الفريق الآخر من عنده الكرة. وينطلقون في ملاحقة الآخرين بالكرة فمن ضرب بها يعتبر ميتا. ويحاول الفريق الآخر معرفة مكان الكرة فإذا ابتعد حاملها عن العلب اسرع الفريق الذي اسقطها إلى رصها فوق بعضها كما كانت فإذا

نجح أحدهم في ذلك صاحوا (كمبلت!) و كسب الفريق نقطة وحيي جميع من كان ميتا من فريقه. وإذا تمكن الفريق صاحب الكرة من قتل جميع الفريق الآخر قبل تمكنهم من رص العلب، تبادلوا الأدوار. وتعاد كرّة اللعبة من البداية.

كَمْبَلَت: يلعبها الصبيان، وتلعبها أيضا البنات. ينقسم اللاعبون فريقين، ويرسم على الأرض مستطيل بعرض خمسة أمتار وطول عشرة تقريبا، ويوضع في منتصف أحد الخطين العرضيين للمستطيل مجموعة من الطوب غير متساوي الحجم متراصة فوق بعضها من الكبيرة إلى الصغيرة. وتسمى الكمبليتة. ويقف جميع أعضاء أحد الفريقين داخل المستطيل، ويقف الفريق الآخر خارج المستطيل. تسقط الكمبليتة وتترك على الأرض في بداية اللعبة. عند بدء اللعبة يتقاذف اللاعبون خارج المستطيل الكرة — كرة شراب –ويحاولون إصابة أعضاء الفريق داخل المستطيل، فإذا أصيب أحدهم بالكرة كان ميتا ويخرج من اللعبة. وإذا تمكن أحدهم من التقاط الكرة دون أن تسقط منه أو تمس الأرض، قذف بها بعيدا. وحاول أعضاء الفريق الآخر استعادتها بأسرع ما يمكن. ويحاول أعضاء الفريق داخل المستطيل رص الكمبليتة كما كانت. فإذا نجحوا في ذلك صاحوا (كمبلت!). وكسبوا نقطة، وحيي جميع من كان قد مات منهم. وإذا فشلوا تبادلوا مع الفريق الآخر الأدوار.

يشهدوني: تلعب في الليل. توضع فردة من حذاء داخل دائرة قطرها متر في منتصف ميدان اللعب، ويضع أحد اللاعبين رجله على الحذاء، ويغمض عينيه، ويعد إلى 50، ويهرب بقية اللاعبين للاختباء. فإذا أكمل العد فتح عينيه وتحرك باحثا عنهم فإذا وجد أحدهم صاح (يشهدوني فلان). فيعتبر اللاعب الذي شهد عليه ميتا ويخرج من اللعبة إلا إذا تمكن من إخراج فردة الحذاء برجله من الدائرة قبل أن يطأ عليها الباحث بعد أن شهده. فإذا تمكن الباحث من الشهادة على الجميع، يبدل بأول من شهد عليه. وأما بقية المختبئين فإنه اذا استطاع أحدهم أن يخرج فردة الحذاء من الدائرة دون أن يشهد عليه الباحث ويطأ على الحذاء قبله يكون قد أحيا جميع الميتين وتعاد اللعبة بنفس الباحث.

فَلْفَلَتْ: تعلق كرة شراب في داخلها نواة دوم أو شيء من التراب لتكون ثقيلة على عمود بحبل طوله لا يقل عن 3 أمتار، بحيث تكون الكرة مرتفعة عن الأرض بمقدار نصف متر. ويرسم خط عرضي على العمود على ارتفاع مترين إلا قليلا. ويرسم خط آخر مستقيم على الأرض يقطعه العمود. يتنافس لاعبان. يقف كل واحد منها على جانب من الخط. يضرب كل منهما الكرة بحيث تدور حول العمود بعكس اتجاه الآخر، على أن لا تلمس الكرة من جسمه غير راحة يده. فإذا نجح أحدهما في أن تلتف الكرة حول العمود فوق مستوى الخط المرسوم عليه، صاح (فلفلت!). وكان فائزا. ولو تمكن من أن يضرب جسم اللاعب الآخر بالكرة، كان فائزا أيضا. ويخرج اللاعب الآخر من اللعبة ويدخل لاعب جديد بدلا منه. على أنه لا يحق لأحد اللاعبين لمس العمود أو تخطي الخط إلى جهة منافسه وإلا كان

خاسرا. و يقف حكم عند رأس الخط الذي على الأرض ويهوي بالكرة بشكل مستقيم إلى العمود لتبدأ اللعبة. ثم يحكم في سائر اللعبة لتحديد الفائز وفقا لشروط اللعبة.

شِلَيْل: تلعب بالليل. يأخذ أحد اللاعبين عظما ويصيح (شليل وين هو؟) فيجيبه الآخرون: (أكله الدودو) فيقول: (شليل وين راح؟) فيجيبون: (أكله التمساح). وفي أثناء ضجيجهم بالإجابة يقذف العظم بعيدا لكي لا يسمعوا مكان سقط. ثم ينطلقون للبحث عن العظم والفائز من يجده.

شِدْ واركب: يرسم خط مستقيم يجلس عليه جميع اللاعبين. ويجلس مقابلهم على بعد 10 أمتار تقريبا لاعبان، يخبر أحدها الآخر عن غرض ما في أذنه. فيصف الآخر الشيء لبقية اللاعبين، بصفة تلو الأخرى ويتمهل في ذلك. ويحزر اللاعبون على الخط الآخر هذا الغرض أو الشيء. فإذا أخطأ أحدهم الإجابة صاح الواصف: (كذبا كاذب) وإذا أصاب أحدهم الإجابة صاح: (شد واركب). وحينئذ يهرب جميع اللاعبين من الذي أجاب الإجابة الصحيحة إلى مكان اللاعبين الواصفين. وأما هو فيلاحقهم فإن أمسك بأحدهم قبل أن يصل ركب على ظهره ليحمله من مكان أمسك به إلى مكان الواصفين. ثم تعاد الكرّة. ويجلس الفائز للوصف.

شَدَّت: ينقسم اللاعبون إلى قسمين. ويوضع حجران بينهما مسافة مترين أو ثلاثة ليكون ما بينهما الهدف. ويمسك كل لاعب إحدى قدميه باليد المعاكسة لها خلف ظهره وربما شبك أصابع يده مع أصابع قدمه، ويتحرك قفزا بالقدم الأخرى فقط. (ويسمى هذا الوضع الشد). يحرس فريق الهدف. ويقف الفريق الآخر على بعد 10 أمتار تقريبا من الهدف ويعتبر هذا هو الفريق المهاجم. يعلن الفريق المهاجم أحد لاعبيه عروسا. وهدف الهجوم هو أن يتمكن العروس من دخول الهدف. وهدف الدفاع هو أن يمنع العروس من دخول الهدف. ويموت اللاعب إذا سقط أو فصلت يده عن قدمه. فإذا دخل العروس فاز المهاجمون. وإذا مات اعتبر فريقه مهزوما. وتعاد اللعبة حتى يعرس جميع اللاعبين. إذ لكل لاعب الحق في أن يكون عروسا مرة واحدة فحسب.

ومن ألعاب البنات الحِجلة وأرِكة ونط الحبل.

التخطيط العمراني

الأراضي

لتكوين مجتمع توتي المتميز ارتباط بملكية الأرض، إذ كانت ملكية الأرض في توتي إلى وقت قريب هي المميز الأساس للساكن الأصلي عن الساكن الطارئ. ولذلك فإنه كثيرا ما تحدث النزاعات بسبب الأرض بين سكان توتي، وبينهم وبين مجاوريهم في حلة حمد وخوجلي والصبابي.

فأما النزاعات بينهم فأحيانا تكون بسبب الوراثة، وأحيانا يكون النزاع حول أصل الملكية، ذلك أنه قد جرت عادة أهل توتي في الزمن القديم أن تترك الأرض الزراعية بيد واحد يزرعها من الورثة بدلا عن قسمتها إلى أجزاء صغيرة بين الورثة. وأحيانا يدعون زراعتها لصديق أو قريب دون أجر. فكثيرا ما يتوهم ورثة المستفيد من الأرض أنها له وينازعون أصحابها.

جدول مصطلحات الأرض بتوتي:

م	المصطلح	المعنى
1	الساقية	مساحة من الأرض تسقى بساقية واحدة. وتكون طويلة بعرض قليل، وليس لها طول محدد متعارف عليه. وتقسم إلى حبال 10 أو 20 أو 30 أو 60.
2	الحبل	مساحة طولية بعرض 8 أذرع، وأحيانا 7، وهو طول حوض الزراعة الواحد، مع مرور جدول ماء بجانب صف الأحواض لسقايتها. ويقسم الحبل إلى أذرع.
3	الذراع	مساحة طولية بطول الساقية وبعرض ذراع واحد (57.5سم).
4	المرن	الساقية التي تكون مقطوعة بالجدول أو بأي شيء آخر بحيث لا تكون مكتملة الطول تسمى ممرونة. ومحل انقطاعها مِرِن.
5	الجرف	مساحة الأرض التي تقع بعد حدود الساقية بينها وبين النهر، وتكون عادة متكونة من الطمي الذي يضعه النهر في موسم الفيضان، وهي غير ثابتة، يأخذها النيل مرة ويعيدها أخرى، وهي تغرق بالماء كل فيضان. وتستخدم عادة لزراعة أنواع معينة من الخضر (كالطماطم والعجور والقرع واللوبة) تزرع بعد انحسار الفيضان مباشرة ولا تحتاج إلى سقاية إلى حصاد المحصول. وتقوم عليها أيضا الكمائن لصلاحية تربتها لصناعة الطوب الأحمر، وتعويض الفيضان للأرض التربة التي فقدت لاستخدامها في صناعة الطوب.
6	التربيع	من أجل تحويل الأرض الزراعية إلى سكنية، فإنها لا تصلح بشكلها الطولي المخصص للزراعة والسقاية لبناء منازل، فيتم جمع مجموعة من السواقي المتجاورة معا، ثم إعادة تقسيمها إلى مربعات تصلح للبناء، مع إخراج شوارع، وذلك بالاتفاق بين المالكين، ومن ثم يعاد تقسيم الحصص التي كانت طولية إلى حصص مربعة.

وأما النزاعات مع جيران توتي فأقدم نزاع معروف فيها كان في العام 1250هـ الموافق 1834م، ثم نزاع حدث في العام 1284هـ الموافق 1867م وفي ما يلي وثيقة تثبت هذين النزاعين نثبتها بنصها: [1]

(1) أخذت هذه الوثيقة عن دار الوثائق التي أخذتها من ابناء الشيخ خوجلي.

وهذه نسخة أخرى من نفس الوثيقة: [1]

(1) أصل هذه الوثيقة موجود اليوم عند أحمد بن عبد القادر بن علي الأحمر الشكرتابي.

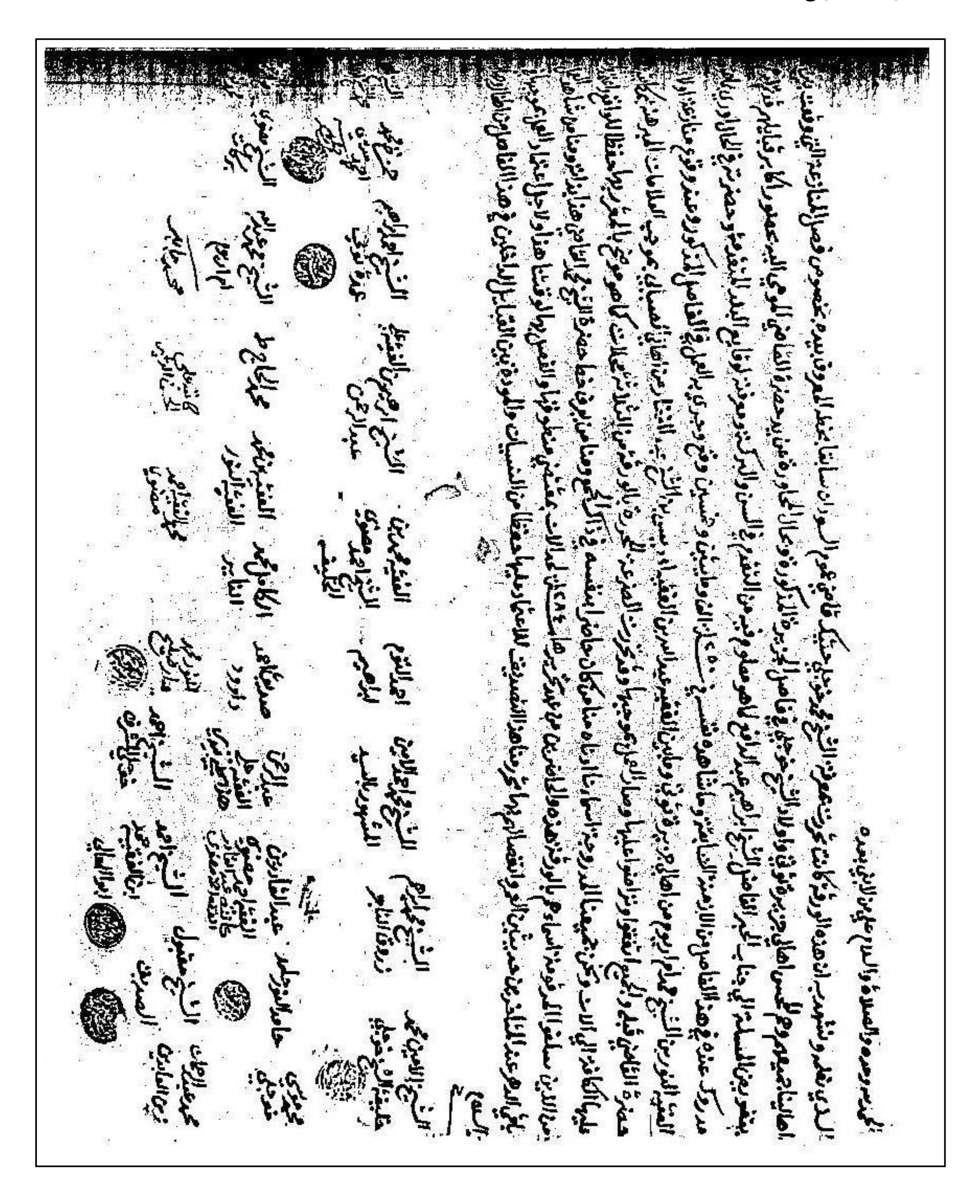
وهذا نص محتوى الوثيقة: [1]

(صورة من الورقة المحررة بخط القاضي الشيخ محمد حتيك حرفيا: أما بعد: فإنه في يوم الخامس عشر من شوال سنة 1284هـ صار التنازع بين أهالي قبة خوجلي وأهالي جزيرة توتي في الحد الفاصل بينهم في الأطيان لأجل معرفة ما هو لأهالي الشرق خاصة ولأهالي جزيرة توتي خاصة إذ كل أهل جهة منهم يدعون الدخول في الجهة الثانية ولما طال النزاع بينهم والمرافعة في ذلك اتفقوا جميعا وتراضوا بأن يصير فصل هذا الحد بينهم بمعرفة العلامة الفقيه إبراهيم بن محمد عبد الدافع المفتي حيث انه الآن ليس عندهم أكبر منه سنا ولا أبرأ منه ذمة ولا أدرى بمعرفة حدود تلك البقاع. فلما حضروا الجميع لديه وفوضوا أمرهم في ذلك إليه، عرفهم أنه فيما سبق في سنة 1250هـ كان حصل التنازع ما بين أولاد الشيخ حمد ولد أم مريوم وعبد الله ولد الفقيه إدريس ولد عبد الغفار من أهالي حلة الصبابي في هذا الفاصل لأجل استخراج فاصل جزيرة الكجابرة التابعة للجهة الشرقية من جزيرة أولاد الفقيه النور من أولاد ولد أم مريوم التابعة لجزيرة توتي وفي ذلك الوقت صار جمع عمد وأهالي بلدهم جميعا وبحضورهم الجميع أجروا شق هذا الفاصل من سيالة الفقيه حمدنا لله إلى جهة ساحل بحر الهوي فعملت له علامة وهي النخلة الكائنة عند القصر الذي بساقية الأفرنكي سليمان القسيس ومنه صار شق هذا الحد لآخر جزيرة الكجابرة [وجزيرة الفقرا الكائن حدها بين الجزيرتين بلصق طين الزروقاب] وصارت بذلك بينهم مكاتبة موضحا بها أن مقدار الفاصل من حجر قصة الكاين بجهة النخلة بجزيرة توتي ماية وخمس وثلاثون حبلا بالحبل الثماني، وبموجبه كان انقطع النزاع بين الطرفين بالرضى والاتفاق، فالآن حيث أن العلامات السابقة موجودة فخشية من ضياعها وفقد من يخبر عنها لفك مشاكل الأهالي فقد صار قيام حضرة الفقيه إبراهيم المفتي المومى إليه وأوقفهم على تلك النخلة وبموافقة الجميع امامه صار هذا الفاصل من هذه النخلة وعلى علامة ما وجد بالمكاتبة التي عملت في سنة 1250هـ إلى آخر الفاصل ولأجل أن ذلك المحل هو رمال ولا يمكن وضع العلامات به ويعلو عليه البحر في كل سنة فقد صار مسح الأراضي برضى الفريقين بالحبل الثماني من الجهة الشرقية من هذا الفاصل لحد متوسط حيطان قبة الشيخ حمد ولد أم مريوم فبلغ مقداره ماية وثلاثة وستون حبلا وستة أذرع ونصف من ذراع ومن جهة جزيرة توتي كذلك صارت قياساته من الحجر المسمى التمساح قدام مسجد توتي إلى هذا الفاصل فبلغ مقداره ما مايتان وواحد وثلاثون حبلا كذلك بالحبل الثماني والذراع واحد وعلى مقتضى ما ذكر صار الرضى والموافقة من أولاد الشيخ خوجلي وأهالي جزيرة توتي الآتي بيان اسمائهم أدناه وصار فصل الحدود بينهم على هذه الكيفية وكل منهم قطع نزاعه من الآخر وأبراه من دعوى الباقي فمن أولاد الشيخ خوجلي الذين رضوا بذلك وأمضوه الآن الحاج عمر ولد محمد نور والفقيه محمد التوم ولد إبراهيم ومحمد

(1) النص منقول من الوثيقة الأولى وما بين المعقوفين زيادات من الوثيقة الثانية.

ولد السيد الأمين والأمين بن الفقيه محمد الأمين الخليفة ومحمد النور ولد دفع الله ومحمد ولد السراج ولد خوجلي ومن أهالي جزيرة توتي الذين رضوا بذلك وأمضوه [الفقيه إبراهيم محمد عوض الكريم و] أرباب ولد أحمد لقمان وحمد ولد أحمد ضو البيت والإمام ولد محمد ولد الشيخ إدريس والكامل ولد محمد ولد الناير ومحمد ولد علي ولد بر والحاج أحمد ولد بركات والفقيه النور ولد حامد ومحمد ولد عبد الله ولد المشرف وأحمد ولد ضو البيت وعلي محمد ولد دار صليح والفقيه مضوي ولد بركات وبابكر ولد علي ولد بر والشيخ الطاهر ولد محمد حسين وبابكر ولد الشيخ والفاضل ولد الداير وإبراهيم ولد أحمد ولد موسى ومحمد ولد موسى ولد خوجلي وأرباب ولد علي شاووش ومحمد ولد أحمد ولد عيسى والأمين ولد خوجلي ولد ساجور والفقيه محمد البشير ولد إدريس دفع الله وذلك جميعه بشهادة كل من العمدة الفقيه عبد الرحمن أرباب خليفة الخرطوم والمكرم الشيخ مختار أفندي السلاوي قاضي مديرية بربر سابقا والفقيه موسى ولد جلي والعمدة البركة الفقيه محمد الخليفة بن الفقيه أحمد ولد مضوي والفقيه إبراهيم محمد عوض الكريم ومحمد ولد دليل وغيرهم ممن حضروا. وتحرر هذا بتاريخ الخامس عشر من شوال عام أربعة وثمانين بعد المايتين والألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام).

وهذه وثيقة أخرى كتبت لتأكيد صحة الوثيقة السابقة – تقدر فترة كتابتها بالسنوات الأوائل من القرن العشرين: [1]



(1) أخذت صورة هذه الوثيقة من دار الوثائق.

وهذا نص محتوى الوثيقة:

(الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده. الذي نعلمه ونشهد به أن هذه الورقة كانت تحررت بمعرفة الشيخ محمد خوجلي حتيك قاضي عموم السودان سابقا بخطه المعروف بيده بخصوص فصل المنازعة التي وقعت بين أهالينا جميعهم وهم المحس أهالي جزيرة توتي وأولاد الشيخ خوجلي في فاصل الجزيرة المذكورة وبحال المحاورة عن يد حضرة القاضي المومى إليه بحضور أكابر قبايلهم قد تم أمرهم بتفويض المسألة إلى جناب الحبر الفاضل الشيخ إبراهيم عبد الدافع لما هو معلوم فيه من التقدم في السن والبركة ومعرفته لوقايع البلد المتقدمة وحضرته في الحال أدرى بما هو مدروك عنده في هذا الفاصل من الأزمنة السابقة وما شاهده نفسه في سنة 1250هـ ألف ومايتين وخمسين وقع وجرى به العمل في الفاصل المذكور وعند وقوع منازعة أولاد الفقيه النور بن الشيخ حمد أم مريوم من أهالي جزيرة توتي وما بين الفقيه عبد الله بن الفقيه إدريس بن الشيخ عبد الغفار من أهالي الصبابي بموجب العلامات المبرهنة بمكاتبه حضرة القاضي قبله والجميع اتفقوا وتراضوا عليها وصار العمل بموجبها وقد تحررت الضرعة المحررة بالورقة من الثلاثة محلات كما هو موضح بالمقرر بها حفظا للواقع واعتمدوا عليها الكافة إلى الآن ونحن جميعنا المدروجة أسماؤنا أدناه منا من كان حاضرا بنفسه في ذلك الجمع ومنا من يعرف خط حضرة الشيخ محمد القاضي هذا بذاته ومنا من شاهد العمل من الذين سلفوا المرقومة أسماؤهم بالورقة هذه والحاضرين من عهد تحريرها سنة 1284هـ لحد الآن بمقتضى منطوقها والفصل بها لوقتنا هذا ولأجل اعتماد العمل بموجبها في باقي الدهر عند المتأخرين حديثين العمر وانفصالهم بها. تحرر منا هذا التصديق للاعتماد عليها حفظا من النسيان والمودة بين القبايل الداخلين في هذا الفاصل من أطفال وجهال والسلام.

الشيخ الأمين محمد خليفة الشيخ خوجلي – الشيخ محمد إبراهيم زروق التاجر – الشيخ محمد أحمد الأمين المشهور بالسيد – أحمد التوم إبراهيم- الفقيه محمد بن الشيخ أحمد مضوي الخليفة – الشيخ إبراهيم بن الفقيه علي عبد الرحمن – الشيخ أحمد إبراهيم عمدة توتي- حمزة محمد أحمد موسى – الشيخ الأمين محمد الشيخ إدريس- محمد موسى خوجلي – حامد النور حامد- كاتبه عبد القادر بن الفقيه أحمد مضوي – عبد الرحمن الفقيه علي – صديق أحمد داوود – الكامل محمد الناير – الفقيه بن محمد الفقيه النور – محمد الحاج طه – الشيخ محمد عبد الله أم مريوم – الشيخ مضوي بركات – دفع الله خوجلي محمد نور – محمد عبد الرحمن زين العابدين – الشيخ مقبول الصديق – الشيخ أحمد بن الفقيه محمد أبو المعالي – الشيخ أحمد خوجلي المشرف – النور محمد دار صليح – محمد الفقيه أحمد مضوي –كاتبه علي الحسن الداير – محمد بابكر)

وفي العام 2000م حكم قاضي جنايات بحري وسط في نزاع بين يديه اعتمادا على هذه الوثيقة بعد أن صورها أحد المتنازعين من كتاب فأرسل القاضي إلى دار الوثائق يسألهم عن صحتها فأجابوه بالخطاب التالي: (1)

بسم الله الرحمن الرحيم

THE REPUBLIC OF THE SUDAN	جمهورية السودان
THE NATIONAL RECORDS OFFICE	دار الوثائق القومية
OFFICE OF THE SECRETARY GENERAL	مكتب الامين العام
Tel. No. 84135	تليفون : ٨٤١٣٥
P.O. Box 1914	ص.ب : ١٩١٤
KHARTOUM	الخرطوم

التاريخ : ١٧/٤/٢٠٠٠م   النمرة :دوق/م ت/١/أ/١/٥م

السيد/ محمد الفاتح أحمد خليل

قاضي جنايات بحري وسط

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

الموضوع : فحص مستند

أشير إلى خطاب سيادتكم بالنمرة ٥/٧/عمومى بتأريخ ١٦/٤/٢٠٠٠م بخصوص المستند المقدم فى البلاغ رقم ١١٩/٢٠٠٠م تحت المادة ١٨٣ ج .

أرجو أن أوضح الآتى :-

المستند المرفق تم تصويره من الصفحات ٨٤ و ٨٥ من كتاب تطور نظام القضاء فى السودان الجزء الاول الطبعة الاولى ١٣٧٨هـ / ١٩٥٩م بقلم حسين سيد أحمد المفتى القاضى بمحاكم السودان الشرعية . وهو صورة طبق الاصل لما ورد فى الكتاب المذكور .

وتفضلوا بقبول وافر الشكر والتقدير .

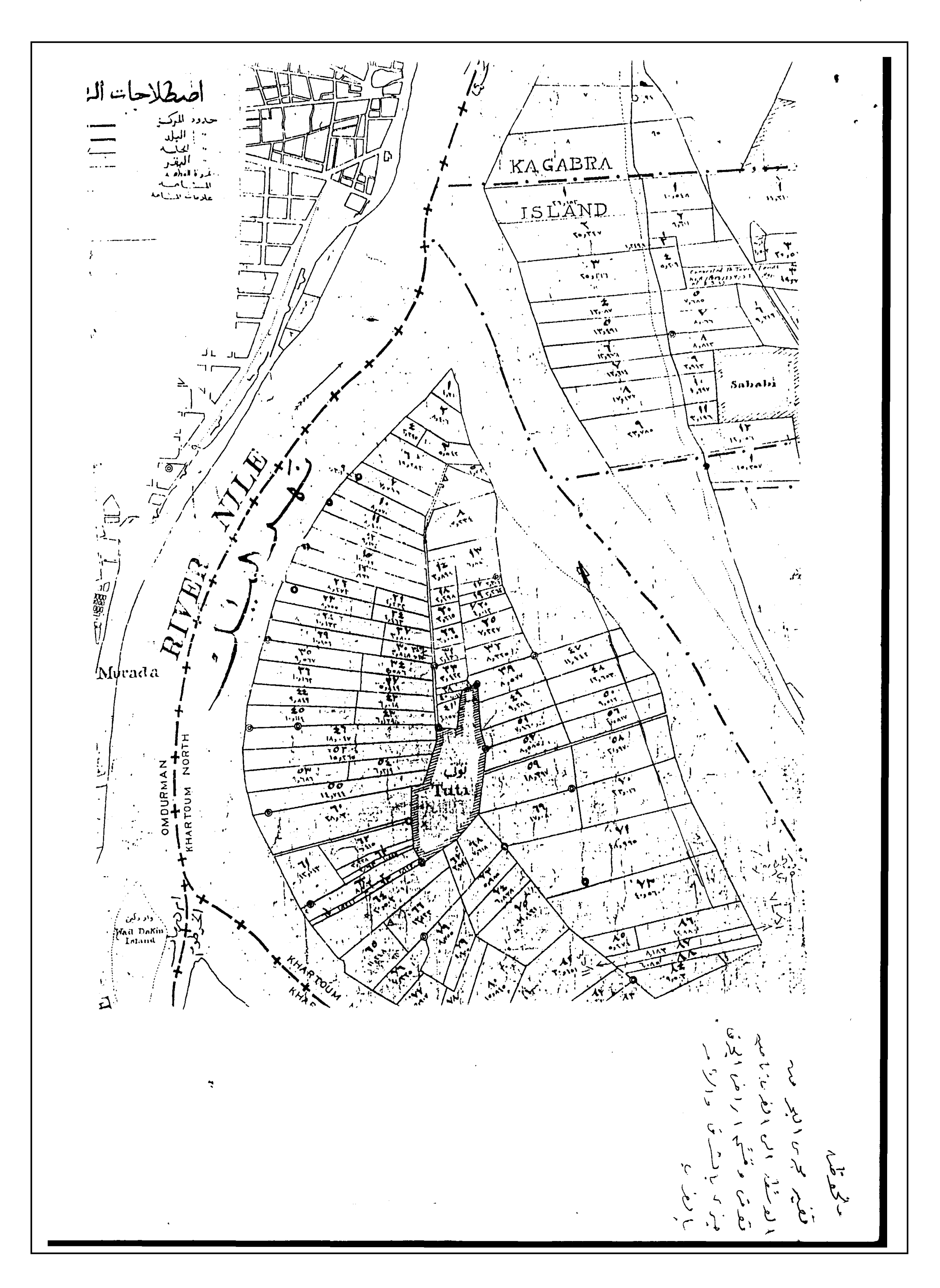
د. علي صالح كرار

أمين عام دار الوثائق القومية



(1) مجموعة وثائق حافظ بن محمد بن عبد الله العامرابي.

وهذه خريطة السواقي بتوتي مأخوذة من مصلحة الأراضي عام 1930م تظهر فيها جزيرة الكجابرة المشار إليها في الوثائق السابقة وهي ليست جزيرة على الحقيقة وإنما أراض تابعة لتوتي من جهة الخرطوم بحري: [1]



(1) مجموعة وثائق حافظ بن محمد بن عبد الله العامرابي.

الطرق

لا تزال توتي تعاني من عشوائية البناء وضيق الأزقة، وهي سمة من سمات المدن القديمة في جميع البلدان، دمشق القديمة وصنعاء القديمة ومدن المغرب وغيرها، وتكاد اليوم لا تجاريها في هذا الوصف بولاية الخرطوم إلا مدينة العليفون التي هي صنو لها في القدم. فأكثر الشوارع اليوم أربعة أمتار أو أقل إلى متر واحد في بعض الأماكن. وهذا يذكر بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قاله لتنظيم طرقات المدينة النبوية المنورة: (إذا اختلفتم في الطريق جعل عرضه سبعة أذرع)، والذراع 57.5 سم، فالأذرع السبعة تساوي 4.02 مترا. أي أن عرض الطرق في عهده صلى الله عليه وسلم كان قريبا مما هو عليه اليوم في توتي. وعبارته صلى الله عليه وسلم المشار إليها يفهم منها أن أرض الطريق هي في الأصل ملك لأصحاب البيوت المجاورة ولذلك يحدث النزاع. وهو تماما حال الطرق اليوم بتوتي، فإن الطريق يكون ضيقا لأن صاحب الأرض يقتطعه من أرضه، فهو على حساب مساحة بيته.

وقد كان هذا العرض من الطرق كافيا في زمان مضى، إذ غاية ما يمكن أن يمر عليه حمار أو حصان يجر عربة، وهذا الطريق يكفيه. وقد أحسن العمدة أحمد ود إبراهيم التدبير لما أنشأ طريقا عريضا بين أرض الحلة السكنية القديمة وحدود السواقي الزراعية، بلغ عرضه 18 أمتار. وسمي حرم الحلة. ولكنه لم يسجله رسميا، رغم أنه كانت له السلطة القانونية التي تمكنه من ذلك. فاستعاد أصحاب الأراضي أراضيهم بعد وفاته رحمه الله وضاع الطريق. [1]

وأما اليوم فإنه بعد أن بنت حكومة السودان جسرا بين توتي والخرطوم، وأصبحت العربات التي تعمل بالبنزين تدخل توتي، فإن الطرق لم تعد مناسبة. لا لسير العربات والمارة، ولا لتصريف أمطار الخريف. فأصبح هذا من الهموم المشكلة المزعجة لأهل توتي. خاصة وأنه حتى الآن ما طرقوا باب مسئول في الحكومات المتعاقبة إلا وطمع في أخذ أرض توتي منهم، بسبب مكانها المميز في وسط العاصمة. فيفاوضون حتى ييأسوا ثم يتركوا الأمر بلا علاج. تكرر هذا مرات ومرات. والرأي عندي أن يرصف أهل توتي الشوارع والأزقة بالبلاط بجهدهم وتعاونهم كما فعلت جميع المدن القديمة في جميع البلدان.

(1) رواية عن فوزي الأمين ود نمر البدانابي.

المنازل

كانت المنازل قسمين قسم مؤقت يبنى في الجنائن قرب الزرع من القصب الذي يوضع عموديا ويلطخ بالطين. ويسقف بالقش مع وراكيب. في الرويس والفالق وبيت قدوم وبيت كنانة. وأما في الخريف فينتقل الناس إلى المباني الثابتة في الحلة وكانت قيزان رمل أبيض فوق أثر جبل حجري.

وكانت عامتها عبارة عن رواكيب من القش وغرف مبنية من اللبن (الطين) منخفضة السقف ومظلمة. وتسقف بالخشب والقش المغطى بالطين مع استخدام (الشِّبَع – مفردها شبعة (شعبة)) وهي أعواد بساق واحدة وفرعين في أعلاها تستخدم كأعمدة ساندة. وأما الحوائط فتطلى من الخارج بالزبالة وهي روث البهائم من بقر وماعز تخلط بالطين ثم تخمر، ويعاد طلاء المباني بها من الخارج قبل كل خريف لحمايتها من المطر. وأما من الداخل فتطلى الغرف بالرمل الأبيض مخلوطا بالصمغ. ولا توجد شبابيك للغرف، بل طاقة صغيرة تغطى بقفة من السعف تصنع خصيصا لهذا الغرض، ويمكن تحريكها لفتح الطاقة وقفلها. وكانت بين البيوت نفاجات، وهي ثقوب في الحوائط بين الجيران أعلاها مقوس، ويضطر من أراد الدخول بها إلى الانحناء. وأما السور المطل على الشارع ففي الغالب يكون من شوك الليمون الذي يزرب به المنزل. ويكون في كل بيت تُكُل وهو مكان لحَرْك (سحق) الذرة لتحويلها إلى دقيق وعواسة الكِسرَة.

وأما منازل المقتدرين، فربما كانت طابقين من اللبن، تسقف بخشب الدوم الذي يشق ساقه طوليا ويربط بالقِد، وهو سيور من جلد البقر، وعندما يجف يشتد على الخشب فيعطيه قوة. ويوضع فوقها حصير مصنوع من قش (التمّام) وهو قش له رائحة جميلة، ثم يغطى بالطين ويبنى فوقه الطابق الثاني. [1]

ولم يكن يوجد نظام صرف صحي، إذ كانت الكُنُف (الأدب خانات) من غير حفر وعلى غير بئر وكان الخراء يجمع بعد أن يجف ليستخدم كسماد لزراعة البطيخ ومزروعات أخرى أو يباع لذات الغرض. وأما الحمّام فكان الرجال يستحمون في النهر والنساء يستحممن بالطست والدلاء، ويجلبن الماء من العِد (البئر). [2]

وقد استمر البناء في توتي على هذه الطريقة إلى عام 1930م حيث دخل استخدام الطوب الأحمر مع الموظفين. [3] رغم أن كمائن الطوب الأحمر عرفت في الخرطوم منذ العهد التركي وبالتحديد في العام 1844م، وأصبحت منازل الخرطوم تطلى بالجير في العام 1870م. [4]

(1) رواية قرشي بن عباس بن بابكر السعدلابي و إبراهيم بن حسن بن محمد بن أرباب الغردقابي.

(2) رواية عن قرشي بن عباس بن بابكر بن محمد بن قرشي العجيمي السعدلابي.

(3) رواية عن قرشي بن عباس بن بابكر بن محمد بن قرشي العجيمي السعدلابي.

(4) د.أحمد أحمد سيد أحمد – تاريخ مدينة الخرطوم.

وذلك رغم أن المباني المهمة كمباني المحكمة القروية –ديوان العمدة– بتوتي كانت مبنية بناءا فاخرا بالطوب الأحمر مع أقواس (آرشات).

ثم اصبحت المباني الفاخرة في توتي في أواخر عهد الإنجليز تبنى من الطوب الأحمر وتسقف بالزنك ويكون السقف عاليا للحفاظ على برودة الغرفة مع شبابيك وأبواب خشبية. وأغلب خرائطها غرفتان متخالفتا الإتجاه جنوب شرق وشمال غرب، وهو اتجاه أبوابها وشبابيكها، مع برنده مفتوحة أما كل منهما. وذلك للسماح بمرور الرياح الجنوبية الغربية في الصيف والشمالية الشرقية في الشتاء عبر الأبواب والشبابيك دون دخول الأشعة المباشرة للشمس إلى داخل الغرف. مع ارتفاع في السقف يسمح ببرودة الغرفة عبر مرور الهواء وبعد سخانة السقف عن أرض الغرفة. وديوان بحجم غرفتين لاستقبال الضيوف من الرجال. وكنيف مع حائط الشارع في الغالب، وهو يكون فوق بئر أو حفرة عميقة. وقد أدى ظهور شبكة المياه المنزلية إلى تغيير شكل الحمام، فأصبت مياهه تصرف إلى البلاعة، وهي حفرة متوسط عمقها حوالي المتر، وينقف (يغرف) بعد الحمّام ماء البلاعة وترش به الشوارع والحيشان ليجف الماء. وكانت مساحة المنازل تتراوح بين 700 و 1000 متر مربع.

وفي أواخر القرن العشرين أصبحت المنازل مجموعة من الغرف تفتح في (هول)، مع ديوان منفصل المدخل لضيافة الرجال. وكل ذلك بسقف واحد ومدخل واحد أو مدخلين. وذلك لأن الأجهزة الكهربائية من مراوح ومكيفات أغنت عن الحاجة للتهوية، فأصبح البناء مغلقا تجنبا لدخول الغبار إلى المنزل. وأما التُكُل فهجر بناؤه لظهور طواحين الكهرباء والبتوجاز الذي يطهى عليه بالغاز. وأما الكنيف والحمام فقد جُمعا في مبنى واحد يُصرف ماؤه مع بقية ماء المنزل بنظام الصرف الصحي (السايفون). كما صغرت مساحة المنازل لتصبح بين 300 إلى 600 متر مربع.

مشكلة سياحية

من المشاكل التي ظل أهل توتي يعانون منها باستمرار استكثارها على أهلها من قبل كثير من الناس – وما علموا أنها منبع العلم وعنوان الحضارة، فاضت على السودان وما تزال بالخير والعطاء والعلوم والفنون – فكانت كثيرا ما تبتلى بطمع المسئولين وتحريض الكتّاب على نزعها من أهلها وتحويلها إلى جزيرة سياحية. وصدق الصديق عمر الصديق إذ يقول:

قد حازت الشرف العالي أوائلنا ... فليس حبلهم منا بمبتوت
وبات يحسدنا قوم لأن لنا ... فخراً عظيماً ومجداً ذائع الصيت

وكانت أول محاولة في هذا المضمار في العام 1906م، حيث باشر بعض سكان الخرطوم تنفيذ هذه الفكرة بشراء أراض في توتي، غير أن المشروع سرعان ما فشل بحلول عام 1909م، واسترد أهل توتي أراضيهم في عام 1944م. (1)

وما زال أهل توتي يذودون عن مجدها وسؤددها سهام الحاسدين والمتربصين. ولعل من أبلغ ما كتبه التواتة في هذا الشأن قصيدة لأبي شوقي الأمين بن مصطفى بن خليفة كتبها ونشرها بجريدة السودان الجديد بتاريخ 25\8\1964 متخيلا فيها توتي وقد أصبحت سياحية:

ذكراك تبكيني مدى الأزمان	أبكي بقلب النادب الأسوان
والنار تضرم في فؤادي حسرة	ما لاح طيف خيالك الفتان
تلك الرمال يفيض سحر جمالها	نورا يهز مشاعر الوجدان
والنخل يرقص بالشواطئ زاهيا	ويزيل ما بالقلب من أدران
تلك الحدائق ذات ظل وارف	الطير يعزف أعذب الألحان
لله ذكراك الجميلة إنها	ترمي القلوب على لظى النيران
هب النسيم من الديار فزادني	شوقا لها والشوق قد أبكاني
فوقفت بالشط العتيق لكي أرى	ما خطه الرسام من عمران
وأردت أرتاد المدينة سائحا	بالرغم عن أني من السودان
قد صدني عنها الخفير بقوله	منع الدخول بساحة الميدان
إلا الغريب وسائحا في أرضنا	فإليهما الترحاب بالأحضان
أنا ابن تربتها حرمت دخولها	الصبر زادا للمصاب كفاني
وذرفت دمعي ذاكرا لخيالها	هيهات أسلو غابر الأزمان
وشددت عزمي للدخول تنكرا	حتى أرى ما غاب عن وجداني
أين المنازل أين كانت دارنا	هل حل يوم الحشر للإنسان
رحل العفاف مع الفضيلة والتقى	هجروا الديار رضا بكل هوان
لله يا توتي الجريحة موطني	قد كنت يوما جنة السودان
اليوم أرضك للسياحة موئل	الخمر بيع بساحة القرآن
أصبحت باريساً وأصلك مكة	صعد العفاف وصرت للشيطان
من ذا يؤازرني إذا خطب عرى	بالكارثات وطارق الحدثان
هذا أخي شرق البلاد مهاجرا	وكذا ابن خالي غرب أم درمان

(1) مجتمع توتي.

وبأرض كافوري ديار أقاربي	وجنوب سوبا زمرة الإخوان
دمنا على حرم الجزيرة إخوة	نلهو ونرتع في هوى وأمان
الدهر يا للدهر بدد شملنا	حتى تفرقنا بكل مكان
حلم غريب في خيالي قد سرى	فالنوم أجدى من أسى اليقظان
الله أكبر لا سواه مخلد	كل على سطح البسيطة فان

توتي محروسة

كتب إبراهيم (الكباشي) أحمد علي بتاريخ 14\2\1970م مقالا يرد فيه على من يريد نزع توتي وتحويلها إلي سياحية، مبينا مصير من يتعرض لتوتي بسوء، ولكن المقال لم ينشر لوفاته رحمه الله قبل النشر – بعد ثلاثة أيام من كتابة المقال، ومن ما ورد في المقال: (...

1. في عهد الحكومة الزرقاء (الفونج) كان أهل توتي معفيين من العشور لدى ملوك الفونج ولا يدخل جزيرتهم أي مندوب من قبلهم نسبة لمكانة العالم الجليل أرباب العقائد والشيخ خوجلي أبو الجاز عندهم وفي آخر عهد ملوك الفونج أي قبل انقضاء ملكهم بشهرين على وجه التقريب دخل أحد الجباة لتحصيل العشور، ورفض الأهالي دفعها، فقتل أكثر من مائة رجل من توتي، وبعدها بسنة بدأ يتزعزع مركز ملوك الفونج ويسمى في تلك الفترة بحكم الاستبداد.
2. عندما أمرهم صالح باشا في أواخر حكم التركية بالذهاب معه لقتال العيلفون ورفضوا، أمر بدخول (برهم) الخرطوم، وعند عودته منتصرا عبأ جيوشه لقتال أم ضبان، وطلب نفس الطلب منهم، فرفضوا، فقال قولته المشهورة للشيخ الأمين الضرير: (عند رجوعنا من الشيخ العبيد تكون الدائرة عليكم)، فقال الشيخ الضرير: (وفال منو إنك سترجع). فقتل هو وجيشه.
3. في سنة 1308هـ عند اشتداد المجاعة طلب الخليفة عبد الله التعايشي أخذ سواقي توتي لأمراء المهدية، فعارض الأهالي ذلك ورفضوا، وبعد مداولات انتهى الأمر على أن يكون نصف الساقية للأمير والنصف الثاني للأهالي، وفي جزء محدد من الجزيرة وليس كلها، وبعدها بدأ تزعزع الأمر بسقوط كسلا عام 1312هـ.
4. وفي عام 1944م قرر مستر ماكنتوش نزع الجزيرة فكان ما كان ونقل ماكنتوش من الإدارة وتوالت على الانجليز المطالبة بتقرير المصير، وأصاب مستر هيس القاضي الذي حاكم أهل توتي الجنون وفقد السيطرة على نفسه وذهب إلى غير رجعة.
5. في يوم 15\9\1964م وصل خطاب من ضابط مجلس ريفي الخرطوم لشيوخ توتي بأن المجلس التنفيذي لمديرية الخرطوم سيبحث موضوع ربط جزيرة توتي بكل من مدينتي أم درمان والخرطوم بحري بكبري وذلك في جلسته التي ستعقد في يوم 20\9\1964م وأن المجلس يرى

أن يحضرها كل من السيد سرور محمد رملي مع مندوب آخر من مجلسكم الموقر وثلاث مناديب يعتمد عليهم من أهالي توتي، وكذلك مقدم الاقتراح السيد عبد القادر عبد المنعم والسيد أحمد أبوبكر مراقب السياحة، فماذا حصل؟ حصل الآتي:

أ- طعن مقدم الاقتراح السيد عبد القادر عبد المنعم بجوار مصنع الثلج ونجا من الموت بأعجوبة بواسطة الدكتور عبد الحليم.

ب- انتهى الحكم العسكري الذي تبنى هذا المشروع بثورة الشعب يوم 21\10\1964م) أي بعد شهر.

ت- احترقت مكاتب جريدة الرأي العام التي والت الكتابة في الموضوع.

ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد!).

أنساب التواتة

من الأشياء المميزة في مجتمع توتي حفظهم للأنساب الممتدة إلى فترات تاريخية بعيدة، تحتفظ بها الأسر ويحفظها الأبناء عن الآباء، ثم آل علم الأنساب بتوتي إلى نسابة اشتهروا به، وأصبحوا أهم مصادره، وأهمهم:

1- محمد (ود شاهين) أحمد جميل الله الشكرتابي.

2- إبراهيم أحمد علي الشكرتابي.

3- قيس إبراهيم أحمد علي الشكرتابي.

4- الطاهر محمد الطاهر الكنزي.

5- عبد الله محمد (شاهين) أحمد جميل الله الشكرتابي.

6- محمد عبد الرحمن أحمد جميل الله الشكرتابي.

7- أحمد علي الغردقابي.

8- محمد الأمين (سيد الحوش) أحمد علي الغردقابي. (1)

9- كمال أحمد البشير الفضل الكباني.

10- علي عبد الرحيم محمد علي العامرابي. (2)

ويؤول علم هؤلاء في الأنساب على ما بلغنا إلى أحمد بن جميل الله بن البدري الشكرتابي الذي أخذه عن جده البدري بن إدريس بن شكرته الذي عمر 120 عاما(3).

ومن مصادر علم الأنساب الأخرى الموروثة كثير من أشجار النسب التي تحتفظ بها الأسر والتي كتبت قبل عشرات السنوات وأشهرها مجموعة الأشجار التي تعود إلى الفقيه محمد نور السعدلابي وهي لأنساب السعدلاب. وشجرة للمكناب وشجرة للمرزوقاب أهل بري ومنهم البداناب وأشجار لأنساب الشيوخ المحس الذين اشتهروا وأهمها شجرة الفقيه محمد مالك خليفة أرباب العقائد بالبشاقرة.

كما أن من مراجع علم الأنساب بتوتي مجموعة من الكتب التي اهتمت بتدوين الأنساب وأشهرها كتاب النسابة الصديق أحمد حضرة العونابي الصبحابي (1798-1918م): (شجرة بهجة الزمان المشتملة على أنساب الهاشمية والعركتاب، مع إضافات وتعديلات قليلة من المؤلف ومراجعة وتدقيق النسابة قيس إبراهيم أحمد علي الشكرتابي.

---

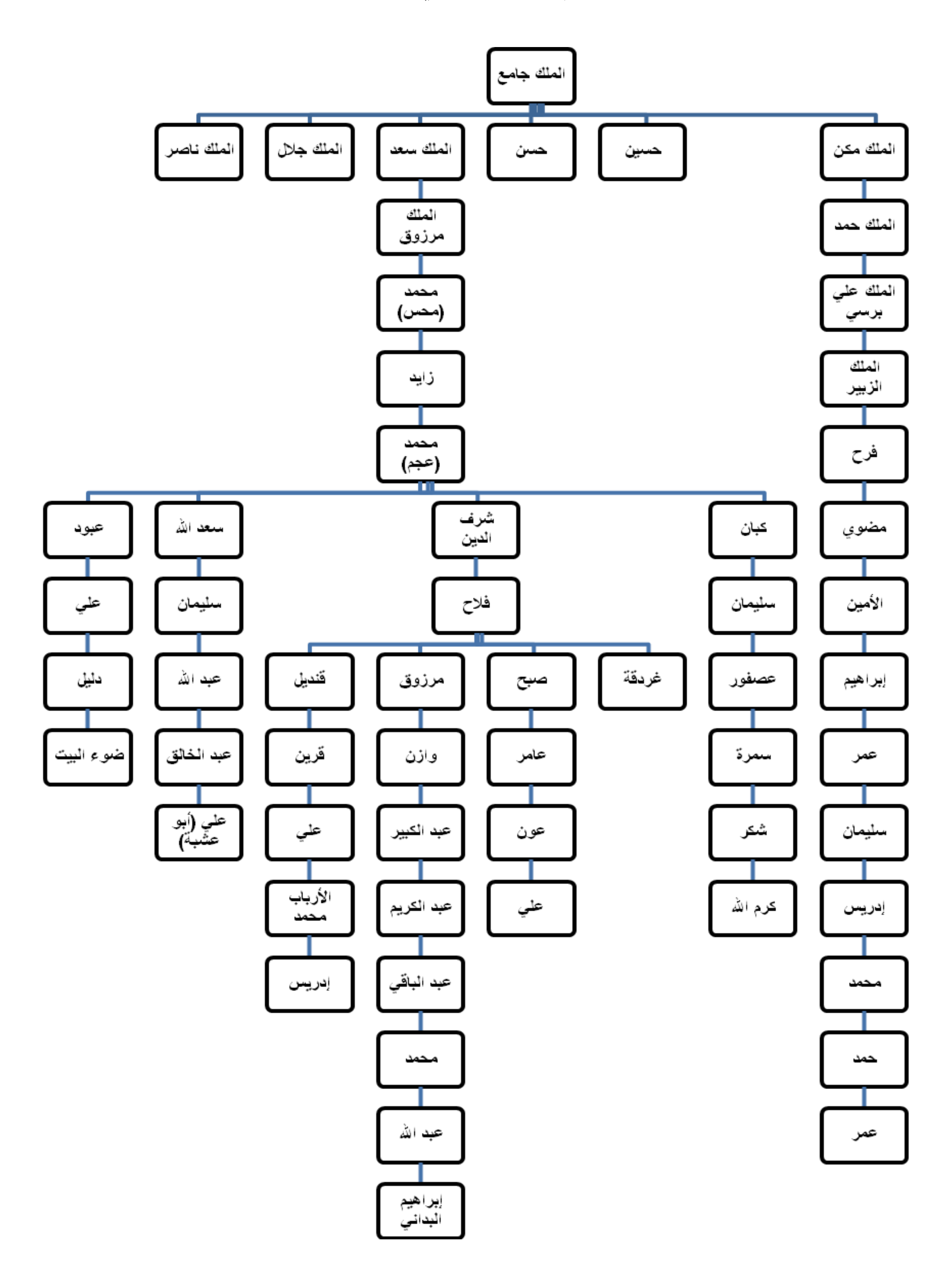
(1) وهو يسكن اليوم أم درمان بحوش الضرير جده.

(2) علي بن عبد الرحيم بن محمد بن علي بن الحاج أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن الفقيه عامر.

(3) قيس إبراهيم أحمد علي.

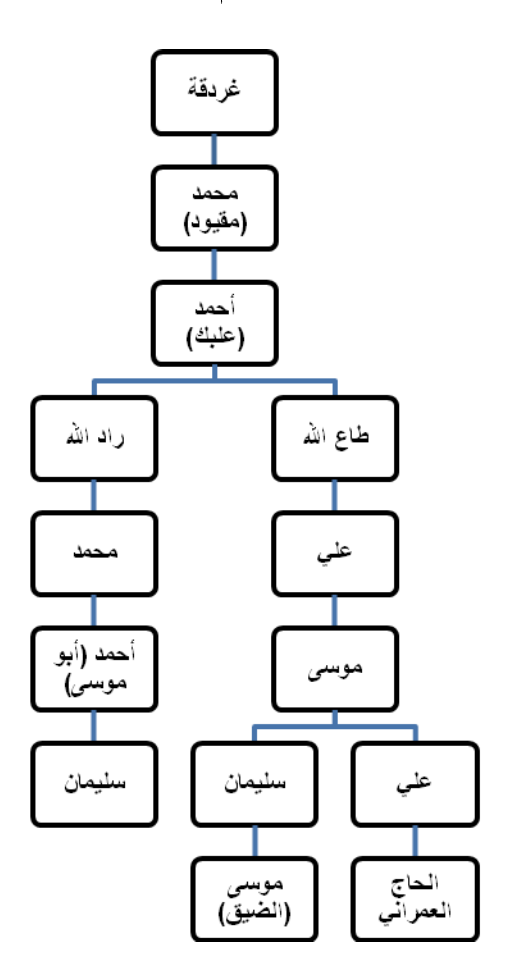
الأصول

الملك جامع بن الملك حسن بن الملك أحمد بن الملك عامر بن عبد الكريم بن عبد الله بن يعقوب بن جابر بن سعد بن موسى بن أويس بن جامع سكر بن سالم بن عبد الرحمن بن علي بن سليمان بن محمد بن زيد بن عمارة بن حارثة بن عبادة بن **أبي بن كعب رضي الله عنه وأرضاه**.



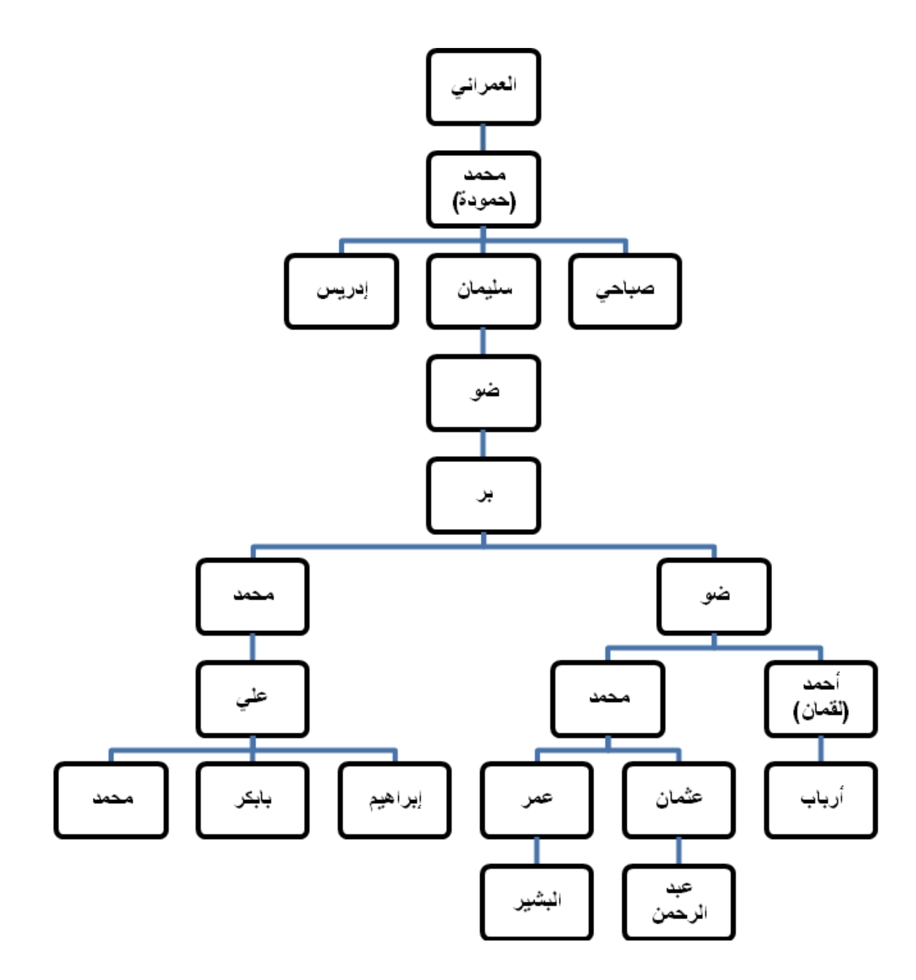
الغردقاب

غردقة بن فلاح بن شرف الدين بن محمد (عجم) بن زايد بن محمد محسن (محس).



غردقاب – الحاج العمراني

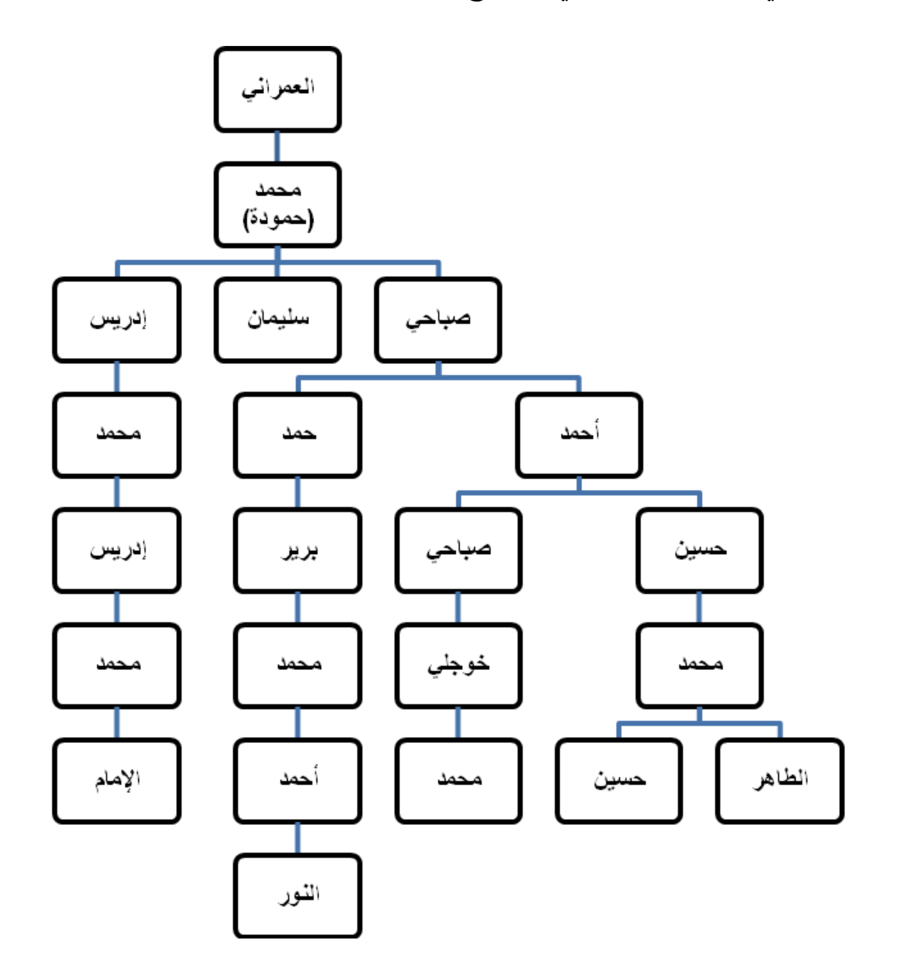
الحاج العمراني بن علي بن موسى بن علي بن طاع الله بن أحمد (علبك) بن محمد (مقيود) بن غردقة.



- العمدة: أحمد إبراهيم علي محمد بر
- حسن محمد أرباب
- حسين محمد أرباب
- سراج النور أحمد أرباب
- محمد عثمان أرباب
- بابكر عثمان أرباب
- سيد أحمد (غاندي) محمد عبد الرحمن
- البشير أحمد البشير
- مصطفى حاج علي محمد علي
- عبد القادر إبراهيم بابكر
- السيد أبو القاسم علي بابكر
- بابكر الفضل بابكر
- عباس عمر إبراهيم
- إبراهيم عمر إبراهيم
- عبد الوهاب عمر إبراهيم

الغردقاب – الحاج العمراني

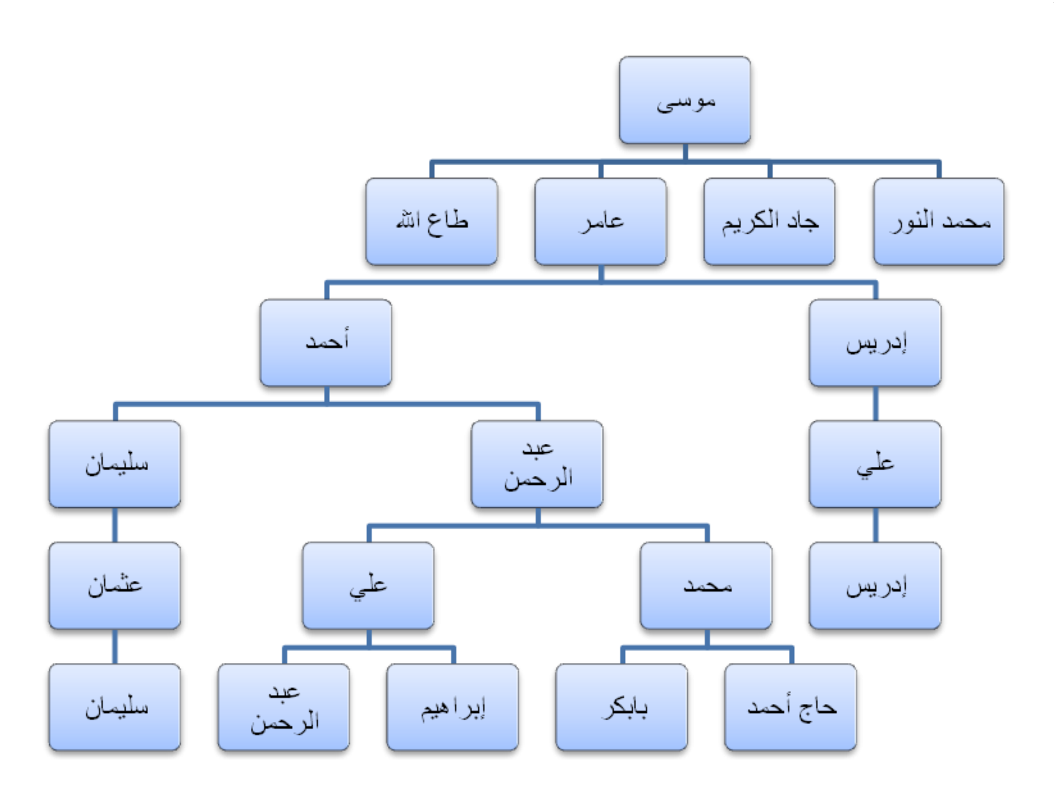
الحاج العمراني بن علي بن موسى بن علي بن طاع الله بن أحمد (علبك) بن محمد (مقيود) بن غردقة.



- إمام (المحسي) إبراهيم الإمام
- فضل علي الإمام
- عبد الحميد علي الإمام
- الإمام عبد الوهاب الإمام
- خوجلي عبد الله أحمد النور
- خوجلي محمد أحمد النور
- حسن أحمد خوجلي الطاهر
- عبد الله الطاهر الزبير أحمد حسين
- حسين عكاشة حسين أحمد حسين
- محمد أحمد (ود الجنة) محمد حسين
- الصديق إبراهيم الصديق حسين
- أحمد خوجلي محمد خوجلي

غردقاب – العامراب

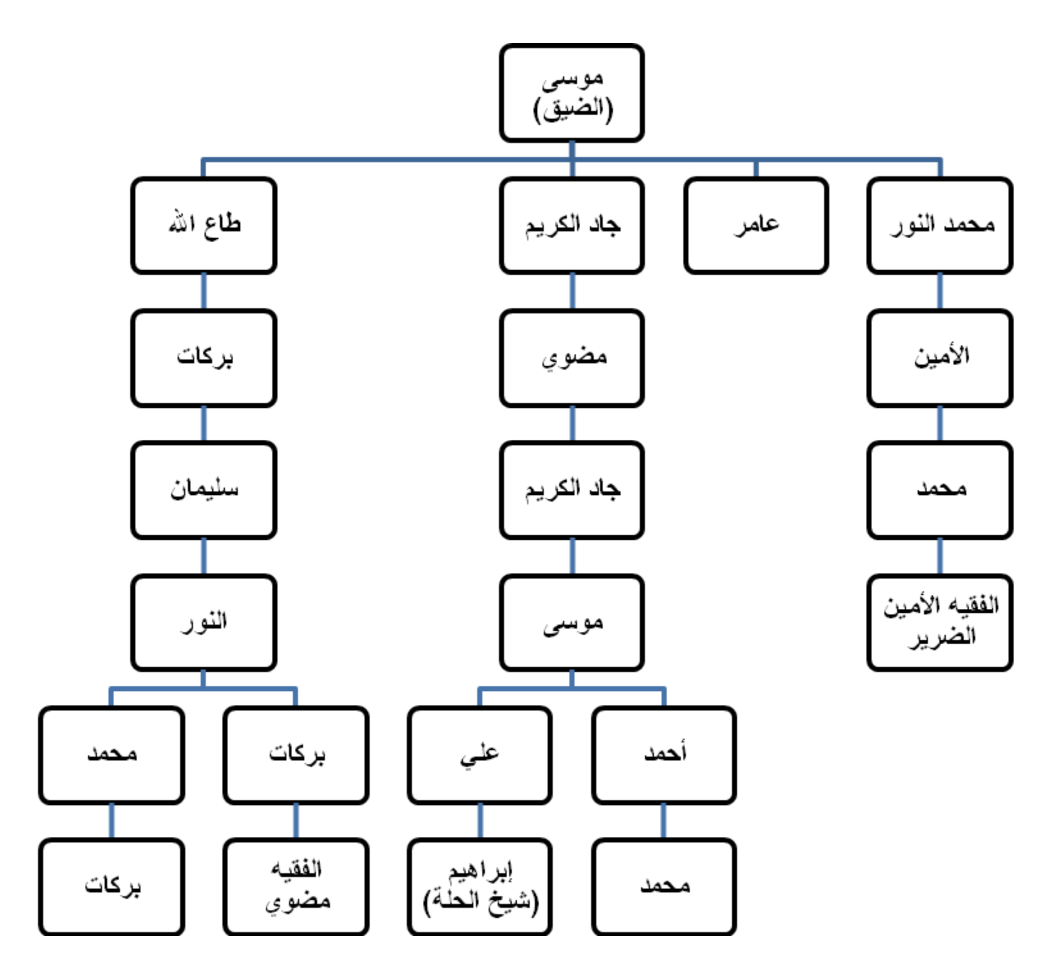
الفقيه موسى (الضيق) بن سليمان بن موسى بن علي بن طاع الله بن أحمد (علبك) بن محمد (مقيود) بن غردقة.



- عبد الرحيم محمد علي الحاج أحمد
- عمر العاقب علي الحاج أحمد
- محمد (حميدة) عمر علي الحاج أحمد
- الحاج أحمد عمر علي الحاج أحمد
- حمد أحمد محمد الحاج أحمد
- الصديق الأمين محمد بابكر
- عبد الرحمن حاج أحمد (الرباطي) محمد بابكر
- إبراهيم حاج أحمد (الرباطي) محمد بابكر
- محمد عبد الله (الفقيه) إبراهيم
- محمد الحسن علي عبد الرحمن
- سليمان محمد سليمان
- عبد الوهاب محمد سليمان
- عبد الدائم المصطفى (الفقيه) علي إدريس
- بابكر (الفلاح) إدريس خوجلي إدريس
- النور إبراهيم خوجلي إدريس

غردقاب – أولاد موسى (الضيق)

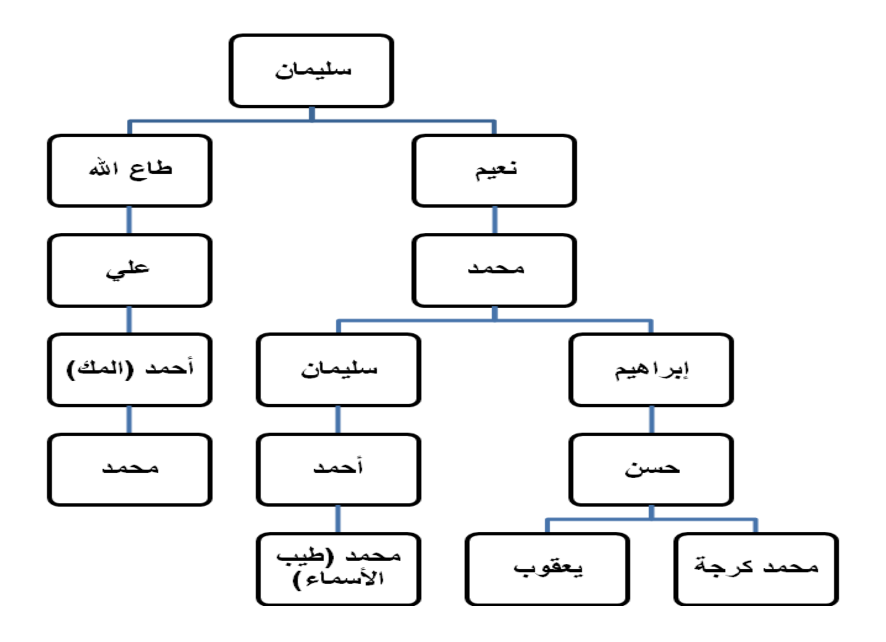
الفقيه موسى (الضيق) بن سليمان بن موسى بن علي بن طاع الله بن أحمد (علبك) بن محمد (مقيود) بن غردقة.



- إبراهيم أحمد محمد الأمين
- المبارك أحمد حمزة محمد
- الأمين أحمد حمزة محمد
- الحسن عثمان إبراهيم
- أبوعوف إبراهيم
- محمد مضوي بركات
- مضوي أحمد الفقيه مضوي
- عبد الوهاب (التازي) أحمد مضوي
- محمد (السيد) أحمد الفقيه مضوي
- عبد الرحيم أحمد الفقيه مضوي
- حامد محمد الفقيه مضوي
- عمر الصديق محمد مضوي
- محمود الصديق محمد مضوي
- عبد الرحمن الصديق محمد مضوي

غردقاب – أولاد راد الله

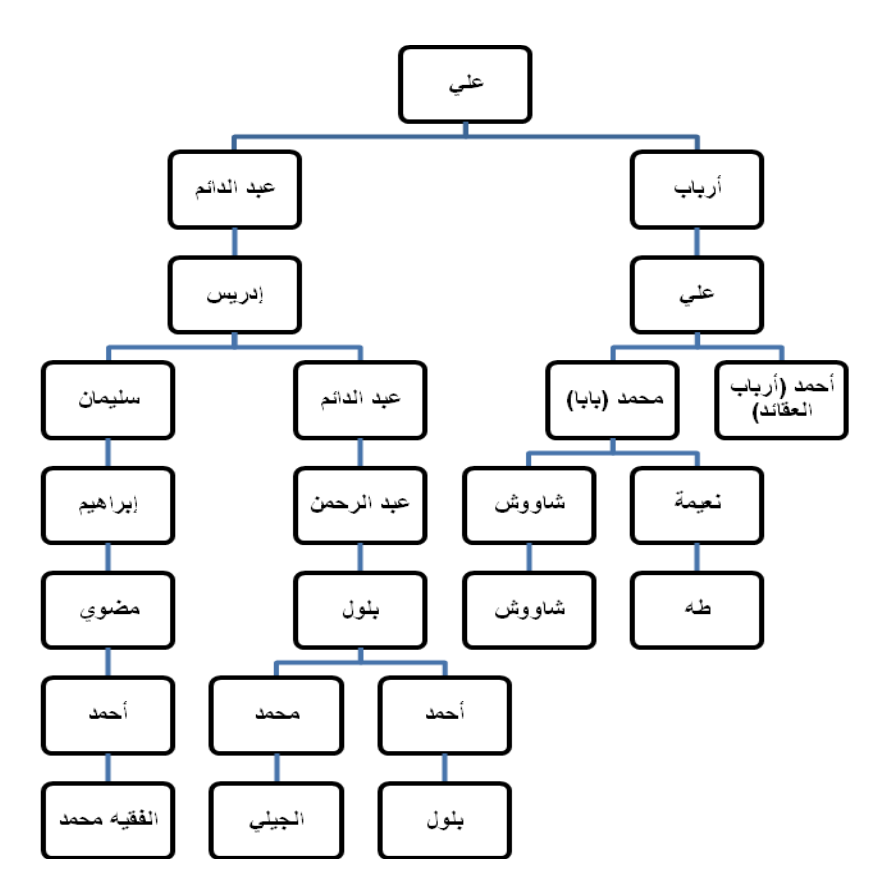
سليمان بن أحمد (أبوموسى) بن الحاج محمد بن راد الله بن محمد (مقيود) بن أحمد (علبك) بن غردقة



- عثمان الصديق عثمان محمد أحمد (الملك)
- محمد الصديق عثمان محمد أحمد (الملك)
- علي الصديق عثمان محمد أحمد (الملك)
- عبد الرؤف الفضل علي محمد أحمد (الملك)
- عبد الغني الفضل علي محمد أحمد (الملك)
- الجلي محمد سليمان طيب الأسماء
- علي أحمد محمد (طيب الأسماء)
- طه عبد القادر محمد (طيب الأسماء)
- الزبير عبد القادر محمد (طيب الأسماء)
- العباس عبد القادر محمد (طيب الأسماء)
- طلحة حمدنا الله محمد (طيب الأسماء)
- محمد عبد القادر محمد (طيب الأسماء)
- موسى إبراهيم محمد (طيب الأسماء)
- عثمان إبراهيم محمد (طيب الأسماء)
- الحسن إبراهيم محمد (طيب الأسماء)
- المصطفى علي محمد (طيب الأسماء)
- إبراهيم علي محمد (طيب الأسماء)
- سليمان الطاهر محمد (طيب الأسماء)
- طيب الأسماء الصديق محمد (طيب الأسماء)
- الزين فرح محمد (كرجة)
- مصطفى فرح محمد (كرجة)
- إبراهيم فرح محمد (كرجة)
- العاقب فرح محمد (كرجة)
- محمد (عباس) الخضر محمد أحمد يعقوب
- أحمد عبد الرحمن الشفيع يعقوب
- آدم حرمين أحمد يعقوب

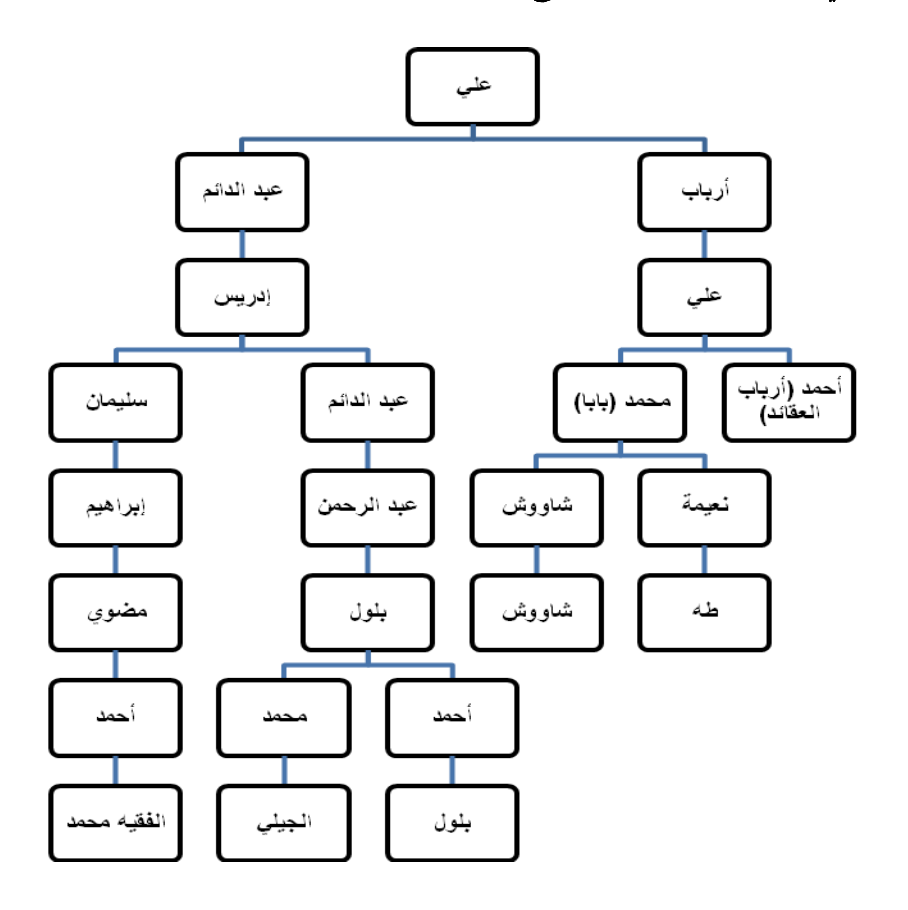
الصبحاب

علي بن عون بن عامر بن صبح.



- عبد الرحمن الفقيه محمد أحمد
- حمزة الفقيه محمد أحمد
- النور الفقيه محمد أحمد
- أحمد الفقيه محمد أحمد
- المشرف الفقيه محمد أحمد
- عبد الله الفقيه محمد أحمد
- الهادي الفقيه محمد أحمد
- محمد (الشايقي) خوجلي أحمد بلول
- إبراهيم مصطفى علي أحمد بلول
- عثمان علي أحمد بلول
- عمر العباس علي شاووش
- بابكر العباس علي شاووش
- الفضل العباس علي شاووش
- محمد عثمان أرباب علي شاووش
- حسب الرسول محمد الحسن علي شاووش
- حسن أحمد عبد القادر أحمد طه
- محمد أحمد عبد القادر أحمد طه

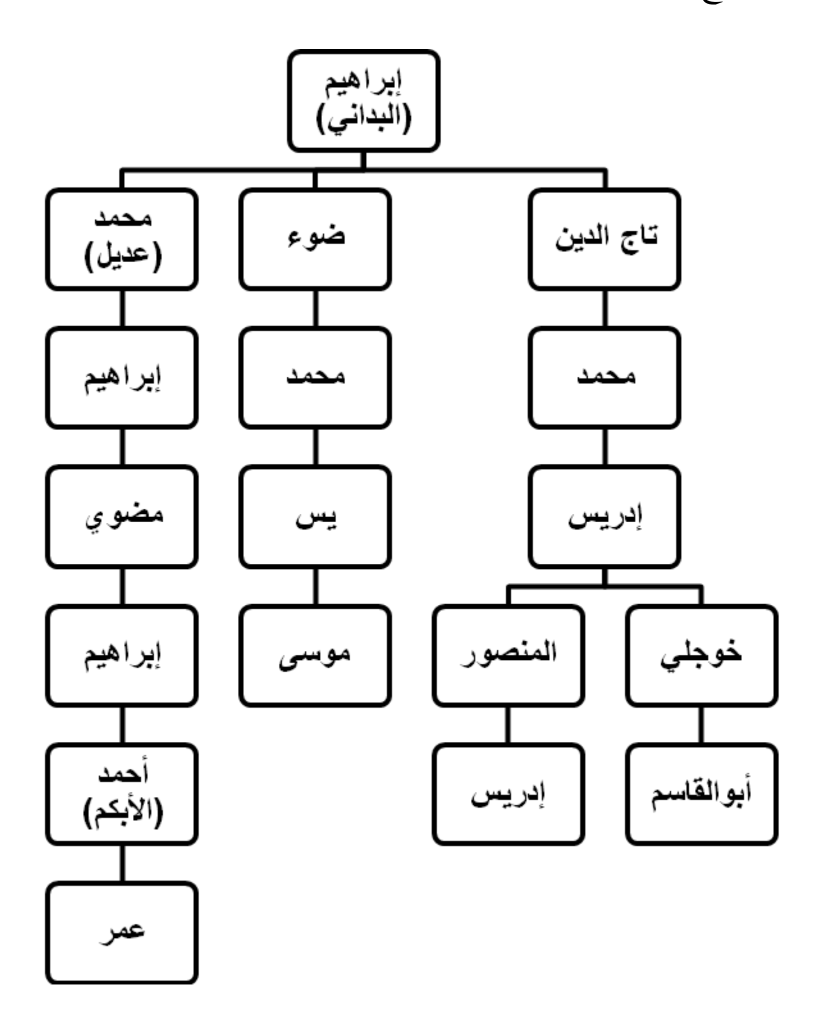
الصبحاب: علي بن عون بن عامر بن صبح.



- علي عثمان إبراهيم أحمد الجيلي
- خوجلي عثمان إبراهيم أحمد الجيلي
- عبد المجيد عثمان إبراهيم أحمد الجيلي
- محمد (عطا المنان) عثمان إبراهيم أحمد الجيلي
- إلياس أبوعوف أحمد محمد أحمد الجيلي
- عثمان (أغبش) البشير محمد (جاد الولي) الجيلي
- الشيخ: البشير بابكر البشير محمد الجيلي
- بابكر البشير محمد (جاد الولي) الجيلي
- طه الأمين البشير محمد (جاد الولي) الجيلي
- مصطفى الأمين البشير محمد (جاد الولي) الجيلي.
- إبراهيم (الحاج الخليل) الأمين البشير محمد (جاد الولي) الجيلي.

البداناب

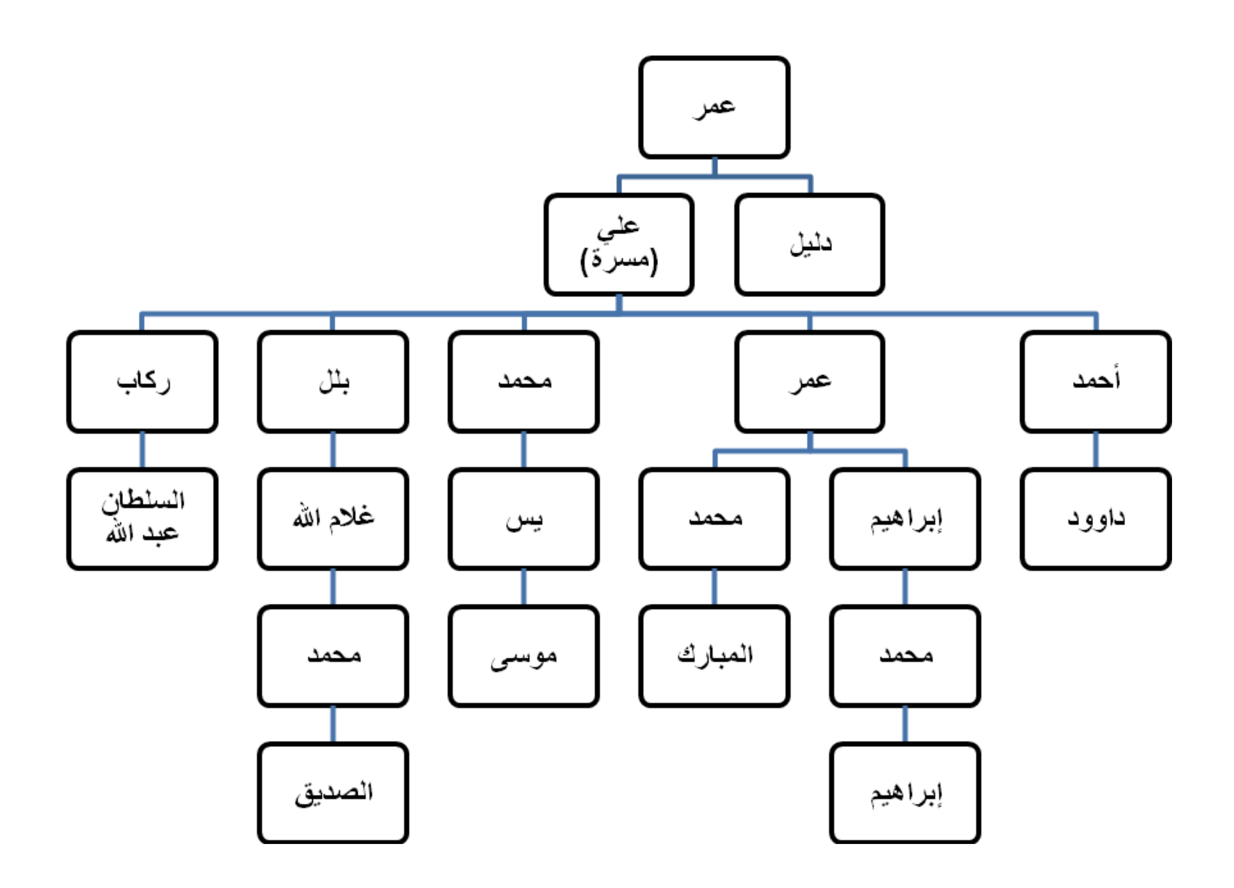
إبراهيم (ولد توتي البداني) بن عبد الله بن محمد بن عبد الباقي بن عبد الكريم بن عبد الكبير بن وازن بن مرزوق بن فلاح



- الأمين محمد (نمر) عمر
- عز الدين النور سليمان عمر
- الحمودي النور سليمان عمر
- أرباب أحمد أرباب إدريس
- إدريس (حاج الشيخ) محمد (ود ضو) أحمد موسى
- علي محمد (ود ضو) أحمد موسى
- عمر محمد (ود ضو) أحمد موسى
- يعقوب محمد (ود ضو) أحمد موسى
- الحمودي محمد (ود ضو) أحمد موسى
- البدري محمد البدري محمد أبوزيد أبوالقاسم
- ياسين محمد البدري محمد أبوزيد أبوالقاسم

المكناب – أولاد علي (مسرة)

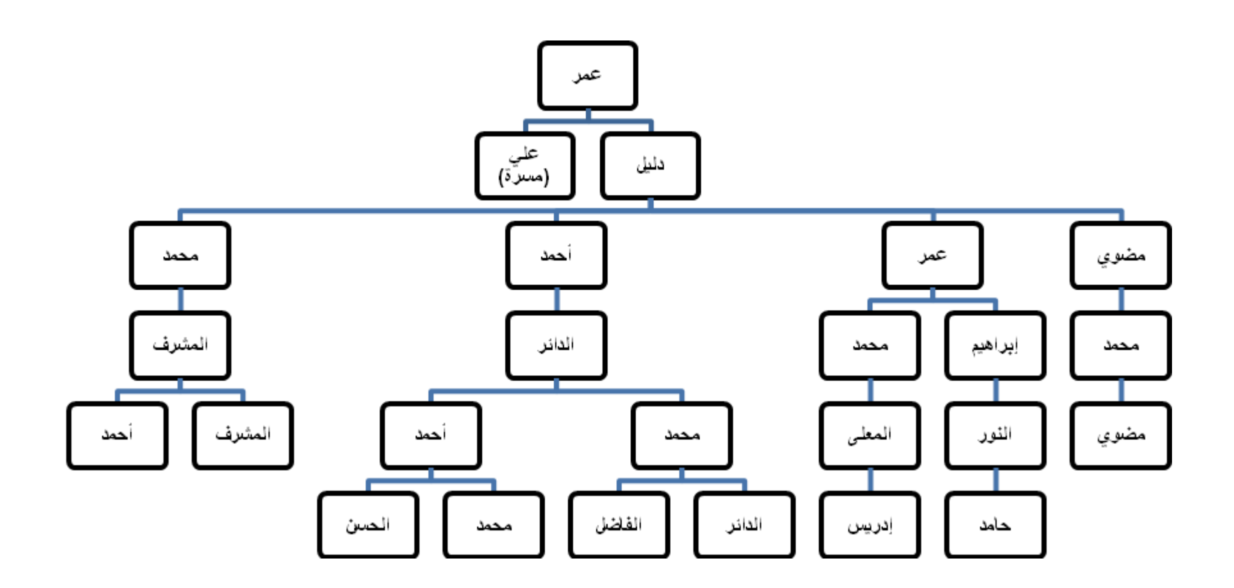
عمر بن حمد بن محمد بن إدريس بن سليمان بن عمر بن إبراهيم بن الأمين بن مضوي بن فرح بن الملك الزبير بن الملك علي (برسي) بن الملك حمد بن الملك مكين



- عمر ركاب إبراهيم سلطان
- محمد المبارك الصديق
- المبارك عمر الصديق
- الخاتمي الطريفي محمد موسى
- عبد الرحمن يس محمد موسى
- مكاوي يس محمد موسى
- الفاضل خوجلي محمد المبارك
- محمد (كبير) خوجلي محمد المبارك
- عكاشة عبد الباقي إبراهيم
- الرشيد عبد الباقي إبراهيم
- علي دليل إبراهيم
- محمد دليل إبراهيم
- البشير الحسن البشير أحمد داوود

المكناب – أولاد دليل

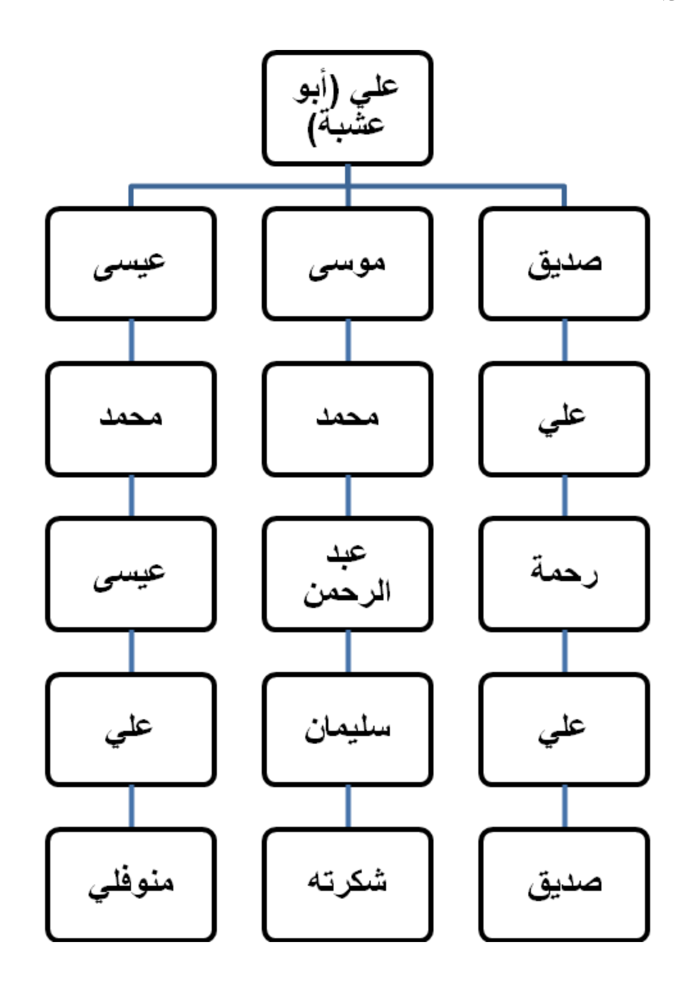
عمر بن حمد بن محمد بن إدريس بن سليمان بن عمر بن إبراهيم بن الأمين بن مضوي بن فرح بن الملك الزبير بن الملك علي (برسي) بن الملك حمد بن الملك مكين



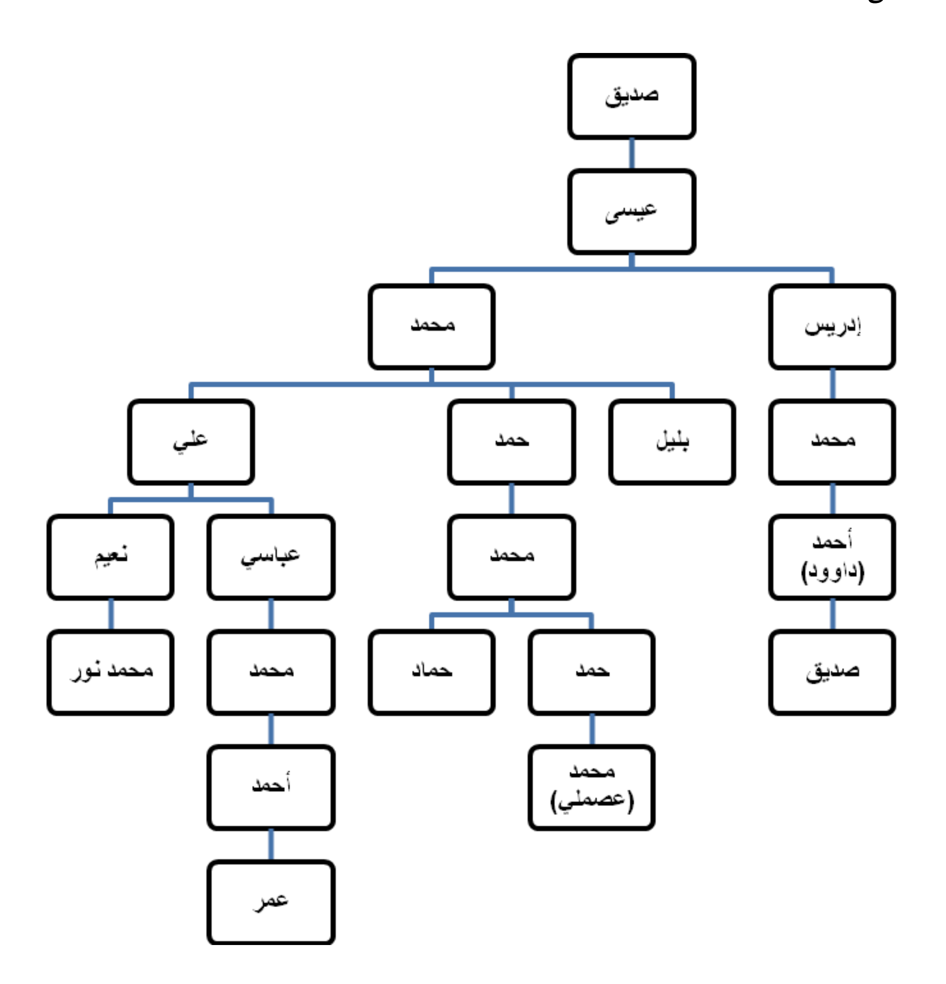
- سليمان محمد الحسن أحمد
- أحمد محمد الحسن أحمد
- سليمان أحمد محمد أحمد
- محمد أحمد محمد أحمد
- محمد علي محمد الدائر محمد
- عبد الرحمن محمد أحمد الدائر محمد
- البشير أحمد الدائر محمد
- طه أحمد إدريس الدائر محمد
- عدلان بابكر إدريس الدائر محمد
- إبراهيم محمد الفاضل
- سليمان إبراهيم النور حامد
- بر محمد النور حامد
- حسن البشير النور حامد
- حسين عثمان حامد محمد إدريس
- أحمد عبد القادر أحمد مضوي
- عثمان محمد أحمد مضوي
- الحسن محمد أحمد مضوي
- الحسين محمد أحمد مضوي
- العباس الصديق الطاهر المشرف المشرف
- عمر الصديق الطاهر المشرف المشرف
- عمر أحمد محمد موسى خوجلي أحمد المشرف
- عبد الله (عطا المنان) أحمد خوجلي محمد أحمد المشرف

السعدلاب

علي (أبوعشبة) بن عبد الخالق بن عبد الله بن سليمان بن سعد الله بن محمد (عجم) بن زايد بن محمد محسن (محس).



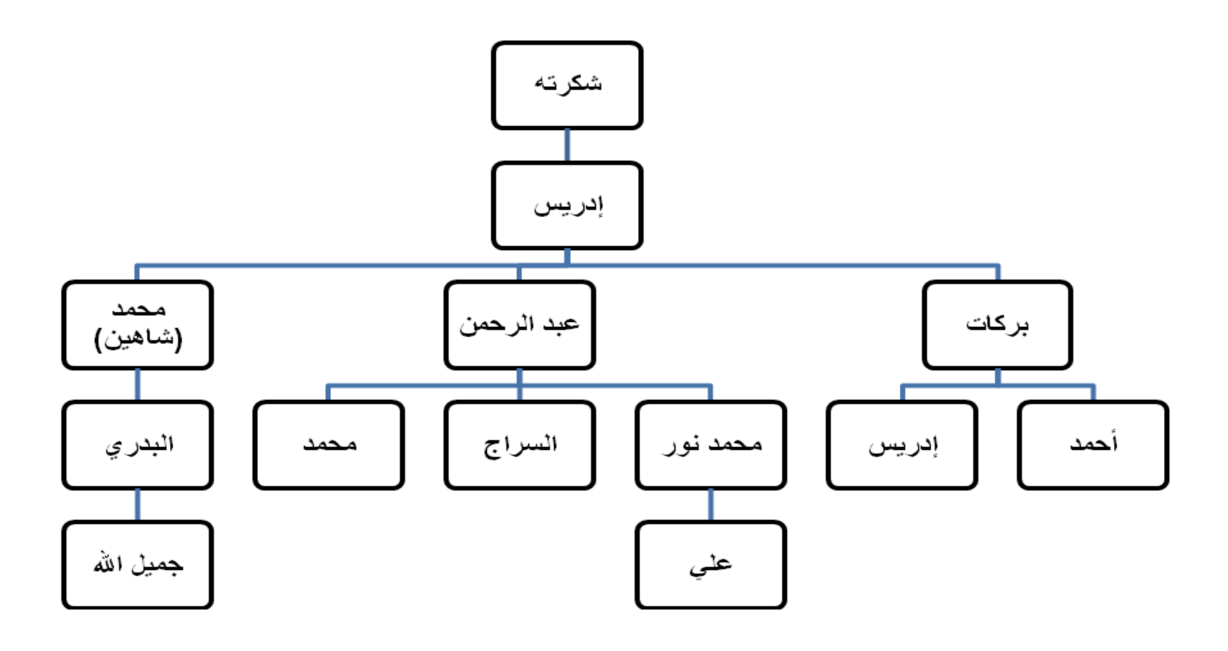
السعدلاب: صديق بن علي بن رحمة بن علي بن صديق بن علي (أبوعشبة) بن عبد الخالق بن عبد الله بن سليمان بن سعدالله.



- عمر محمد (عصملي)
- بابكر محمد (عصملي)
- حمزة محمد (عصملي)
- الطاهر محمد (عصملي)
- عثمان (القوس) أحمد محمد (عصملي)
- التجاني محمد (عصملي)
- حمد المختار حماد
- الحبر المختار حماد
- تاج السر المختار حماد
- عمر إبراهيم الصديق بليل
- عبد الفتاح خوجلي محمد نور
- أحمد خوجلي محمد نور
- الطيب أحمد محمد نور
- عباس أحمد محمد نور
- عبد الرحمن محمد الأمين بساطي محمد نور
- عثمان يوسف عمر
- حسن (التوم) محمد صديق

الشكرتاب

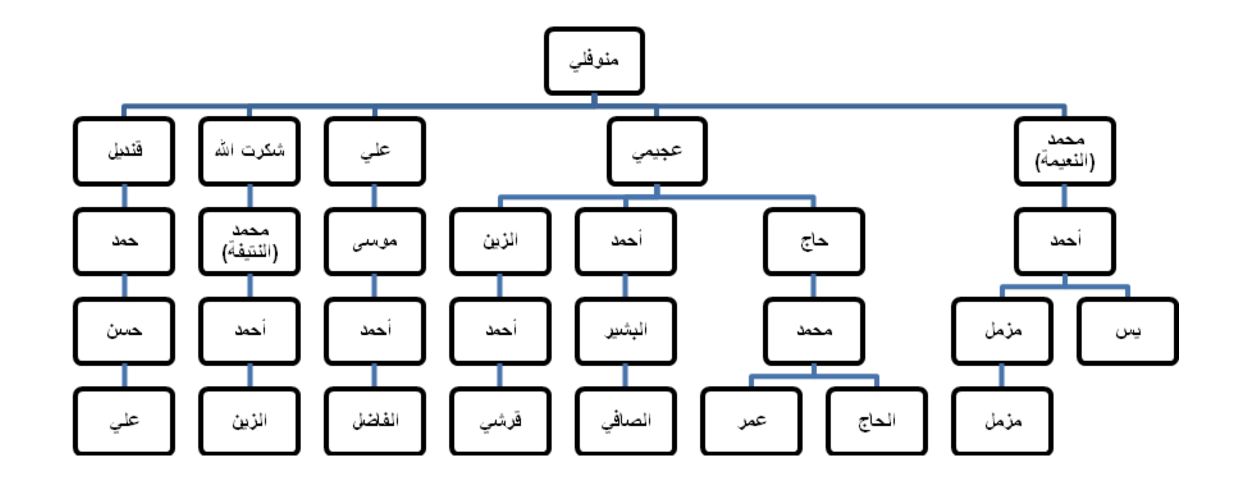
شكرته بن سليمان بن عبد الرحمن بن محمد بن موسى بن علي (أبو عشبة).



- محمد عبد الرحمن السراج
- الزعيم: مصطفى خالد محمد
- عبد الرحمن خالد محمد
- الأمين داوود محمد
- الهادي إبراهيم محمد
- زين العابدين خالد محمد
- جبريل محمد علي
- السراج أحمد علي
- محمد نور أحمد علي
- حاج علي أحمد علي
- إبراهيم أحمد علي
- بركات أحمد علي
- عبد القادر علي (الأحمر) محمد
- عبد الرحيم علي (الأحمر) محمد
- محمد علي (الأحمر) محمد
- الخضر علي (الأحمر) محمد
- أحمد (شيخ الحلة) علي (الأحمر) محمد
- محمد (ود شاهين) أحمد جميل الله
- عبد الرحمن أحمد جميل الله
- عباس أحمد جميل الله
- الطاهر أحمد جميل الله
- الصديق أحمد إدريس
- المدني أحمد إدريس
- عمر أحمد إدريس
- مضوي أحمد إدريس
- محمد (حميدة) أحمد بركات
- الصديق أحمد بركات
- عبد القادر أحمد بركات
- إدريس البشير إدريس
- نور الجليل البشير إدريس
- ياسين البشير إدريس
- بابكر البشير إدريس
- خالد البشير إدريس

العجيماب

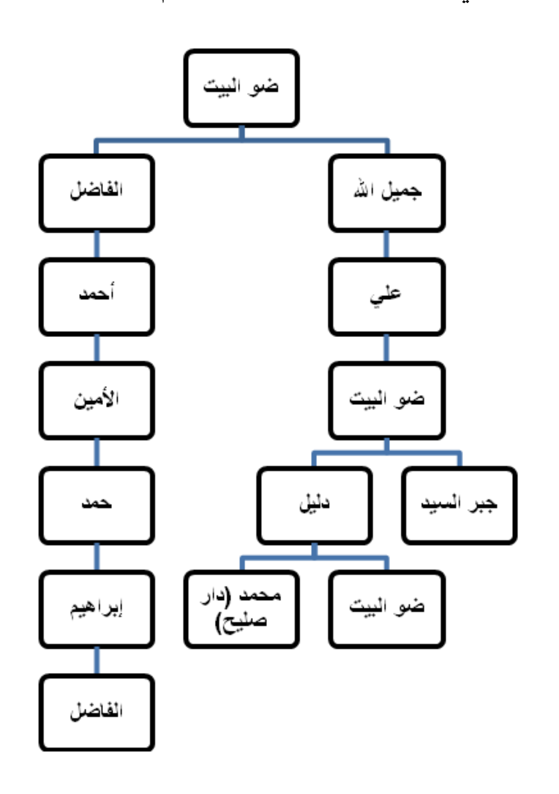
عجيمي بن منوفلي بن علي بن عيسى بن محمد بن عيسى بن علي (أبو عشبة)



- عز الدين علي أحمد علي
- محمد (القرّاي) إبراهيم أحمد الزين
- أحمد إبراهيم مقبول الفاضل
- أبو المعالي محمد مقبول الفاضل
- محجوب محمد (ود الزاكي) السيد عمر
- بابكر محمد قرشي
- علي محمد قرشي
- أحمد (الفريع) الصديق بلّال محمد (شروم) يس
- أحمد السراج إبراهيم مزمل
- محمد (حبيب) عثمان إبراهيم مزمل
- أحمد الطاهر محمد (طيب الأسماء) حاج
- علي الطاهر محمد (طيب الأسماء) حاج
- عبد الوهاب أحمد المدني الصافي
- المدني أحمد المدني الصافي
- الرشيد أحمد المدني الصافي
- حماد عثمان حسن علي
- الفقيه علي أحمد علي
- إدريس أحمد علي

العبودية

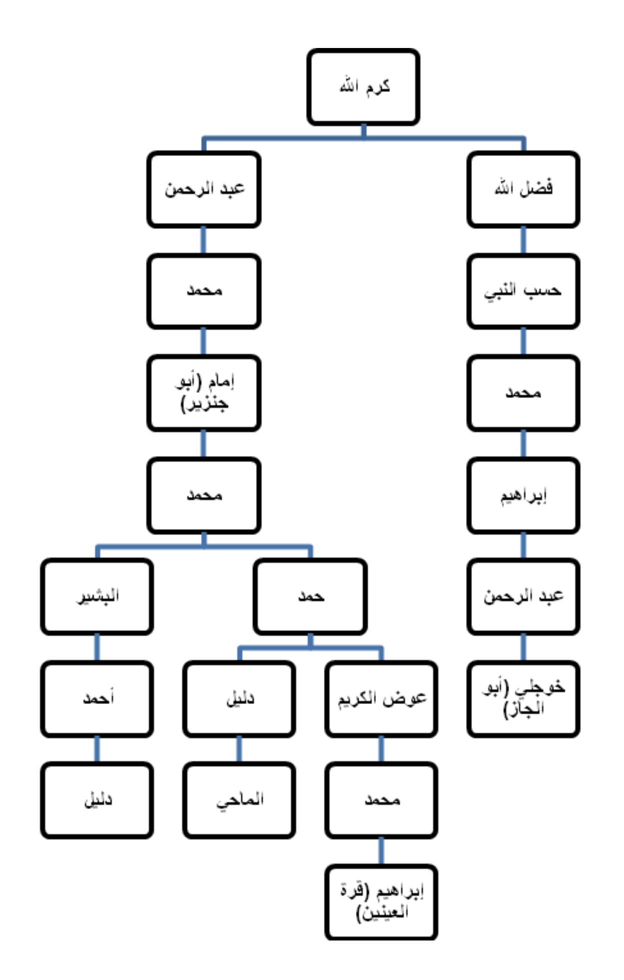
ضو البيت بن دليل بن علي بن عبودي بن محمد (عجم) بن زايد بن محمد محسن (محس).



- أحمد محمد الفاضل
- إبراهيم محمد الفاضل
- عبد الكريم أحمد محمدين جبر السيد
- محمد المبارك عمر محمد جبر السيد
- علي محمد الأمين النور دار صليح
- أحمد علي (الكرار) عبد الله دار صليح
- بابكر حمد ضو البيت
- بابكر محمد ضو البيت
- إبراهيم عبدالله ضو البيت
- عبد الله أحمد عبد الله ضو البيت

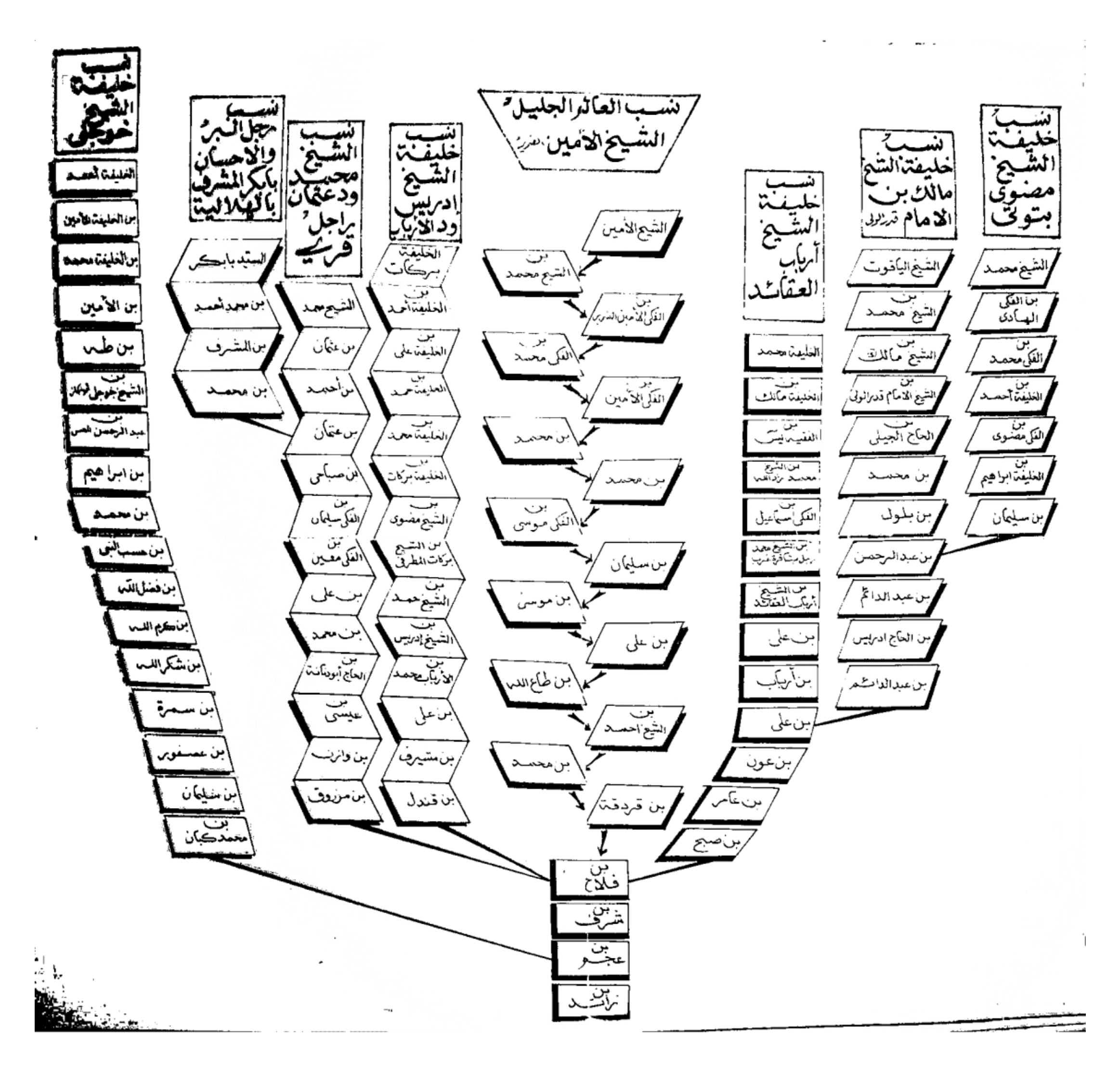
الكبانية

كرم الله بن شكر بن سمرة بن عصفور بن سليمان بن كبان بن محمد (عجم) بن زائد بن محمد محسن (محس).



- مكاوي خوجلي الماحي خوجلي الماحي
- السماني خوجلي الماحي خوجلي الماحي
- الشيخ: البشير الفضل الماحي
- الأمين الفضل الماحي
- العباس الفضل الماحي
- ميرغني الخضر الفاضل دليل
- محمد (دليل) أحمد (سَرّار) دليل
- عمر أحمد (سرّار) دليل
- علي أحمد (سرّار) دليل
- معاوية عبد الله محمد عبد الله إبراهيم
- مجاهد علي إبراهيم عمر إبراهيم

شيوخ المحس



شجرة نسب شيوخ المحس بخط الفقيه محمد مالك خليفة أرباب العقائد بالبشاقرة

أرجوزة الكنوز

قال النسّابة أبو عامر الطاهر بن محمد الكنزي:

يقول راجي ربه هو الغفورُ   الطاهر بن محمد الفقيرُ

من بعد حمد الله ذي الجلالِ   الخالق الرزاق ذي الأفضالِ

مصليا على النبي أحمدَ   وآله وزوجه من اهتدى

وبعد هذا نسبي يا صاحِ   متصلا كالسلسل القراحِ

الطاهر بن محمد بن الطاهرِ   ابن محمد بلا تناكرِ

أبوه عمر من الكنوزِ   فهكذا الأصل بلا نشوزِ

من نسله طائفةٌ بتوتي   ما بين ألْمَعِيّ كذا خِرّيتِ

ابن علي للعلا يُسمَّى   نجل بلالٍ للرقي ينمَّى

ابن حسينٍ اسمه للسِّبطِ   ما فيهمُ من عجمٍ قبطي

وكَرِّرَنْ عليَّ يا أُخَيَّا   وبعده فَعِيدُ كن مرضيّا

وذا عليٌّ ثالثٌ أتاكا   فثبّت الأصولَ إنْ عناكا

وبَعدهُ فحَسَنٌ يا حَسَنا   فوَحِّد الإله خَلِّ الوثنا

أبوه فاضل فكن مفضَّلا   إياك والتواني والتعلُّلا

محمَّدٌ وأصله ممجّدُ   وبالصعيد سعدُه مُوطَّدُ

أبوه حربيّ أيا صحابُ   ونسلُهُ أُخَيَّ حَرْبِيابُ

فهؤلاء فَخِذٌ كَنزيّة   انتشروا في هذه البرية

انجبه أبوه ذاك غالي   إياك والإشراك والتغالي

وجدُّنا أُخَيَّ نجمُ الدينِ   مُمَلّكٌ أسوانَ باليقين

واسمه في الأصل قل تَمَّامُ دوِّنه في القرطاس يا هُمام

بأرضهم يدعونها أسوانا قد عمَّروا الزمان والمكانا

وصيتهم قد ذاع في البلدان   من أرض دنقلا إلى أسوان

وقاتلوا الملوك والمملوكا وأفنوا الغَنِيَّ والصُّعلوكا

ودوَّخوا البلاد والعبادا يا رب فاغفر لهم الفسادا

متفرقات

1- الشيخ: أحمد (الشمباتي) عمر فضل الله ...

2- الشيخ: إبراهيم بن العباس بن حاج عمر محمد أحمد (القناوي) بن إسماعيل بن عركي بن مرسي بن دریاس بن حريز بن جموع بن منصور بن جموع (جد الجموعية) بن غانم بن حميدان بن صبح بن مسمار بن سرار بن حسن أبي الديس بن قضاعة بن عبد الله بن مسروق بن أحمد بن إبراهيم (جعل).

3- حسن دفع الله نور الجليل بلّال بن دليل بن بلّال بن دليل بن بلال بن محمد بن (إدريس ود الأرباب) بن محمد بن علي بن قرين بن قنديل بن فلاح بن شرف الدين بن محمد (عجم) بن زائد بن محمد محسن (محس).

4- مريومابي

5- كنزي

6- جعافرة

7- ساجوري

8- خطاطيب.

9- آل الروقل.

10- آل مناي.

11- قراجيج

12- آخرون

انتشار المحس من توتي في وسط السودان

انتشار المحس في وسط السودان مرتبط بهجرتهم من شمال السودان إلى توتي، فإما جاءوا مع الهجرة واستمروا في سيرهم متجاوزين توتي إلى مناطق أخرى، أو سكنوا توتي وما جاورها أولا ثم رحلوا إلى مناطق جديدة. يشهد لذلك أن المحس المنتشرين في الوسط تجمعهم قرابة أنهم أبناء محمد (عجم) بن زايد بن محمد محسن.

شمبات وبري

سكان شمبات الأصليون هم المحس السعدلاب أولاد علي أبي عشبة بن عبد الخالق بن عبد الله بن سليمان بن سعد الله بن محمد (عجم). وسكان بري الأصليون هم المحس المرزوقاب أبناء مرزوق بن فلاح بن شرف الدين بن محمد (عجم). وسكان توتي وشمبات وبري شيء واحد جاءوا في هجرة واحدة وتقسموا بين هذه الجهات وهم اليوم متواصلون ومتداخلون وكل الأسر بهذه المناطق متداخلة.

العيلفون

وسكانها الأصليون هم المحس الشامية أولاد مزاد أبو شامة ابن محمد (عجم) بن زايد بن محمد محسن، وقد سكنها إدريس ود الأرباب محمد بن علي بن قرين بن قنديل بن فلاح بن شرف الدين بن محمد (عجم). وكثير من سكانها اليوم هم ذريته، وقد انتشروا وكونوا كثيرا من القرى والحلال المجاورة للعيلفون. وللشيخ إدريس ود الأرباب خلافة معروفة الآن بالعيلفون. ويسكنها بجوار المحس بعض القبائل الأخرى أهمهم الكواهلة.

البشاقرة

سكان البشاقرة اليوم قسمان رئيسيان هما رفاعة والمحس، والأصل هم الرفاعيون البشاقرة أبناء علي أبو أشقر بن حمد بن أحمد رافع. وقد تزوج منهم أرباب العقائد المحسي حوالي عام 1100هـ الموافق 1659م تقريبا، وأنجب محمد (راجل البشاقرة) الذي أنجب عشرين ولدا – 13 ابنا و 7 بنات – وذريته اليوم تمثل نصف البشاقرة غرب، وهم متداخلون مع الرفاعيين وقد أصبحوا نسيجا واحدا. ولمحمد بن أرباب العقائد اليوم خلافة معروفة بالبشاقرة كما مر.

ود دريش

هم أبناء أحمد (دريش) بن إدريس بن شكرته السعدلابي.

الخوجلاب

هم أبناء الشيخ خوجلي أبي الجاز بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن أبي ملاح الكباني.

القراصة

تقع مدينة القراصة بالنيل الأبيض على بعد 15كيلومتر جنوب مدينة القطينة وترجع نشأتها للعام 1800 وقد أنشاها الفقيه إبراهيم (قرة العينين) بن محمد بن عوض بن الكريم بن حمد بن محمد بن إمام (أبو جنزير). وقد اشتهر بنسبته إلى أمه قرة العينين بنت أحمد بن بشير بن محمد بن إمام (أبو جنزير)، وهو من محس توتي، وكان يعمل كاتبا في حكومة التركية من حجر العسل إلى وادي البصل.

وكان يؤم أول مسجد بها الفقيه موسى بن محمد بن دليل قبل دخول المهدي الخرطوم- وهو كذلك من جزيرة توتي وجده دليل المشيخي من أحفاد الشيخ يعقوب بن الشيخ مجلي- وقد قتله أنصار المهدي لمقولته التي قالها: (أحسب أن المهدي رجل صالح ولكنه ليس المهدي المنتظر) .

وهي موطن الشهيد القرشي الذي استشهد في أكتوبر 1964م. ومن مواطنيها أيضا الفريق إسحاق إبراهيم عمر الفقيه إبراهيم أول رئيس هيئة أركان للقوات المسلحة في عهد الإنقاذ.

أهل القراصة الأصليون هم المحس وشياخة المدينة بيدهم يتوارثونها أبا عن جد وأشهر شيخ للحلة قبل أن تصبح مدينة هو حسن احمد النذير الفكي إبراهيم وخلفه ابنه بدر الدين وبسبب نقله للخرطوم سلم الشياخة لأخيه زهير.

وبالقراصة أحياء للدناقلة والشوايقة والجعلية والحلب وهناك حي كامل لأولاد الريف ويعرفون بأولاد طُبَّل. (1)

الحلفاية

كانت الحلفاية مقر المحس الصواردة بجانب العبدلاب، ولكنهم هجروها خوفا من انتقام الدفتردار - الذي أحرقها.

الهلالية

من سكان الهلالية المحس أبناء الشيخ بابكر بن محمد أحمد بن المشرف بن محمد بن عثمان بن صباحي المرزوقابي المشيرفي.

(1) عن مقال لمجدي إدريس موسى الحسن بالإنترنت مع إضافات من تعليق للأستاذ قيس إبراهيم أحمد علي عليه.

قرية الشمباتة

سميت على الشيخ الشمباتي واسمه محمد بن أحمد بن عجيمي بن منوفلي السعدلابي، لقب بذلك لأنه قدم عليهم من شمبات.

قرية الداعي

أسساها الفقيه المدني بن الفقيه أحمد بن عجيمي بن منوفلي السعدلابي. وكان من علماء توتي الذين درسوا بالأزهر، وقد رحل من توتي إلى سنار بطلب من ملكها ليعمل كبيرا للقضاة حيث رشحه له أمراء العبدلاب. وقد أقطعه بادي أبو شلوخ100 فدان شمال سنار ، فسكن فيها الفقيه المدني[1]. وسميت القرية على ابنه الفقيه الداعي.

قرى السدارنة بالنيل الأبيض

المحس السدارنة هم أولاد سادر بن محمد (عجم) بن زايد بن محمد محسن.

قرى المحس بالجزيرة والنيل الأبيض وجبال النوبة وكردفان

في العام 1824م دخلت جيوش الدفتردار جزيرة توتي وقتلت خلقا كثيرا بعد أن أحرقت حلة خوجلي التي وجدتها خالية من السكان وهدمت القبة وقبلها أحرقت حلفاية الملوك بعد أن وجدتها خالية من السكان كذلك. ويروى أن عددا من الشباب في توتي فروا إلى أماكن عديدة بالجزيرة والنيل الأبيض وجبال النوبة وكردفان فأسسوا قرى كثيرة بتلك الجهات [2].

(1) رواية شفوية عن الشيخ عبد الوهاب أحمد المدني.

(2) عن مقال لقيس إبراهيم أحمد علي الشكرتابي.

ملحق: زيارة وفد توتي إلى مناطق المحس بالشمال

هذان مقالان نشرهما كمال أحمد البشير الفضل ومحمد السيد حسن محمد أرباب في الانترنت والصحف بعد عودة وفد توتي الذي زار مناطق المحس بالشمال، وهما يوثقان للرحلة، وقد رأيت إثباتهما – كما نشرا– في الملحق لما فيها من فوائد للمهتمين من بهذا المجال.

أولا: وصف الرحلة

توتي فلذة كبد أرض المحس

كمال الدين أحمد الشيخ البشير

في زيارة تاريخية بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى إلى أرض المحس بشمال السودان زار كل من السيد/ محمد الأمين أحمد على (سيد الحوش) وكمال الدين أحمد الشيخ البشير الفضل ومحمد السيد حسن محمد أرباب وأبو عامر الطاهر محمد الطاهر الكنزى من رواة ومهتمى تدوين تأريخ المحس فى جزيرة توتي بعض مناطق المحس بالشمالية ولا ننسى أخواننا من كبار المهتمين والذين أخرتهم عن الزيارة ظروف قاهرة وهم الأستاذ/ قيس إبراهيم أحمد على (والذي تابعنا بهاتفه طيلة الرحلة) والسيد/ حمزة قاسم موسى والسيد اسحق محمد إبراهيم النور والسيد حافظ محمد عبد الله. هذا و قد كان برفقتنا السيد/ محمد برى أحمد كمبال والسيد/ عبد الهادي مك الناصر إدريس والسيد/مقبول عثمان محمد على وهم من كبار رواة المحس فى النسب وتاريخ المحس بالشمال ومن سلالة ملوك كوكا ومسقط رأس الأخير فى المنازل التابعة لقصر الملك عبد العزيز هو أستاذ فى هذا الفن لسابقيه .

وذلك في غرة محرم من عام 1430هجرية الموافق السابع والعشرين من شهر ديسمبر 2008 مواصلة للأرحام وتسجيلا لما يشاهدون وما يسمعون من أهلهم وأعيانهم بشمال السودان وهى دعوة للتواصل والتراحم حيث جاءت هذه الزيارة بعد حوالى تسعين عاما من سابقتها والتى كانت لمبايعة ومباركة تتويج الملك عبد العزيز بن الملك الزبير بن الملك دياب في عام 1912 وقد كان ضمن وفدها الخال عبد الرحمن أحمد جميل الله والزيارة أيضا تمهيد للاجتماع المرتقب بين أبناء المحس بالوسط مع رصفائهم بالشمال ليتم بذلك اللقاء الاجتماع الثانى الذى يضم أكابر وعلماء المحس والذى سوف يكون بعد حوالى أكثر من ثلاثة قرون ونصف القرن من الاجتماع الأول الذى كان مع الشيخ خوجلى ومحس الشمال بمعية بعض محس الوسط بجزيرة توتي .

لا يعلم مشاعر الزائرين الا من شاهد معهم تلك الصدور الحانية و العيون الباكية والأكف التى تعانقت لتحضن فلذة كبدهم توتي و إن الود والترحاب الذى عاشه الزائرون في كنف أهلهم فى الشمال جعلهم يشعرون كأنهم كانوا فى سفر وأن عودتهم منتظرة ومرتقبة بل شعرنا وكأننا فعلا عدنا من سفر طويل

الى بلدنا التى كانت تغازلنا فى أحلامنا و أن كل التعابير التى كنا نسمعها بعد العناق فى الحضن الدافىء لأهلنا كانت (انتو وين تعالوا لينا محلكم فاضى) بل عبر شيخنا ابراهيم عبد الرزاق من أعيان دلقو بـ (تأخرتوا علينا) فأجابه سعادة يوسف الطاهر قرشى-(وهو من أعيان منطقة سيسب فضلا عن أنه معتمد محلية دلقو وهو الدعامة الفاعلة التى كان من شأنها انجاح هذه الزيارة بل كان معنا فى معظم برامجها وفى بعضها كان مضيفا) — أجاب بأن هناك مثل انجليزى مفاده بداية تنفيذ المشروع تعنى أنه فى وقته وقد استفدنا من السيد/ يوسف الطاهر لسعة علمه وحسه العالى ونظرته الشاملة وقراءته لمستقبل مشرق للمحس بالمنطقة ولاننسى أن نذكر فى هذا المقام السيد/ عبد الماجد محمد خير فقير الضابط الادارى لوحدة دلقو ومن معهم فى الاهتمام والمشاركة فى تنفيذ برنامج شرق النيل هو ووحدته الإدارية المتفاهمة مما كان له الأثر الطيب فى النفوس وسوف يأتى دور وحدة دلقو فى البرنامج فيما بعد .

بدأ برنامج الزيارة فى يوم الأحد مساءا حيث عقدت أول جلسة للتفاكر وتبادل المعلومات وكانت بمنزل والد مضيف الزيارة الرئيس محمد برى أحمد كمبال وهى مجموعة كبيرة بينهم السيد/ شمس الدين فقيرى من أعيان سدلة والمرافقين بالاضافة للسادة عفيفى برى وأكرم دياب أرو وشريف الزين ماسى ونصر الدين عبد الحفيظ وسيد شريف خطيب الماحى وفى صباح يوم الاثنين 2محرم أدينا صلاة الصبح فى مسجد سدلة وتعرفنا فيه بأهل سدلة وقد تحدثنا فيه الى أهلنا موضحين سبب الزيارة وكان من بين الحاضرين السيد شمس الدين خبيرى أيضا مع من قابلونا بالأمس واضافة للسيد/ عكاشة حامد عكاشة ثم بعد تناول كوب الشاى بمنزل برى بن أحمد بن الحاكم كمبال بدأنا زيارتنا للآثار وفى معيتنا آدم حاج فكان الأثر الأول ويحق له أن يكون كذلك زيارة قبور الملك جامع وأبناءه الذين كان لهم الفضل فى تسجيل أقوى وأروع الانتصارات الاسلامية على مملكة سيسب المسيحية فى معركة حكيت لنا تفاصيلها والقلاع أو الدفوف كما يسميها أهلنا فى الشمال تقف شامخة وشاهدة على ذلك والمقبرة تقع الى الجنوب مباشرة من منزل مضيفنا .

ثم في سدلة تناولنا القهوة مع مجموعة مقدرة من أعيان البلد وعلى رأسهم مضيفنا بمنزله العامر السيد/شمس الدين خبيرى من سلالة حبيب والأستاذ/ يوسف سر الختم محمد صالح من شدة وهومن سلالة آخر قاضى شريعة تابع لمملكة كوكا و السيد/ محمد على شريف الزين امام مسجد سدلة و الأستاذ/ الزبير عكاشة و الأستاذ/ صادق همد خيرى والأستاذ/أمين محمد نور والأستاذ/أحمد زهر الدين شريف خطيب الماحى والأستاذ أنور ناصر مك الناصر والسيد/ علاء الدين سعيد ابراهيم والسيد/عثمان عبدالله أبوبكر وغيرهم من كبار البلد .

توجهنا بعد ذلك الى المكان الذى تذرف فيه العيون و تدمى فيه القلوب الى قامى أو قاموا إلى المنطقة التي هاجر منها أهل جزيرة توتى وهى ترقد جنوب جبل سيسب وتبدو كأطلال قديمة ومساكن مهجورة من عدة قرون سالفة وبها طابية أو دف تحكى قصة حياة تلهب المشاعر حبا وحزنا على هذه

الهجرة حيث لم تسمح نفوس أهلنا فى شمال السودان سكناها طمعا فى عودة أهلهم اليها مرة أخرى على مر الدهور ليضربوا بذلك أروع مثل فى التأريخ القديم والحديث للوفاء والحب وهذا كان ديدن من قابلنا من أهلنا اذ اتفقت عندهم عبارة واحدة فى ختام السلام وهى :(انتوا وين تعالوا لينا محلكم فاضى) وقد هالنا الموقع وجعلنا ننظر الى بعضنا البعض وكل منا آخذ بتفكير عميق لا يسطر و لا يوصف بل يعاش فقط و من هذا الموقع خرجنا مستثقلي الخطا من حنين كان يجذبنا الى مسقط رؤس الأجداد ففى احدى هذه الأطلال كان جدى وجدتى مع الأهل بل كانوا أطفالا يمرحون في تلك الربوع الحانية ما أحلاها من لحظات و ما أقساها من مفارقات تلك التى تجمع بين الحزن والفرح والحنين والأسى .

توجهنا بعد هذا الموقع الى دار السيد/ بكرى الطيب الطاهر الذى لم نره الا وشيء في يده لضيافتنا وتلك شيمة من قابلنا من أهلنا وفى معيته فى الدار سعادة / يوسف الطاهر قرشى وهو من أعيان هذه المنطقة ووالده هو القاضى الشرعى السابق وقد اجتمعنا على مائدة الإفطار مع بقية أهل المنطقة ومنهم السادة/محمد الأمين عبد الواحد و خيرى شريف على و بدر الدين سيد و تاج السر قرشى و بعد تبادل المعلومات . توجهنا مباشرة لصعود جبل سيسب وفى سفح الجبل عالم آخر لو كان هو المعلم الوحيد فى هذه المنطقة لشدت اليه رحال العلماء والسياح وقد شاهدنا أساس قصر مملكة سيسب المسيحية والكنيسة التى تحولت الى مسجد ليكون أول مسجد فى المملكة الاسلامية للمحس وبعد جولة كاملة وشرح وافٍ شمل طريقة تتويج ملوك المحس المسلمين نزلنا من الجبل ميممين الشطر الى مدينة اخناتون الأثرية والتى لازالت بكرا من حيث التنقيب وبها أعمدة شاهقة هى بقايا معبد وبجانبها مدينة مدفونة والمنطقة عموما بها أكثرمن عشرة دفوف (قلاع) لملوك المحس أبناء الملك جامع بالإضافة للذي يوجد بكوكا فذاك شيء آخر وابداع انسانى وحضرى يمثل نسيج وحده يأتى ذكره فى حينه .

هذا وقد أطلعنا السيد المعتمد: يوسف الطاهر قرشى على خطة لعمل البنيات الأساسية لكل المناطق الأثرية للمملكة القديمة والحديثة لتكون المنطقة قبلة العلماء والباحثين والسياح من السودان ودول العالم الأخرى وقد أمنّا على ذلك وسوف يرى منا ما يسره ان شاء الله فى المستقبل القريب .

ثم بعد زيارة مدينة اخناتون الأثرية توجهنا الى أرتمرى التابعة للملك جامع واكتفينا أن نراها من الضفة الغربية وعلى حسب البرنامج فان هناك موعد آخر وتحسبا لدخول كوكا قبل مغيب الشمس لنتمكن من التصوير سمح لنا مضيفونا فى أرتمرى ونحن بالطريق الموصل لها وهو طريق الملك أو بالرطانة (جامى نوتى) بالمواصلة وقد كان معنا منهم الاستاذان الزبير عكاشة وصادق همد وقد أفاضا فى شرح دور الدف القائم قبالة أرتمرى فى حرب ملكنا المنتصر جامع مع سيسب المسيحية .

من هناك تحركنا الى شدة التى قابلنا مضيفونا فيها بالترحاب خارج الدارومنهم السيد/ مسعود عوض محمود على و السيد/ أمين محمد نور و السيد / عثمان عبدالله آدم ومجموعة من الأعيان و الأخوان وكان التعارف وتبادل المعلومات على مائدة الغداء .

توجهنا بعدها عصرا الى منطقة الترعة والتى أذهلنا جمالها وبخاصة أن جزيرة أرتى موقا التى كان منها معنا بكرى محمد حاج بدرى وهى على الضفة الشرقية من منطقة الترعة و تشكل معها أجمل ما رأينا من مناظر فى حياتنا وقد قابلنا في الترعة من الأهل والأعيان السيد/ عبد السلام فقيرى و السيد/فقير شرف الدين والسيد صالح عبد الحفيظ مع مرافقنا من شدة الى كوكا عمنا الظريف السيد عثمان شكور وغيرهم وكعادتنا تبادلنا معهم المعلومات .

ثم توجهنا الى منطقة كوكا بلاد آخر ملوك المحس و ان هذه المنطقة خاصة وجميع مناطق أبناء الملك جامع تعد من أجمل المناطق الأثرية السودانية اذ يرقد بمدافن منطقة كوكا جميع ملوك كوكا وبها قصر الملك عبد العزيز بن الملك الزبير بن الملك دياب وبالرغم من أن القصر مبنى من اللبن الا أنك حين تدخله تحس بالمهابة كأنك فى رحاب الملك ومع ذلك يحتاج للصيانة والترميم ليكون شاهدا على عصر من عصور الممالك الاسلامية فى السودان الذى كان لها الأثر الكبير على ما بعدها ثم صلينا المغرب فى المسجد الملحق بالقصر والذى وجدنا مكتوبا فيه تأسس عام 1268هجرية وتبادلنا الكلمات تمهيدا لاجتماعنا بأهل كوكا وأعيانها والذى كان بمنزل السيد/عبد الحليم فرح محمد على دياب أحد أعيان المنطقة وكان فى معيتنا السيد/ يوسف الطاهر قرشى ابن توتى و ابن شيخ ابراهيم العباس شيخ القراء بجزيرة توتى والذى كان طالبا فى حوزته و أيضا من الذين كنا فى ضيافتهم السيد دياب كمبال والسيد/ فضل عباس أرباب واستمعنا لشرح وافٍ من السيد/ المعتمد ورؤاه المستقبلية للمنطقة وقد تبادلنا الأراء فى حميمية وشوق للمشاريع المطروحة والتى من شأنها تنمية المنطقة وكذلك علاقاتنا بهم فى الشمال وأيضا التواصل والتعاضد من أجل المنطقة ومن أجل سودان جميل يكون قبلة للعالم أجمع

لنختم بذلك زيارتنا للضفة الغربية للنيل ولنستعد لجولة اليوم الثانى والليلة الثالثة .

بدأ اليوم الثانى بصلاة الصبح فى مسجد سدلة وتناولنا الشاى بمنزل ضيافتنا ثم القهوة كانت مع شقيق مضيفنا الرئيس كمبال برى وأيضا بمنزل السيد/ محمد على شريف امام مسجد سدلة ومن ثم تحركنا فى طريق العودة لنبدأ من وحدة دلقو والتى فيها تم افادتنا بالاقسام الجغرافية التابعة لها وأسماء المناطق من السيد ماجد محمد خير الضابط الادارى الهمام وبعدها تحركنا لزيارة محكمة دلقو فى معية السيد / يوسف الطاهر قرشى معتمد المحلية وهناك شرحنا لسعادة القاضى مرامى الزيارة وقد طلبنا منه الاطلاع على المنازعات القديمة لالتقاط بعض الأسماء لمقارنتها بالأسماء التى فى أنسابنا الا أنه اعتذر عن ذلك وسمح لنا ببعض الدفاتر القديمة والتى بها ما نطلب وذلك بالنظر فقط دون تدوين وذلك تطبيقا لقانون. وقد استفدنا من الاجتماع كثيرا وقد شملت الزيارة فى دلقو دور الحكومة التى بناها الانجليز ومنها منزل المأمور والمنزل الذى ولد به السيد/ محمد نجيب الرئيس المصرى الأسبق وهو الاستراحة الآن ثم بدلقو كانت الزيارة هذه المرة للشيخ ابراهيم عبد الرزاق بمنزله على مائدة الافطار وبمعيتنا السيد/يوسف الطاهر وأعضاء وحدة دلقو وقد استفدنا كثيرا من هذه الزيارة وقد ودعنا باكيا .

وبهذه الزيارة ودعنا السيد/ المعتمد الذى طلب من السائق أن يوصلنا الى دنقلا و أعضاء وحدة دلقو الادارية – له منا ولهم جميعا الشكر والعرفان . على أمل اللقاء معهم فى اجتماعنا الكبير القادم باذن الله والذى نحن وزيارتنا جزء منه .

توجهنا الى منطقة مشيرفة و برفقتنا الحارث عبد الرزاق لزيارة قبة الشيخ مرزوق وهذه المنطقة محاذية لمنطقة قامى من الشرق وتعتبر امتداد لها فى سالف الأوان ثم كان مضيفنا هذه المرة بمشيرفة محمد أحمد سيدى بمنزله على مائدة الغداء وهو أحد أعيان المنطقة وفى داره تبادلنا المعلومات كعادتنا فى كل المناطق التى زرناها وكانت هذه المرة مع السيد/ أيوب بيه والسيد/ سعد الدين صالح سروج وبعد الجولة التى قمنا بها فى الدف الشامخ بالمنطقة توجهنا الى فرّيق مرورا بكدا موسى و منطقة تعرف بكدرمة بها منطقة أخرى تعرف بـ (سعد الله) وبهذه المنطقة غرفة صغيرة متهدمة يقال بأنها خلوة للشيخ ادريس بن الأرباب كما مررنا بمنطقة أخرى فى طريق الذهاب وهى جبل على برسى وقنديل.

وبطريق العودة باتجاه فريق شاهدنا من على البعد منطقة كجبار مرورا على منطقة الخلاصاب مزين وسبو وجدى و دخلنا فرّيق قبيل المغرب معتذرين لأنهم كانوا بانتظارنا على مائدة الغداء وكان الاجتماع والضيافة بعد صلاة المغرب فى مسجد الشيخ تاج الختم خيرى وكان من كبار المضيفين السادة عبد الرحمن وعبد الرحيم وعصام تاج الختم خيرى وجمع من الأهل وفى تبادل المعلومات أضاف لنا جدنا عبد الرحمن اسما آخر لمنطقة قامي وهو أنه سمع من الأجداد أنها كانت تعرف بمنطقة سعد الله وكانت هذه من أسعد ما سمعنا من معلومات اذ تشكل هذه المعلومة اضاءة لطيفة فى كون أنه الجد الأول لأهالى جزيرة توتى ومعه أيضا عمه الملك مكن.

ثم ختمنا زيارتنا متوجهين الى مدينة دنقلا وهناك كنا فى ضيافة الأستاذ/ نصر عبد الله نصر آدم حاج بمنزل الأستاذ/ أحمد المعز محمد حامد الذى كان خارج المنطقة وذلك على العشاء والمبيت بمنزله العامر وهو من منطقة أرتمرى وسدلة من أحفاد الملك ناصر ثم أدينا صلاة الصبح فى مسجد مدرسة دنقلا الثانوية النموذجية وقد استأذن مرافقنا السيد محمد برى أحمد كمبال فى تنوير الطلبة بغرض ومرامى الزيارة وطلب من الجميع أن من يعثر أو بحوزة عائلته شجرة نسب أو وثيقة بها رواية تأريخية أن يسلمها لادارة المدرسة ومن بعد تناول الشاى بمنزل مضيفنا قفلنا راجعين إلى الديار وفى عقولنا وأفئدتنا رحلة تأريخية لا تنسى تكون باقية فى أجيالنا ويا لها من ذكرى .

ندعو بذلك كل الأكاديميين المتخصصين في المادة وفى رصيفاتها تحليل المعلومات التى سوف يفرد لها تقرير خاص بعد الاجتماع الجامع القادم ان شاءالله ونذكر منهم البروفسور عز الدين عمر أحمد محمد موسى والبروفسر على عثمان محمد صالح وعلماؤنا كثر والحمد لله وكلنا أمل أن تكون زيارتنا قد أسهمت و أسست لاجتماع محس الوسط بالشمال في وقت قريب قادم إن شاء الله والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

كمال الدين أحمد الشيخ البشير الفضل–جزيرة توتى

نيابة عن الوفد الزائر و الوفد المرافق المضيف

ثانيا: النتائج العلمية

بسم الله الرحمن الرحيم

حول زيارة وفد توتي لبركة المحس
عن تاريخ وأنساب القبيلة

محمد السيد حسن أرباب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وعلى صحبه وآله ومن تبع هداه إلى يوم الدين. أما بعد:

فقد كنت ضمن وفد من توتي زار منطقة بركة المحس بالشمالية في زيارة علمية تهدف للتواصل مع الجذور والتوثيق للتاريخ والأنساب المحسية مع اهتمام خاص بمعرفة مناطق أهل توتي التي هاجروا منها في الشمال وتاريخ الهجرة.

ولم يكن من مقصود الرحلة نشر نتائج علمية للزيارة. وإنما توسيع معرفة المهتمين من باحثي توتي بتاريخ قبيلتهم بما يساعدهم على معرفة ماضيهم.

إلا أن الذي جرى أن الأهل بالشمال سمعوا بزيارة هذا الوفد، وعجّلوا بضيافته وإكرامه أيما إكرام، كما نظموا له جولة زار خلالها أكثر المناطق المهمة في تاريخ المنطقة والتقى خلالها بأهل الدراية والمعرفة بالتاريخ والتراث. وقد كانت هذه الحفاوة البالغة التي تشرف وسعد بها الوفد – في الحقيقة –كانت أهم ما ميز هذه الرحلة. وقد ألح أهلنا في الشمال علينا بأن نكتب عن الخلاصات العلمية والتوثيقية التي توصل إليها الوفد. وما زالوا يلحون في ذلك ونحن في الحقيقة خجلون أن لا نجيب طلبهم –وقد أكرمونا كرما لا مزيد عليه. والحق أن بحث تاريخ قبيلة المحس مهمة جليلة عسرة. لأن المادة العلمية المتوفرة نادرة تكاد تنعدم. وأكثر ما بحوزتنا روايات شفوية تأتلف وتختلف. وهذا الحال يتسبب في كثرة وجهات النظر والاستنتاجات التي يمكن الوصول إليها من هذه الحقائق والروايات القليلة. ولهذا لم يكن الوفد يريد أن يخرج برؤية موحدة تقدم على أنها الرواية التاريخية التي يعتمدها. وكنا نفضل أن نعود من رحلتنا بأشتات من المعلومات والروايات التي تشكل إضاءات وقرائن تاريخية، ثم نملك هذه المعلومات للباحثين والمهتمين من أهلنا في توتي ومحس الوسط ونترك المجال فسحا لتباين الرؤى والأفكار بما يثري الساحة ويسهل

المداولة العلمية والبحثية لتنضج الأفكار. فنجنّب أنفسنا بذلك مزلق التسرع باستنتاجات لم تجد حظها من الوقت والنقاش لتنضبط وتستقر.

غير أن الإخوة في الشمال ظلوا – لعظيم اهتمامهم بالأمر وحرصهم الذي لا يقبل التزحزح – يداومون الاتصال بنا ومطالبتنا بنتائج الرحلة.

هذا في الحقيقة وبمنتهى الصراحة ما دعاني إلى أن أقرر الكتابة في هذا الأمر محاولا أن أروي بعض ظمأهم وظمأ بعض الأخوة هنا أيضا بتوثيق بعض الروايات التي أرى أنها مفيدة في بحثنا عن التاريخ والأنساب مع بعض معلوماتي واستنتاجاتي الشخصية والتي قد يوافقني عليها البعض ويخالفني فيها غيرهم. وأنا لا أقول إن هذه الأفكار والاستنتاجات نهائية وإنما هي ما بذهني الآن ولعل المزيد من الاطلاع والمداولة يغير كثيرا منها، وأرجوا أن يغفر لي القارئ ما يجد من خطأ في الاستنتاج والمعلومة – فقد قدمت عذري – وأن يمدني بالتصحيح ما أمكن.

ندلف إلى الموضوع ومن الله تعالى التوفيق:

أقول: أهم ما عندنا من العلوم التي تعين على تدقيق الروايات وترتيبها تاريخيا علم الأنساب التي يحتفظ بها المحس، لا سيما محس الوسط وأهل توتي وبري وشنبات خاصة، وسأصحبكم في رحلة تاريخية بمعية الأنساب. ومن المهم في هذه الرحلة أن يعلم القارئ أن كل ثلاثة أجداد يساوون 100 عام كما قال ابن خلدون[1]. وأني سأعتمد على ذلك في تقدير فترة حياة أجداد المحس أبناء أبي بن كعب الأنصاري رضي الله تعالى عنه وعنا أجمعين.

لقد كان القرن الأول الهجري – وهو القرن السابع الميلادي – في الجزيرة العربية هو خير قرون الأمة، توحدت فيه الجزيرة العربية على الإيمان والإسلام لرب العالمين، وكان ذلك على يد خير المرسلين وآخر أنبياء الله إلى العالمين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وفي هذا القرن المبارك وهذه الأرض المباركة عاش الصحابي الجليل أبي بن كعب الأنصاري الخزرجي الذي جاء أجداده من بلاد اليمن –بلاد العرب العاربة – وسكنوا يثرب والتي سماها رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة. وكان هذا الصحابي الجليل من أعلم الصحابة بالقرآن وكان أحد القلائل الذين حفظوه كاملا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جد قبيلة المحس المعروفة الآن بالسودان. وقد عاش في هذا القرن أيضا عمارة بن حارثة بن عبادة بن أبي بن كعب.

قلت: هذا ما تثبته سلسلة نسب المحس، غير أني لم أجد لعبادة بن أبي بن كعب ذكرا في كتب التاريخ الإسلامي. لكن ينبغي الانتباه إلى أن هذه الكتب لم تذكر إلا من رووا أحديث نبوية شريفة من أبنائه، ولم يحاول حصر أبناء أبي بن كعب أحد من أهل كتب الأعلام والرجال إلا متأخرا جدا بعد

[1] ابن خلدون – المقدمة.

قرون. قلت: وقد راجعت منها قدرا فوجدت أنه لم يحاول أحد منهم حصرهم إلا وذكر غيره أحدا لم يذكره[1]. والذي أراه أن عدم ذكره في كتب الأعلام والتراجم لا يمنع من وجوده تاريخيا ولا يجوز على أساسه إنكار نسب أحفاده الذين يحفظون أنسابهم إليه.

وقد كانت بلاد النوبة في هذا القرن على النصرانية آخر الأديان السماوية قبل الإسلام، وكانت لهم مملكتان في شمال السودان الحالي، هما مملكة مقرة ومملكة نوباديا اللتان اتحدتا في هذا القرن لتكونا مملكة المقرة التي يعرف جزؤها الشمالي بإقليم مريس وعاصمته فرس وكان حاكم هذا الإقليم يعرف عند العرب بصاحب الجبل[2]. وبهذا ورثت هذه المملكة حضارة النوبة التي هي أقدم حضارة في التاريخ, فلئن كان الناس اليوم يظنون أن أقدم حضارة هي اليونانية –فقد قال المؤرخ اليوناني هيرودوتس في كتابه الذي كتبه عام 300 قبل الميلاد: (أجمع مؤرخو اليونان على أن أقدم حضارة على وجه الأرض هي الحضارة النوبية)[3].

وقد كان هذا القرن هو قرن الفتوحات الإسلامية، وكان مما فتح فيه مصر، فتحها عمرو بن العاص رضي الله عنه في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ثم تولى ولايتها عبد الله بن أبي السرح في عهد ثالث الراشدين عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو أخوه من الرضاعة. وقد حاول فتح بلاد النوبة بالحرب، لكن شجاعة مقاتلي النوبة صدت الجيوش التي هزمت جيوش الإمبراطوريتين الفارسية والرومانية، وقد خسر المسلمون في هذه المعركة أعين كثير من المجاهدين، لأن خطة النوبة كانت رشق الأعين بالنبل، ولهذا سماهم المسلمون رماة الحدق. وقد أفضت هذه المعركة إلى توقيع اتفاقية البقط المشهورة عام 31هـ – 652م، والتي تسمح للمسلمين ببناء مسجد في دنقلا عاصمة النوبة وتسمح لهم باجتياز بلاد النوبة تجارا، ويلتزم النوبة بمقتضاها بدفع جزية سنوية لحكام المسلمين.

هنا رفض بعض النوبة هذه الاتفاقية التي رأوا أنها مذلة وهاجروا إلي شمال دارفور وهؤلاء هم الميدوب[4].

وفي القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي غزت جيوش الخليفة هشام بن عبد الملك بلاد النوبة ولكنها لم تستطع فتحها كذلك. وفي أيام الخليفة مروان بن محمد في ولاية موسى بن نصير لقي النصارى بالإسكندرية و مصر شدة و أخذوا بغرامة المال و اعتقل بطرك الإسكندرية أبي ميخايل ، و طلب بجملة

---

[1] راجعت في ذلك سير أعلام النبلاء، والإصابة ، وأسد الغابة، وتهذيب الكمال، وطبقات ابن سعد، والتقريب وغيرها.

[2] د.أحمد أحمد سيد أحمد – تاريخ الخرطوم.

[3] د.جعفر ميرغني . برنامج أضواء على الحضارة السودانية.

[4] أفادنا بذلك وفد الميدوب الذين اجتمعوا بنا في توتي بمنزل الأستاذ قيس إبراهيم من اجل التعارف وجمع شمل المحس.

من المال فبذلوا موجودهم و انطلقوا يستسعون ما يحصل لهم من الصدقة ، و بلغ ملك النوبة ما حل بهم فزحف في مائة ألف من العساكر إلى مصر ، فخرج إليه عامل مصر ، فرجع من غير قتال[1].

ويظهر من هذه القصة أن مملكة النوبة في هذه الفترة كانت مملكة متدينة. وأكثر ما يجلي ذلك ما كان عليه ملك النوبة من تدين وأخلاق عالية، ظهرت في قصته مع الأمير الأموي عبد الله بن مروان لما كان فارا من بطش العباسيين وذلك أن الخليفة العباسي المنصور استحضر عبد الله بن مروان من سجنه فقص عليه خبره مع ملك النوبة لما دخل أرضهم فاراً أيام عبد الله السفاح قال: (يا أمير المؤمنين لما قصد عبد الله بن علي عم أمير المؤمنين إلينا، كنت أنا المطلوب أكثر من الجماعة كلهم، لأني كنت ولي عهد أبي من بعده. فدخلت إلى خزانة لنا فاستخرجت منها عشرة آلاف دينار، ثم دعوت عشرة من الغلمان وحملت كل واحد على دابة ودفعت إليه ألف دينار، وأوقرت خمسة أبغل ما نحتاجه، وشددت على وسطي جوهراً له قيمة مع شيء من الذهب، وخرجت هارباً إلى بلد النوبة. فسرت فيها ثلاثاً، فوقعت على مدينة خراب، فأمرت الغلمان فكسحوا منها ما كان قذرا، ثم فرشوا بعض تلك الفرش. ودعوت غلاما لي كنت أثق به وبعقله، فقلت: انطلق إلى الملك وأقرئه عني السلام، وخذ لي الأمان، وابتع لي ميرة. قال فمضى وأبطأ عني حتى سؤت ظنا، ثم أقبل ومعه رجل آخر. فلما دخل قعد بين يدي وقال لي: الملك يقرأ عليك السلام، ويقول لك: من أنت؟ وما جاء بك إلى بلادي؟ أمحارب لي، أم راغب إلي،أم مستجير بي؟ فقلت: ترد على الملك السلام وتقول له أما محارب لك فمعاذ الله، وأما راغب في دينك فما كنت لأبغي بديني بدلا، وأما مستجير بك فلعمرى. قال: فذهب. ثم رجع إلي وقال: الملك يقرأ عليك السلام ويقول لك أنا صائر إليك غدا فلا تحدثن في نفسك حدثا ولا تتخذ شيئا من ميرة فإنها تأتيك وما تحتاج إليه. فأقبلت الميرة، فأمرت غلماني يفرشون تلك الفرش، وأمرت بفرش نصب له ولي مثله. وأقبلت من غد أرقب مجيئه. فبينا أنا كذلك إذ أقبل غلماني وقالوا: إن الملك قد أقبل. فقمت بين شرفتين من شرف القصر أنظر إليه، فإذا رجل قد لبس بردتين اتزر بإحداهما وارتدي بالأخرى، حاف راجل. وإذا عشرة معهم الحراب ثلاثة يقدمونه وسبعة خلفه. وإذا الرجل لا يُعبأ به، فاستصغرت أمره وهان علي لما رأيته في تلك الحال. فلما قرب من الدار إذا أنا بسواد عظيم، فقلت: ما هذا؟ قيل: الخيل، وإذا بها تزيد على عشرة آلاف عنان، فكانت موافاة الخيل إلى الدار وقت دخوله. فدخل إلي وقال لترجمانه: أين الرجل؟ فلما نظر إلي وثبْتُ إليه، فأعظم ذلك، وأخذ بيدي فقبلها ووضعها على صدره. وجعل يدفع البساط برجله، فظننت أن ذلك شيئ يجهلونه– أن يطئوا على مثله –حتى انتهى الفرش. فقلت لترجمانه: سبحان الله! لم لا يقعد على الموضع الذي وطّئ له؟! فقال: قل له أني ملك وحق على كل ملك أن يكون متواضعا لعظمة الله سبحانه إذ رفعه. ثم أقبل ينكت بإصبعه في الأرض

[1] تاريخ ابن خلدون.

طويلا ثم رفع رأسه فقال لي: كيف سلبت نعمتكم وزال عنكم هذا الملك وأخذ منكم وأنتم أقرب إلى نبيكم من الناس جميعاً؟ فقلت: جاء من هو أقرب قرابة إلى نبينا صلى الله عليه وسلم فسلبنا وطردنا وقاتلنا، فخرجت إليك مستجيرا بالله ثم بك. قال فلم كنتم تشربون الخمر وهو محرم عليكم في كتابكم؟ فقلت: فعل ذلك عبيد وأتباع وأعاجم دخلوا في ملكنا بغير رأينا. قال: فلم كنتم تركبون على دوابكم بمراكب الذهب والفضة والديباج وقد حرم عليكم ذلك؟ قلت: عبيد وأتباع وأعاجم دخلوا مملكتنا ففعلوا. قال: فلم كنتم أنتم إذا خرجتم إلى صيدكم تَقَحّمتم على القرى وكلفتم أهلها مالا طاقة لهم به بالضرب الموجع، ثم لا يقنعكم ذلك حتى تمشوا في زروعهم فتفسدوها في طلب دارج قيمته نصف درهم أو عصفور قيمته لا شيء والفساد محرم عليكم في دينكم؟ فقلت: عبيد وأتباع. قال: لا! ولكنكم استحللتم ما حرم الله، وفعلتم ما نهاكم عنه، وأحببتم الظلم، وكرهتم العدل، فسلبكم الله عز وجل العز، وألبسكم الذل، ولله فيكم نقمة لم تبلغ غايتها بعد، وإني أتخوف عليكم أن تنزل النقمة بك- إذ كنت من الظلمة -فتشملني معك، فإن النقمة إذا نزلت عمت، والبلية إذا حلت شملت، فاخرج عني بعد ثلاثة أيام -من أرضي- فإني إن وجدتك بعدها أخذت جميع ما معك، وقتلتك، وقتلت جميع من معك. ثم وثب وخرج. فأقمت ثلاثا وخرجت إلى مصر، فأخذني واليك وبعث بي إليك، وها أنا الآن بين يديك)[1].

ثم إن المنصور غزا بلاد النوبة أيضا. وقد ثبت وجود عرب في مناطق البجة أتوا عبر البحر الأحمر في هذا القرن. ولكن هل استقر أحد منهم في مناطق النوبة على النيل؟ سنعود إلى هذا.

وفي هذا القرن عاش سليمان بن محمد بن عمارة بن حارثة بن عبادة بن أبي بن كعب.

ومن المعلوم أنه في القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي أرسل أحمد بن طولون حملة إلى بلاد النوبة كان أكثر جندها من العرب عام (868م) واستقر كثير منهم حول أسوان وفي بلاد البجة[2].

قلت: وهنا نذكر أن روايات المحس تذكر أن أجدادهم الأوائل قدموا إلى السودان من مصر واستوطنوا منطقة مراغة شمال دنقلا العرضي[3]. وهذه الروايات لا تذكر تاريخا محددا ولا تذكر من الذي أتى ولا كم عددهم. وتذكر هذه الروايات أيضا أن أجدادهم هؤلاء هاجروا من مراغة إلى سدلة حيث أسسوا إمارة إسلامية ونصبوا جامع ملكا لها وأخاه سكر شيخا للإسلام. وقد استمر هذان المنصبان يتوارثهما أحفادهما. وهذه الروايات لا تذكر تاريخا أيضا. والملاحظ هنا أن الرواية التي يذكرها البروفيسور عون الشريف قاسم في موسوعة القبائل والأنساب السودانية تعكس المنصبين على خلاف ما يتفق عليه رواة التاريخ الشفوي الذين قابلناهم في رحلتنا إلى أرض المحس. وتقول روايات بعض أهلنا في الشمال أن

---

[1] شذرات الذهب.

[2] د. أحمد أحمد سيد أحمد – تاريخ الخرطوم.

[3] أ.د. عون الشريف قاسم — موسوعة القبائل والأنساب السودانية.

سكر لم يكن له أبناء ذكور بل أنجب بنات فقط، وأنجب جامع ذكورا فقط. فتزوج أبناء هذا من بنات هذا واشتهرت ذريتهما بلقب أبناء جامع سكر. وهذا طبعا يتعارض مع ما ذكر من تقسيم توارث أبنائهما للسلطة الدينية والسياسية. غير أن سلاسل الأنساب المتوارثة عند محس الوسط تسميه فعلا جامع سكر.

وفي هذا القرن—وهو القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي –تقريبا عاش جامع وسكر ابنا سالم بن عبد الرحمن بن علي بن سليمان المذكور قبلا.

وهذا الذي دعاني إلى ذكر هذه الروايات في هذا القرن. فيكون على هذا تأسيس إمارة سدلة التي عرفت بمملكة السكراب في هذا القرن.

يؤكد هذا ما أشارت إليه الكشوف الأثرية من أن أول إمارة إسلامية في السودان هي مملكة السكراب التي قامت في سدلة وقد كشف عنها من خلال القباب والمقابر التي عثر عليها وأنها كانت في الفترة من عام 866م إلى 950م ، وقد نشطت هذه الإمارة الإسلامية تحت حكم الملك المسيحي في العاصمة دنقلا[1].

قلت: وعلى هذا فإن أجداد المحس قد دخلوا إلى السودان قبل هذه الفترة، أي أنهم دخلوا في الفترة من بداية القرن الأول إلى نهاية القرن الثالث. فقد يكون أي من أجداد جامع وسكر هو الذي دخل إلى السودان، قد يكون فردا وقد يكونون جماعة، وهنا يجب أن أذكر أنني سمعت رواية من أكثر من واحد عن آبائهم: أن الذين دخلوا سبعة من الخزرج ثلاثة بزوجاتهم وأربعة بغير أزواجهم لكن لم أجد حتى الآن من يعرف أسماءهم. وعلى كل حال قد يكون دخول هؤلاء السودان مع حملة هشام أو مع حملة المنصور أو مع حملة ابن طولون التي ذكرنا أنه كان أكثرها من العرب وأن بعضهم استوطن حول أسوان وهي من مناطق النوبة. أقول ربما توغل بعضهم جنوبا إلى منطقة مراغة. وقد يكون أجداد المحس دخلوا كتجار زمن عبد الله بن أبي السرح، وإن كنت استبعد ذلك لأن اتفاقية البقط لا تسمح لهم بالاستيطان في بلاد النوبة. وربما يكونون قد دخلوا كأفراد في غير ما ذكرنا من الحملات. وهذه النقطة محل بحث. قلت: وتوجد الآن بين دنقلا ومراغة منطقة اسمها عمارة. ويظهر في أسماء أجداد جامع سكر عمارة كما ذكرناه في القرن الثاني الهجري. فهل سميت هذه المنطقة عليه مما يدل على أنه هو من دخل السودان وسكن فيها؟ أم أنه عمارة آخر. الحقيقة أني لا أدري هل أن اسم هذه المنطقة قديم أم لا، وهل هي عُمارة بالضم أم عَمارة بالفتح. وإنما أردت أن أطرح السؤال عله يجد من يعرف الإجابة.

[1] البروفيسور علي عثمان محمد صالح – أستاذ الآثار بجامعة الخرطوم.

وفي القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي دخلت ربيعة بلاد النوبة وصار لهم شأن فيها فقد كان زعيم ربيعة يركب في ثلاثة آلاف من ربيعة وأحلافها من مصر واليمن وثلاثين ألف حراب على النجب من البجة. وفيه أيضا غزا كافور الإخشيدي بلاد النوبة ولم تفتح له[1].

ولكن هل توغل العرب جنوبا نحو وسط السودان الحالي حيث مملكة النوبة الجنوبية وهي مملكة علوة والتي كانت عاصمتها سوبا؟ قلت: في عام 360هـ زار منطقة الخرطوم الرحالة أحمد بن حوقل، وفي كتابه صورة الأرض كتب: (ومن وراء النيل نهر عظيم يسمى النيل الأبيض سكانه جنس من النوبة)، ومن الجدير بالتنبيه إليه أن العرب لم يكونوا يعرفون النيل الأبيض وهذه أول إشارة إليه في كتاب عربي. وتسميته بالنيل الأبيض تدل على وجود للعربية وقد قال: (سوبا لها ريا الضواحي وبها جماعة من المسلمين)[2].

وقد عاش في هذا القرن جابر بن سعد بن موسى بن أويس بن جامع سكر.

وفي القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي عاش عبد الكريم بن عبد الله بن يعقوب بن جابر المذكور آنفا.

وفي القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي أرسل صلاح الدين الأيوبي حملتين على بلاد النوبة فافتتحها واستولى على حصن إبريم[3].

وفي هذا القرن عاش الملك حسن بن الملك أحمد بن الملك عامر بن عبد الكريم المذكور آنفا.

قلت: وهنا يلفت النظر ظهور عبارة الملك التي لحقت باسم عامر وهي عبارة يتوارثها أهل النسب من محس الوسط على وجه الخصوص. وفي بعض الروايات عندهم أنه الملك عامر بن الملك عبد الكريم. أي أن عبد الكريم هو أول ملك. فلماذا لم يذكر هذا اللقب قبلهما في سلسلة الأنساب المتوارثة، وقد علمنا أن جامع سكر هو أول من نصب ملكا على إمارة السكراب. هل كانت هذه إمارة صغيرة تحت سلطان الملك المسيحي ليس لها شأن ثم أصبح لها شأن في عهد عامر؟ أم أن الملك عامر له إنجاز كبير استدعى أنه اشتهر بهذا اللقب دون من سبقه من الملوك؟ أم نفترض أن رواية موسوعة الأنساب والقبائل السودانية أن الملك كان في أولاد سكر هي الصحيحة، ثم نبني على ذلك أن الملك انتقل من أبناء سكر إلى أبناء جامع بداية بعامر؟ وهل لكل ذلك علاقة بحملات صلاح الدين الأيوبي العسكرية على بلاد النوبة، والتي ربما أثرت على موازين القوى بين المسلمين والنصارى في بلاد النوبة؟ كلها أسئلة تحتاج لبحث. وأنا أتركها كما هي.

---

[1] د.أحمد أحمد سيد أحمد – تاريخ الخرطوم.

[2] د. جعفر ميرغني – من محاضرة ألقاها بتوتي.

[3] البداية والنهاية. وابن خلدون. وتاريخ الخرطوم.

وفي القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي غزا الدمادم — وهم حفاة عراة — بلاد الحبشة والنوبة عند خروج التتر إلى العراق، فعاثوا فيها ثم رجعوا[1].

وفيه حصلت صراعات بين ملك النوبة مرتشكين وابن أخيه داود الذي انتزع منه الملك فاستعان مرتشكين بسلطان مصر الذي أرسل حملة في عام 675هـ دخلت بلاد النوبة وأعادته إلى الملك على جزية وشروط. ثم أرسل السلطان قلاوون سنة 686 هـ حملة استنفر لها العربان أولاد أبي بكر وأولاد عمر وأولاد شريف وأولاد شيبان و أولاد كنز الدولة وجماعة من الغرب وبني هلال. فاستولت على بلاد النوبة ثم انسحبت على أن يدفع النوبة الضريبة[2].

وفي أول هذا القرن أو آخر القرن السابق لهذا القرن عاش الملك جامع بن الملك حسن بن الملك أحمد بن الملك عامر المذكور آنفا. وتذكر رواية لسلسلة نسب المحس استخرجت من الكتب خانة المصرية عام 1958م أن هذا الجامع هو جامع سكر. قلت: وقد وجدت أن هذا هو يروج عند محس الشمال، غير أني وجدت بعد سؤال كثير منهم أنهم جميعا يرجعون ذلك إلى الوثيقة المذكورة آنفا.

وسلسلة نسب محس الوسط تضع جامع سكر حيث وضعته أنا سابقا، ومما يرجح روايتهم غير أنهم ورثوا ذلك أنه مثبت في كتاب بديعة الزمان في أنساب الهاشمية والعربان لمؤلفه النسابة الصديق أحمد حضرة المولود في عام 1797م والمتوفي في عام 1918م. ولهذا فأنا أظن أن روايته أقدم من الوثيقة المصرية والتي لا أدري متى وضعت في الكتب خانة المصرية، غير أن المتوقع أن تكون قد وضعت في فترة الحكم التركي المصري للسودان الذي دخل السودان في عام 1821م، وبهذا يتضح أن الصديق أحمد حضرة قد عاش 23 عاما من عمره قبل دخول الترك السودان وقد كان رجلا نسابة ولا شك أنه أخذ هذا العلم عن أجداده وآبائه الذين عاشوا قبل هذا الفترة بزمن. والصديق أحمد حضرة من أهل شنبات ووالده أحمد المقب حضرة هو جد الحضراب. وإذا أضفنا إلى ذلك الكشف الأثري السابق الذكر عن مملكة السكراب رجح ذلك رواية محس الوسط عن تاريخ وجود جامع سكر.

قلت: وجامع المذكور أخيرا –وأعني به الملك جامع بن الملك حسن بن الملك أحمد –هو من ينتسب إليه جميع المحس الذين يحتفظون بأنسابهم اليوم. ومنه يبدأ تفرع شجرة الأنساب.

وتذكر رواية أهلنا في الشمال أن الملك جامع قد توج ملكا على المحس في جبل سيسة الذي يقع في سدلة بعد أن قتل الملك المسيحي الذي كان يتخذه مقرا له، أو بعد أن تزوج ابنته. اضطربت الروايات. ومعلوم أن النوبة كانوا يورثون الملك لابن الأخت وابن البنت[3] ،غير أني أرجح أنه قتله، لأنه توجد عند أهلنا في الشمال روايات عن حروب ومعارك دارت بين المحس المسلمين وحكام جبل سيسة

---

[1] ابن خلدون.

[2] ابن خلدون.

[3] ابن خلدون. ود. جعفر ميرغني. مدير معهد حضارة السودان.

المسيحيين من النوبة. ولكن من هو ملك جبل سيسة المسيحي. هل هو ملك النوبة؟ لا أظن، لأن ملك النوبة معروف أن عاصمته دنقلا. ومعروفة أيضا أسماء حكام النوبة الذين عاشوا في هذه الفترة ولن أطيل بذكرهم. ولهذا فأنا أرجح أن يكون حاكم جبل سيسة واليا لملك دنقلا. أو ربما كانت إمارة مستقلة تحت حكم الملك المسيحي في دنقلا.

وهل استفاد الملك جامع من ظروف تدخل حكام مصر في بلاد النوبة في هذه الفترة، فاستعان بهم باعتبارهم مسلمين وعدوهم المشترك مسيحيون ؟ وهل هو الذي قتل ملك سيسة أم إنه جامع سكر؟ ولماذا تنتهي كل سلاسل أنساب المحس المعروفة اليوم إليه؟ هل لأنه المؤسس الأول لمملكة المحس؟ يمنع من هذا أنه ابن ملوك على حسب رواية محس الوسط. أم لأنه الذي أحرز المجد وانتصر على الملك المسيحي فاهتم أبناؤه بنسبهم إليه دون غيرهم من الذين أهملوا أنسابهم فضاعت؟ أم لأنه فعلا جد كل المحس وهو الذي قدم إلى بلاد النوبة محتفظا بنسبه مسلسلا غير متفرع؟ يمنع من ذلك أنه ملك –وهذا يعني أنه يوجد من ملّكه– وكل ما سبق من الروايات والتاريخ.

قلت: وهنا أمر مقلق بالنسبة لصحة هذا النسب، والحقيقة أنه سؤالان: لماذا لا نجد تفرعا في سلسلة نسب الملك جامع قبله ما داموا قد ولدوا وعاشوا في السودان على حسب الروايات الشفوية؟ ولماذا يرطن المحس إذاً ما داموا عربا ولا يتكلمون العربية كإخوانهم من القبائل العربية السودانية؟ أما السؤال الأول فإن ما ذكرناه عن ما كشفه علم الآثار من وجود مملكة السكراب بالتاريخ المذكور ينفي ما يوحيه هذا السؤال من أن هذه النسبة ملفقة. ولعل أنساب أحفاد الفروع فوق جامع قد ضاعت ولم يولها أحد اهتماما بقدر نسب الملك.

وأما عن السؤال الثاني فلعل السبب هو أن أجداد المحس قد جاءوا قبل غيرهم من العرب كأفراد – واحد أو سبعة كما ذكرنا — وعاشوا في بيئة غير عربية وتزاوجوا مع النوبة مما أدى إلى رطانة أبنائهم وأحفادهم. أما غيرهم من القبائل العربية فقد جاءت عبر هجرات قبائل وبطون كبيرة متأخرة، وأكثر هذه الهجرات في القرن الذي يلي هذا كما سنذكره. ولهذا فلم تنطبق عليهم الشروط التي أدت إلى رطانة المحس.

وما دام الأمر كما ذكرنا من منطقية الأنساب المتوارثة فإننا نقبلها ما دمنا لا نجد ما يدعو لرفضها لأن الناس مؤتمنون على أنسابهم. ولا يحق لنا الطعن فيها بغير بينة.

قلت: وقد ذكر لي بعض أهلنا في الشمال أن سبب هجرة أجداد المحس من مراغة إلى سدلة غزو تعرضوا له من قبل الطوارق القادمين من الصحراء الكبرى. وقد ذكرنا أن هذا القرن تعرضت فيه بلاد النوبة لغزو الدمادم الذين عاثوا فيها فسادا، فلربما كان الدمادم هم سبب الهجرة لا الطوارق وربما يكون الملك جامع هو الذي نقل المقر من مراغة إلى سدلة في هذا القرن ، بدلا من أن يكون جامع سكر. ويكون هذا هو سبب الحروب المذكورة. لكن هذا يعكر عليه ما أثبته علم الآثار من أن مقر مملكة

السكراب كان في سدلة. وأما من هم الدمادم المذكورون فلا أدري من هم، غير أن الصديق حضرة ذكر في كتابه المذكور آنفا أن أم درمان قديما كانت تسمى أرض الدمادم[1].

قلت: وقد أنجب الملك جامع ستة أبناء هم: الملك سعد والملك مكن والملك جلال والملك ناصر وحسن وحسين. هكذا يعرفهم محس الوسط. وأما أهلنا في الشمال فقد وجدناهم لا يعرفون الأولين الملك سعد والملك مكن.

أما عن كيف يكون أربعة من أبناء الملك ملوكا. فما علمناه من رحلتنا إلى ديار المحس أن الملك جلال نازع الملك ناصر ملكه وتمكن من إزاحته، فرحل الملك ناصر إلى ديار الشايقية ثم تجمع أنصاره وقتلوا الملك جلال وأعادوا أخاه الملك ناصر إلى الحكم.

وتوجد منطقة في شمال السودان اسمها مك الناصر كان يمتد إليها حكم الملك ناصر. وأما الملك سعد والملك مكن فلا أدري كيف ملكا، وربما ملكا قبل ناصر وجلال وربما كانا واليين حيث أن عرف المحس أن يلقبوا بكلمة (أرو) التي تعني الملك الولاة كما يلقبون بها الملك نفسه.

وتذكر بعض روايات أهل جزيرة آرتميري الذين قابلناهم في رحلتنا أن الملك جامع سكن مع أبنائه في جزيرة آرتميري التي توصل إليها طريق جامع نُتِّي (ومعناها سكة جامع) المعروفة الآن وهي بين شَدَّة وسُدلة شمال الأولى، وكان ذلك بسبب أن المكان في سدلة كان غابة بها وحوش –ضباع وذئاب وغيرها– فسكنوا الجزيرة ليأمنوا. وينكر أهل سدلة أن يكون الملك جامع سكن آرتميري ويقولون إنه إنما كان يكثر الاختلاف إليها عبر السكة المذكورة. والجزيرة مقسمة على أربعة أقسام أحفاد جلال يسكنون غربها وحسن شمالها وناصر في الوسط وحسين في الجنوب. وقد كان يسكن فيها أيضا الخلاصاب في منطقة بيشِكّي الجنوبية الغربية من آرتميري. وقد خرجوا منها واتجهوا إلى مشيرفة ويسمون أيضا بيشاب، وهم أبناء خلاص بن أبي عيسى بن عراب بن بيبش بن عبد الرحمن بن وري بن بادق بن محمد بن عدنان بن سكر (أخي جامع) بن حسن بن أحمد بن عامر.

وهنا سؤال: لماذا لا يعرف محس الشمال الملكين سعد ومكن؟ لا أدري.

وقد عاش في هذا القرن أيضا – وهو القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي– الملك علي برسي بن الملك حمد بن الملك مكن بن الملك جامع. ولعله كان واليا ولم يكن الملك الأكبر للمحس لأنه معاصر للملك ناصر بن دياب بن الملك ناصر بن الملك جامع وقد استمر الملك في أحفاد الملك ناصر مما يرجح أنه هو ملك المحس.

[1] بديعة الزمان في أنساب الهاشمية والعربان. والكتاب مخطوط بدار الوثائق السودانية. وقد طبع جزء منه بعنوان العرب في السودان التاريخ والجذور. وهذه هي النسخة التي اطلعت عليها.

ورغم أن أهلنا في الشمال لا يعرفون الملك مكن إلا أنه توجد منطقة فيها جبل يعرف بجبل علي برسي.. فهل سمي هذا الجبل على الملك علي برسي حفيد الملك مكين أم أنه علي برسي آخر؟ سنعود إلى هذا.

قلت: وفي هذا القرن عاش محمد محسن المنتسبة إليه قبيلة المحس بن الملك سعد بن الملك جامع. المذكور سابقا. وقيل بل: محمد محسن بن الملك مرزوق بن الملك سعد بن الملك جامع. غير أن الأشهر هي الرواية الأولى وهي التي أوردها الصديق حضرة. وأيضا عاش فيه زايد بن محمد محسن الآنف الذكر.

أما لماذا انتسبت القبيلة إلى محمد محسن رغم أنه ليس جدهم جميعا بل وبيت الملك الذي تسلسل منه آخر ملوك مملكة المحس ليس من ذريته. فلا أدري له سببا. ولعله كان رجلا ذا شأن. أو أن أحفاده كانوا ذوي شأن فانتسب الكل إليهم. الله أعلم.

وأما عن كلمة (محس) فقد بحثت عنها في قواميس اللغة فوجدت في لسان العرب أنه يقال مَحَسَ الجلد إذا دبغه. وقد رأيت بعض الباحثين يخلطها مع كلمة الحمس ويصرفها من الحماس لينتهي إلى أن معناها الشجاع المقدام في الحرب. قلت: وهذا لا يصح لغةً.

قلت: ولقد ظننت في البداية أن اسم محمد محسن تصحيف في الكتابة وأن الاسم الصحيح هو محمد (محس) أي أن (محس) لقب له. والسبب في ذلك أنه لا يمكن في العربية النسبة إلى محسن : محسي. وهذا بيّن. غير أني بعد رحلتنا إلى الشمالية وبعد أن سمعت بأذني كيف يلفظ أهلنا الرطانة في الشمالية كلمة (محسي) تبين لي أنهم يلفظونها بطريقة قريبة جدا من كلمة محسن فهم يقولون محمد (ماسِّ). قلت: فلعل نطقهم هو أصل النسبة إلى كلمة محسن ثم أن المتعربين من محس الوسط نطقوها محس أو محسي. وبهذا الشكل يزول الإشكال، والذي كان سببه أن كل الروايات وأشجار النسب القديمة والوثائق المتوارثة وكتب الأنساب تذكر أنه محمد محسن فكيف يكون ذلك تحريفا عن كلمة محس؟!.

وفي القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي وقعت ثلاثة أحداث مهمة:

الأول أنه تولى ملك النوبة أول حاكم مسلم عام 1317م واسمه عبد الله برشنبو وبهذا دخلت بلاد النوبة ضمن بلاد الإسلام[1].

والثاني أن كنز الدولة وهو من ربيعة طالب بملك خاله ملك النوبة وأعانته على ذلك ربيعة فتمكن في عام 1323م من انتزاع ملك مملكة المقرة[2].

وكان من نتيجة ذلك أن العمري ذكر عن عام 1349م أن النوبة بلد مسيحي يحكمه ملوك مسلمون.

وقد قوي نفوذ بني الكنز حتى هاجموا أسوان[1].

---

[1] د.أحمد أحمد سيد أحمد – تاريخ الخرطوم.

[2] تاريخ الخرطوم.

قال المؤرخ الذي عاش في هذا القرن ابن خلدون : (الذين يلون أسوان هم يعرفون بأولاد الكنز ، كان جدهم كنز الدولة ، و له مقامات مع الدول مذكورة ، و نزل معهم في تلك المواطن من أسوان إلى قوص بنو جعفر بن أبي طالب حين غلبهم بنو الحسن على نواحي المدينة ، و أخرجوهم منها ، فهم يعرفون بينهم بالشرفاء الجعافرة ، و يحترفون في غالب أحوالهم بالتجارة)[2].

والأمر المهم الثالث الذي وقع في هذا القرن هو هجرة العرب الكبيرة إلى بلاد النوبة،فقد هاجرت جهينة إلى بلاد النوبة وتجمع عرب آخرون في شمال بلاد النوبة وفي البطانة والجزيرة وذلك في النصف الأول من هذا القرن[3].

وجهينة قبيلة جاءت من الجزيرة العربية، قال ابن خلدون: (جهينة ما بين الينبع و يثرب إلى الآن في متسع من برية الحجاز و في شماليهم إلى عقبة إيلة مواطن بلى و كلاهما على العدوة الشرقية من بحر القلزم [وهو البحر الأحمر] و أجاز منهم أمم إلى العدوة الغربية و انتشروا ما بين صعيد مصر و بلاد الحبشة و كاثروا هنالك سائر الأمم و غلبوا على بلاد النوبة و فرقوا كلمتهم و أزالوا ملكهم و حاربوا الحبشة فأرهقوهم إلى هذا العهد)[4].

قلت: ولعل هذا يفسر تقارب الدارجة السودانية الآن مع الدارجة الحجازية في السعودية، أي أن هذا التقارب ربما كان سببه أنها لغة جهينة.

وأما كيف تمكن العرب من إزالة ملك النوبة فنأخذه من ابن خلدون الذي عاش في هذا القرن، قال: (انتشرت أحياء العرب من جهينة في بلاد النوبة و استوطنوها و ملكوها و ملؤوها عيثاً و فساداً و ذهب ملوك النوبة إلى مدافعتهم فعجزوا ثم صاروا إلى مصانعتهم بالصهر فافترق ملكهم و صار لبعض أبناء جهينة من أمهاتهم على عادة الأعاجم في تمليك الأخت و ابن الأخت فتمزق ملكهم و استولى أعراب جهينة على بلادهم و ليس في طريقتهم شيء من السياسة الملوكية للآفة التي تمنع من انقياد بعضهم إلى بعض فصاروا شيعاً لهذا العهد و لم يبق لبلادهم رسم للملك و إنما هم الآن رجالة بادية يتبعون مواقع القطر شأن بوادي الأعراب و لم يبق في بلادهم رسم للملك لما أحالته صبغة البداوة العربية من صبغتهم بالخلطة و الالتحام)[5].

قلت : وهذه نتيجة لمصاهرة تمت في القرن الذي يسبقه بلا ريب. ويمكن أن يكون ظهور الملك جامع في القرن الذي يسبقه نتيجة لإحدى هذه المصاهرات مع ملوك النوبة كما ذكرنا.

---

[1] تاريخ الخرطوم.

[2] تاريخ ابن خلدون.

[3] تاريخ الخرطوم.

[4] ابن خلدون.

[5] ابن خلدون.

ومن المفيد هنا أن نذكر أن المجموعات العربية الكبيرة التي دخلت السودان في هذه الفترة هي المجموعة الجهنية والمجموعة الجعلية.

وتضم المجموعة الجعلية قبيلتين هما فزارة وقضاعة اللتان تأمر عليهما الأمير إدريس بن قيس بن يمن العباسي وكان دخوله بلاد النوبة بالسودان 658هـ أي في منتصف القرن السابق لهذا ثم خلفه ابنه إبراهيم الملقب بجعل والذي تنتسب إليه اليوم كثير من بطون الجعليين ومنهم : الشايقية والرباطاب والجموعية والبديرية وأبناء عرمان (الذين ما زالوا يحتفظون باسم جعليين) وغيرهم،والمهم أنه أصبحت لقبائل الجعليين في هذا القرن سطوة ومملكة (أو مشيخة) امتدت من عام 658هـ إلى عام 1280هـ[1] وقد استوطن الجعليون على النيل.

وأما المجموعة الجهنية فهم الشكرية والمسيرية وغيرهم[2] فهؤلاء من بطون جهينة. وقد استوطنت جهينة البوادي. وفي آخر هذا القرن انتشر العرب جنوبا نحو وسط السودان. وتكونت المشيخات العربية[3]. وهي إمارات عربية متفرقة تسمي كل واحدة منها نفسها مملكة.

وفي هذا القرن عاش محمد (عجم) بن زايد بن محمد (محس) وأبناؤه التسعة. وهو جد جميع محس الوسط وأبناؤه التسعة هم بطونهم وهم: شعبان جد الشعباناب (الذين يسكنون مع الجعليين) وسعد الله (جد السعدلاب الذين يسكنون شمبات وتوتي) ومزاد أبو شامة (جد الشامية وأولاده الحمدلاب في العيلفون وأم قحف وما جاورهما) وصارد (وأولاده الصواردة) وشرف الدين أو مشيرف (جد المشيرفية أولاد فلاح الأربعة وفلاح ابنه) وزايد (جد الزيادية في كردفان) وعبود أو عبودي (جد العبودية في عبود ونارناريتي والترعة وتوتي) وسدران (أو سادر) (جد السدارنة في قرى البطانة والجزيرة) ومحمد كبان أو كباني (جد الكبانية).

وقد كنا قبل رحلتنا إلى الشمالية نظن أن محمد عجم هو الذي هاجر إلى الوسط وحده أو بمعية أبنائه أو هم من هاجر دونه. خاصة وأن أهل توتي جميعا أبناء أربعة من أبنائه هم أشقاء دون بقية إخوتهم التسعة وهم سعد الله وشرف الدين وعبودي وكباني[4]. ولكن المفاجأة الكبرى التي وجدناها في رحلتنا إلى الشمالية هي وجود مناطق باسم: عبود و كبان و صواردة و مشيرفة و سعد الله. وأيضا منطقة باسم قنديل و قبة باسم مرزوق في منطقة مشيرفة وهو ما يوافق أسماء اثنين من أبناء فلاح بن مشيرف بن محمد عجم الأربعة وهم: قنديل ومرزوق وصبح وغردقة. والذين تقدر حياتهم في بداية القرن الذي يلي هذا.

---

[1] موقع نقيب السادة العباسيين في العالم الاسلامي بالانترنت. ودليل الأنساب في السودان.

[2] عثمان حمد الله– دليل الأنساب في السودان.

[3] د. أحمد أحمد سيد أحمد — تاريخ الخرطوم.

[4] النسابة عبد الله بن شاهين بن أحمد جميل الله البدري الشكرتابي السعدلابي.

هذه المفاجأة غيرت قناعتنا بأن محمد(عجم) هو أو أبناؤه التسعة هم الذين هاجروا إلى الوسط، وهي المعلومة التي كانت مشتهرة ومنتشرة في أوساط نسابة وباحثي محس الوسط. والغريب جدا أن أهلنا في الشمال لم يسمعوا بمحمد (عجم) ولا يعرفونه! فما هو السبب؟ ربما كان معروفا عندهم باسم آخر، وربما نسوه بتطاول الأيام بما أنه لا توجد منطقة باسمه، وربما كان قد هاجر فعلا وعاد جزء من أبنائه أو أحفاده وأسسوا هذه المناطق. وإن كنت أرى الخيار الثالث مستبعدا، بسبب كثرة المناطق المسماة على أبنائه.

وفي القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي عاش علي (أبو عشبة) -المسماة عليه مقابر أبي نجيلة والتي تعرف أحيانا بمقابر بحري -ابن عبد الخالق بن عبد الله بن سليمان بن سعد الله بن محمد(عجم) وهو جد جميع السعدلاب الذين عثرنا على أنسابهم وله أربعة أبناء وأحفاده موزعون بين توتي وشمبات وبعضهم بغرب السودان وبعضهم في البجراوية وهم العصملاب والشكرتاب والعجيماب وغيرهم. وعاش أيضا أولاد فلاح بن مشيرف الأربعة وهم: قنديل (جد إدريس ود الأرباب) ومرزوق (جد أهل بري) وصبح (جد الصبحاب أو العوناب أولاد عون بن عامر بن صبح) وغردقة (جد الغردقاب وأكثرهم بتوتي وجد المقيوداب المنتسبين إلى ابنه محمد الملقب مقيود)0

قلت: وفي أواخر هذا القرن هاجر من هاجر من المحس من منطقة قامى -(بإمالة الألف اللينة — ومعناها: قاموا وقيل بل المكان المرتفع[1]) التي تقع شمال سدلة بينها وبين جبل سيسة -هاجروا إلى منطقة توتي وشنبات ووسط السودان. قال المؤرخ أنتوني آركل: (إن أول مستوطنة أنشئت في العاصمة الحديثة هي جزيرة توتي عام 1480م)[2]. قلت: وهذا الذي ذكره صحيح يشهد له الاستقراء التاريخي، وأنا أذكر عدة شواهد تاريخية على ذلك: فمنها أننا إذا استصحبنا أن أهل توتي جميعا أبناء لأربعة من أبناء محمد عجم وهم: عبودي ومشيرف وكبان وسعد الله وأن آثار منطقة قامى تدل على أن سكانها كانوا كثر وليسو أسرة واحدة دل هذا على أن الذين هاجروا هم أحفاد المذكورين بعد أن تكاثروا، وكذلك فإنهم لو جاءوا أسرة واحدة لذابوا في الجموعية والفتيحاب الذين كانوا يسكنون المنطقة المسماة عليهم في أمدرمان ويتخذون توتي أرض مرعى لبهائمهم، ولكنهم تركوها للمحس لما جاءوا وزرعوها مما يدل على أنهم كانوا مجموعة ذات شأن. وهذا يفيد أن هجرتهم كانت بعد القرن الثامن الهجري. والسبب الثاني أن المعروف تاريخيا أنه عندما توفي ابن الشيخ إدريس ود الأرباب المولود عام 1500 في العيلفون، قال الشيخ: (انتظروا بالدفن حتى يأتي أهل الوجعة)[3]، فانتظروا حتى أتى أهل توتي. وهذا يدل على أن توتي كانت مسكونة قبل ذلك أي قبل القرن السادس عشر الميلادي العاشر الهجري. وكذلك فإن التفرع في أشجار

[1] روايات شفوية من رحلتنا، وقد أخبرنا بالمعني الأخير الحارث بن عبد الرازق بن إبراهيم.

[2] كتاب توتي المجاهدة.

[3] طبقات ود ضيف الله.

أنساب أهل توتي وشنبات يبدأ من جيل عاش في أواخر هذا القرن وهو القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي. وأيضا فإن المتوقع أنهم أول ما يبدأون به بعد الهجرة والاستقرار بناء المسجد، وقد بني مسجد توتي العتيق في عهد علي بن طاع الله بن أحمد(علبك) بن محمد(مقيود) بن غردقة بن فلاح بن مشيرف، وقد عاش المذكور في أواخر هذا القرن. وكان أول خليفة للمسجد ابنه موسى بن علي بن طاع الله[1]. كل هذه الأسباب تدعم التاريخ المذكور للهجرة وهو عام 1480م.

قلت: ويقال أن سبب هجرتهم مجاعة حلت بالمنطقة ويقال أيضا أن سببها أفاع نفثت السم في إناء طبخهم في وليمة كانت مقامة فأهلك ذلك كثيرا منهم ورحل البقية.[2]

وفي القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي اتحدت المشيخات العربية تحت راية أقواها – وهي مشيخة العبدلاب– وتحالفوا مع الفونج وأسقطوا مملكة علوة المسيحية ليكونوا مملكة الفونج الإسلامية العربية عام 910هـ الموافق 1504م.[3] وقد كان حكم الفونج يقوم على نظام المشيخات وكان ملك الفونج هو الذي يختار من عائلة شيخ المشيخة (أو ملكها) المتوفي من يخلفه في المشيخة ويدفع الشيخ ضريبة إلى الملك.

فهل شاركت مشيخة المحس في هذا؟ لا أدري. ولكن المعلوم أن دولة الفونج اعتمدت بشكل كبير على علماء المحس، في فترة لم تكن البلاد كلها مسلمة، بل وكان العلم بالإسلام ضعيفا جدا، بسبب أن الكثرة من القبائل العربية التي دخلت كانوا أعرابا بدوا علمهم بالدين قليل، وقد قيل أنه في تلك الفترة كانت المرأة يتزوجها أكثر من رجل في يوم واحد، أي أنهم – من جهلهم بالشرع – لم يسمعوا بالعدة![4]

وفي هذا القرن عاش الشيخ العالم إدريس بن الأرباب محمد بن علي بن قرين بن قنديل بن فلاح بن مشيرف المولود عام (910 هـ). عالم السلطنة الزرقاء وقد عاش 147 عاما وهو جد كثير من محس العيلفون وواسي وفريق وغيرهم. وأما أين ولد فهذا محل نزاع شديد بين محس الشمال والوسط، كل يزعم أنه ولد في منطقته وقد رأينا في رحلتنا إلى الشمال أثرا لبيت عند جبل كدا موسى زعم أنه بيته. والمعلوم أن والديه مدفونان في الحليلة شوحطت وهي الآن جزء من شنبات. والذي أرجحه أن والديه هما من هاجر إلى الوسط وربما كان معهما أو لم يولد بعد لكنه ظل بعد استواء عوده يداوم زيارة أهله في الشمال، خصوصا وأن المعروف عنه أنه كان كثير الترحال والتنقل. وله أحفاد في مناطق كثيرة.

[1] نسابة ومؤرخ توتي عبد الله بن محمد (شاهين) الشكرتابي السعدلابي..

[2] روايات شفوية من رحلتنا إلى الشمال.

[3] د.أحمد أحمد سيد أحمد – تاريخ الخرطوم.

[4] أ.د. يوسف فضل – مقدمة تحقيقه لكتاب طبقات ود ضيف الله.

وفي هذا القرن: (غزا السلطان سليم الثاني بلاد النوبة في عام 1550م ووصل حتى الشلال الثاني. وبهذا تكونت سنجكية (محلية) إبريم كجزء من إيالة (محافظة) مصر التابعة للإمبراطورية العثمانية. كانت الرئاسة بالنسبة لسنجكية إبريم بلدتا الدّر والديوان اللتان تبعدان حوالي 20 كلم شمال إبريم.

وفي عام 1583م تعمّق العثمانيون جنوباً متجاوزين الشلال الثاني إلى الشلال الثالث مؤسسين بذلك سنجكية المحس. هذا التعمّق أدّى إلى إعمار قلعة صاي لاتخاذها حاميةً عسكرية، ذلك لبعد قلعة إبريم. وقد كانت الخلفيات الإثنية لجنود السلطان سليم الذين خلّفهم وراءه تعود لعدة أصول من تركيا ومنطقة البلقان بالبحر الأبيض المتوسط بالإضافة إلى بعض جيوب من مسلمي القوقاز. وأصبح الدولاب الإداري لمنطقة السنجكية عسكرياً على رأسه قائد برتبة "بيك"، يعاونه موظفون مدنيون أُطلق عليهم لقب "الكشّاف". وقد تعاقب على قيادة الحاميتين (بالدّر وصاي) عدّة بكوات. ويعتبر "حسن قوسي" أول "كاشف" يُعيّن على المنطقة النوبية من الدر حتى الشلال الثاني)[1].

قلت: وبهذا تكون منطقة المحس قد خرجت من حكم الفونج وأصبحت داخلة تحت حكم الكشاف العثمانيين في صاي والذين استمروا في الحكم حتى عام 1821م حيث دخل الحكم التركي إلى جميع السودان وقضى على حكم الفونج. ولم يلغ الترك مملكة المحس وغيرها من الممالك أو المشيخات التي كانت قائمة وإنما قلصوا صلاحياتها ووضعوا على كل مملكة كاشفا مسئولا عن جمع الضرائب منها، يعاون كل كاشف خمسة باشبوزقات[2].

وفي القرن العاشر الهجري السابع عشر الميلادي عاش الملك شلبي بن دياب بن عبد الله بن الملك سعد بن أرباب بن عبد الله بن أرباب بن الملك ناصر بن دياب بن الملك ناصر بن الملك جامع. والذي قسم أبناءه كحكام لمناطق المحس فعرفت بألقابهم وهم علي (كُيَّة) ومحمد (واوة) وعبد القادر (صُلُب) وإدريس (حَنَّك) وأما ابنه همَّد فقد ورث الملك من بعده.

وأيضا عاش فيه الشيخ العالم أرباب العقائد أحمد بن علي بن أرباب بن علي بن عون بن عامر بن صبح بن فلاح بن مشيرف المولود بتوتي عام (1609م – 1017هـ) والمتوفي عام (1691م-1102هـ) وقد عرف بهذا اللقب نسبة لأنه ألف كتابا في العقائد اسمه: (الجواهر الحسان في تحقيق معرفة أركان الإيمان) وهو مؤسس مدينة الخرطوم حيث أنه خرج من توتي وأنشأ خلوته في مكان المسجد المعروف الآن باسمه وكان المكان وقتها غابة. ويقال أنه خرج من توتي بسبب أن المركب غرق بمجموعة من الطلاب الذين كانوا يقصدونه في توتي، فخرج إلى بر الخرطوم لكي لا يضطر الطلاب لقطع النيل إليه[3] وكان ذلك في عام 1691م[1]. وقد خلّف ابنه بساطي على خلوته وذهب قاصدا سنار حيث

---

[1] مقال على النت.

[2] رواية شفوية من محمد المقبول بن عثمان بن محمد علي بن الملك دياب.

[3] رواية شفوية عن فوزي بن الأمين (ود نمر) البداني المشيرفي.

طلب ليكون من ضمن علمائها فمر في طريقه بالبشاقرة حيث تزوج هنالك وواصل طريقه إلى سنار حيث مات فيها بعد عامين وقبره بها معروف. وقد أنجبت زوجته في البشاقرة ابنه الأصغر محمد (راجل البشاقرة) الذي ينتسب إليه محس البشاقرة اليوم[2].

وفي هذا القرن أيضا عاش عمر بن حمد بن محمد بن إدريس بن سليمان بن عمر بن إبراهيم بن الأمين بن مضوي بن فرح بن الملك الزبير بن الملك علي برسي بن الملك حمد بن الملك مكن. وهو جد جميع المكناب بتوتي.

وعاش في هذا القرن أيضا الشيخ إمام (أبو جنزير) بن محمد بن عبد الرحمن بن كرم الله بن شكر بن سمرة بن عصفور بن سليمان بن محمد (كبان) بن محمد (عجم). وقد كان يكتب المصاحف. ولقب بأبي جنزير بعد وفاته بزمن طويل لما حول الانجليز المقابر القديمة بالخرطوم إلى موقف فأحاطوا قبره بجنزير. وأصبح اسم المكان وهو الموقف المشهور الآن وسط سوق الخرطوم والمسمى عليه. ولأبي جنزير ذرية كثيرة بعضها في توتي.

وعاش أيضا في هذا القرن العالم المشهور الشيخ خوجلي أبو الجاز بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد بن حسب النبي بن فضل الله بن كرم الله بن شكر بن سمرة بن عصفور بن سليمان بن محمد(كبان) بن محمد (عجم)، وهو جد المحس الخوجلاب بحلة خوجلي والخوجلاب.

و عاش في أواخر هذا القرن الملك نصر بن همد بن شلبي بن دياب بن عبد الله بن الملك سعد بن أرباب بن عبد الله بن أرباب بن الملك ناصر بن دياب بن الملك ناصر بن الملك جامع. قال الرحالة التركي أوليا شلبي الذي زار المنطقة عند زيارته للسودان خلال العامين 1670م-م1671 : (توجد قلعة سيسة على الضفة الغربية للنيل وهي تحت إمرة رجل يسمى نصرت). ولا يخفى أن التاء الأخيرة في الاسم يضيفها الأتراك بسبب عجمتهم.

قلت: و يبدو أن سلسلة نسب الملك نصر حدث فيها سقط يقدر بأربعة أو خمسة أسماء بينه وبين الملك جامع، يتضح ذلك إذا قارنا تاريخ وجوده مع عدد الأسماء، وأرجح أن يكون السقط قد وقع فوق الملك شلبي لأنه من الملك شلبي التفرع في العائلة المالكة محفوظ ومرتبط بأحداث تاريخية.

وفي القرن الثاني عشر الهجري الثامن عشر الميلادي في عهد ملك الفونج بادي أبو شلوخ (1726م) استولى وزراء الهمج على الملك الفعلي وأصبح الملك اسميا وأصبحوا يولون ويعزلون ملوك المشيخات على حسب أهوائهم[3].

---

[1] رواية من النت عن الخليفة الصديق محمد مالك القاضي خلفية أرباب العقائد بالبشاقرة.

[2] النسابة قيس بن إبراهيم بن أحمد بن علي الشكرتابي السعدلابي.

[3] د.أحمد أحمد سيد أحمد – تاريخ الخرطوم.

وقد عاش في هذا القرن الملك دياب بن الملك نصر ويقال أنه كان متدينا وعالما وصغيرا في السن لما ذهب في وفد من وجهاء القبيلة إلى ملك الفونج ليختار من بينهم ملكا للقبيلة بعد وفاة الملك نصر كما جرت العادة ولم يكن من بين المرشحين للمنصب، وأنهم لما وصلوا أمر ملك سنار باستضافتهم في مكان به سرير واحد، فلما جاءهم وجد دياب جالسا على السرير والبقية على الأرض، وكانوا قد أجلسوه لفضل علمه، فقال: قد اخترته ملكا عليكم[1].

وفي عهده أتى النيل على منطقة كلوب القديمة ولم يبق من مساكنها شيئا[2]،ويقال أيضا أن الرمل ظهر على شواطئ سدلة مما تسبب في عدم قدرة السواقي على الري[3] ، فنقل الملك دياب بن الملك نصر مقر الملك من سدلة إلى كوكا. وانتقل أخوه الملك علي إلى أرضوان حاكما عليها وأخوه الملك أرباب لقيلكِّي حاكما عليها[4]. وللملك دياب من الأخوة أيضا الملك عبد الله والملك شلبي وفاطمة.

وقد ألمت بمملكة المحس في عهد الملك دياب مصيبة كبيرة: وهي أن الملك دياب سافر إلى دنقلا وكلف أخاه الملك عبد الله بالإشراف على المملكة في غيابه. وكان الكاشف الذي عينه حكام صاي الأتراك على ملك المحس هو محمد خير حاج عمر وكان محسيا –من عائلة حاج طويل وهو ابن أخت للملك دياب –على غير العادة والتي كانت أن يكون الكاشف تركيا أو ألبانيا. وقد كانت عادة المحس أن بهائم الملك لا تربط. فأمر الكاشف المذكور الملك عبد الله أن يربط بهائمه، فرفض الملك ذلك وحاول الكاشف تطبيق القرار بالقوة، فأرسل إليه الملك عبد الله من قتلوه. ويقال أن الكاشف المذكور كانت له صلة بأم حاكم مصر،مما أغضبه فأمر بإحراق قبيلة المحس. فاعتذر الملك دياب بأن القبيلة ليس لها دخل بما فعله الملك عبد الله وأنه تم دون علمه. فطلب حاكم مصر أن يرسل إليه المحس أربعين فارسا فداءا للكاشف المقتول، فأرسلوا إليه الملك عبد الله وابنه صالح وإخوان الملك إبراهيم وصالح وآخرين من الأسرة المالكة، فنفاهم حاكم مصر إلى مكان جوار الاسكندرية عرف باسمهم (الزبيرية)[5].

قلت: قلت وربما كان الملك دياب المذكور في هذه الرواية هو الملك دياب بن الملك الزبير بن الملك دياب بن الملك نصر لا دياب الجد، وذلك لأن تسمية الزبيرية تدل على أن المذكورين من نسل الزبير ولا يوجد الزبير في سلسلة النسب غير هذا. كما أن بعض الروايات الشفوية تنسب هذه القصة إلى عهد محمد علي باشا. ولكني فضلت ذكرها حيث رويت لي من النسب.

---

[1] رواية شفوية.

[2] رواية شفوية من النت.

[3] رواية شفوية من رحلتنا إلى الشمال.

[4] رواية شفوية من النت.

[5] روايات شفوية من رحلتنا ومن النت ومن محمد المقبول عثمان.

وفي هذه الفترة حدثت قصة يرويها أهلنا في الشمال وهي مشهورة جدا عندهم وقد سمعناها منهم، وأنا هنا أنقل نصها الذي وجدته في الانترنت بعد أن وجدته مطابقا لما سمعناه ، وهي أنه: (في عام 1822م كان الرحالة الفرنسي لينات دي بليفوندس عائدا من سنار إلى مصر في طريقه إلى فرنسا عندما مر بمنطقة حنّك وتاجاب (الحالية) ، في هذه المنطقة أخبره سكان المنطقة أن في طريقه قلعة محصنة كان يسكنها قاطع طريق اسمه علي برسي فسجل الرحالة القصة الكاملة وهي أن: علي برسي كان أحد أبناء الأسرة الملكية الحاكمة في كوكا (مملكة المحس) . تمرد على ملك المحس و ترك كوكا وأتى إلى هذا المكان المسمي جبل علي برسي وسبب إرهابا وترويعا لأهل المنطقة. بالقرب من المكان وعند قرية فوقو ثمة رجل يقال انه احد أبناء الأسرة الحاكمة في دنقلا تزوج فتاة من جزيرة سِمِت . أعجب علي برسي بالفتاة وقرر أن يأخذها ، فهدد الرجل بالقتل إذا لم يغادر هذه المنطقة عندما جاء ليستعيدها ، وتصارعا مرتين هزمه المرة الأولى ولكنه صفح عنه ،وهزمه للمرة الثانية وصفح عنه إكراما لزوجته أما في الصراع الأخير فقد تمكن علي برسي من قتله وسحب جثمانه وصلبه عند الجبل دون أن يدفنه،وأخذ أرملة الرجل وأسكنها معه في الجبل . وخاف أقارب القتيل من الانتقام من علي برسي خوفا من إثارة غضب ملوك المحس. وعندما عجز أهل القتيل عن الانتقام لابنهم قرر أهل الزوجة في جزيرة سمت تدبير مكيدة لقتل علي برسي ، وفي إحدى الليالي وأثناء نوم علي برسي في قلعته في أعلى الجبل عبر رجال من جزيرة سمت نهر النيل وهم يحملون معهم أربطة من القش ودخلوا إلى القلعة وأنقذوا المرأة ثم أحاطوا غرفته بأكوام من القش الناشف ، عندما استيقظ على الضجيج اخذ بندقيته التي يحتفظ بها محشوة بالرصاص وجاهزة للإطلاق عند النافذة وصوبها إليهم ولكن كانت المرأة قد صبت عليها الماء قبل خروجها وعطلت البندقية ثم أطلق الرجال النار على القش وبدأ علي برسي يختنق من الدخان فاجبره ذلك على الخروج من قلعته وأخيرا قتله هؤلاء الرجال)[1].

وقد بلغتني رواية أن علي برسي المذكور في هذه القصة هو الملك علي بن نصر الذي حكم أرضوان وأنه تمرد بعد ذلك على ملك المحس دياب وتم نفيه ثم انه تسبب بالمشاكل المذكورة في القصة.[2] والمعلوم في الرطانة أن كلمة برسي بفتح الباء معناها السيئ وبكسر الباء معناها التوأم. والسؤال هنا: هل سمي جبل علي برسي على علي برسي هذا أم على الملك علي برسي المكنابي الذي ذكرناه في القرن الثالث عشر؟ الاحتمالان واردان.

وفي هذه الفترة الزمنية نشب صراع بن الملك محمد وأمه من الماسِّ والملك شلبي ابني الملك دياب بن الملك نصر على كرسي مملكة المحس، وانتهى بالمبارزة بين الاثنين على الملك فقتل شلبي محمد وقتل حرس محمد شلبي ونشبت فتنة عمياء بن البيشاب أو الخلاصاب وهم سكراب وبين الماسِّ أدت إلى أن

---

[1] عبد المجيد عبد القادر – وجدت مقاله هذا على عدة مواقع على الانترنت.

[2] روى لي ذلك الأخ محمد بري أحمد كمبال بن الملك دياب .

سافر أخوهما الأصغر كمبال إلى مصر طالبا النجدة من الترك، فجاءت حملة تركية أعادت النظام بأن أعدمت زعيمي كل من الطرفين وهما سكُّور من الخلاصاب وكثيّر. وانتهى الأمر بتتويج الملك الزبير على المحس[1].

وفي أواخر هذا القرن كثرت الحروب الداخلية وانهار سلطان الفونج في المشيخات وهزمت جيوشه حيثما التقت بجيوشها وتوقف إرسال الضريبة إليه[2].

وفي القرن التاسع عشر الميلادي الثالث عشر الهجري ذكر الرحالة السويسري بوركهارت الذي زار المنطقة عام 1813م أن الأقاليم الممتدة من المحس إلى سنار بها ما يزيد على عشرين ملكا ومملكة ، فكل رئيس مستقل يلقب ملكا. وقد احتل الأتراك السودان عام 1821م وتحدثت بعض التقارير عن احتلال العثمانيين لقلعة سيسي وعن موت ملك يسمى سعيد.[3]

قلت: ولم أجد لسعيد هذا ذكرا في سلسلة الأنساب الشفوية لملوك المحس المتأخرين.

وفي عام 1833م حدث ما عرف بثورة السواقي من قبل المحس ضد الحكم التركي والتي وجدت لها رواية كتبها على الانترنت عبد المجيد عبد القادر وهذا نصها:

(سجل أحداث هذه الثورة احد الأوربيين واسمه هوسكنس (HOSKINS) عندما كان عائدا إلى مصر أثناء وجوده في منطقة الحفير [بركة المحس] وهو يستعد للتحرك لمنطقة المحس فجاءت أخبار ثورة المحس وشاهد بنفسه أحداث إخماد الثورة وآثار الكارثة.

كان السبب الأساسي للثورة كما يقول هوسكنس هو زيادة الضرائب . فالضرائب التي كانوا يدفعونها من قبل لم تزد عن 30 قرش (دولار واحد في ذلك الوقت) رفعت مرة واحدة إلى عشرة أضعاف أي إلى 300 قرش ومع إصرار الحكومة على الدفع نقدا مع عدم توفر النقد لديهم زاد العبء كثيرا خاصة على منطقة المحس لافتقارها لأسواق تجارية واعتمادها بصفة عامة على تجارة المقايضة . إن عمليات التعذيب والضرب التي كان يمارسها جامعوا الضرائب المصريون أدت في النهاية إلى استنهاض الملك بخيت [حاكم منطقة مشيكيلة من قبل ملك المحس وهو من أحفاد الملك علي(كية) بن الملك شلبي[4]] ومهاجمتهم بقتل 3 جنود وترك الرابع يموت.

وبنهاية شهر ابريل من عام 1833 اجتمع لدى الملك بخيت حوالي 1500 من المقاتلين ومعهم القاضي عيسى لمحاربة الحكومة التي جهزت كتيبة من 120 جنديا و 120 من المتطوعين السودانيين و500 من قبائل الحسانية والفونج و500 من قوات الملك طمبل ملك أرقو مدعومة بمدفع كانون 8

[1] روايات شفوية من رحلتنا إلى الشمال.

[2] د. أحمد أحمد سيد أحمد.

[3] أ.د.علي عثمان محمد صالح.

[4] زيادة شفوية من محمد المقبول بن عثمان بن محمد علي بن الملك دياب.

رطل . هاجم الملك بخيت معسكر أعدائه جنوب قرية حنك بقليل في الرابع من مايو 1833 ولكنه كان يعاني من ضعف التسليح فهو لم يكن يملك إلا 150 بندقية اغلبها قديمة من النوع الذي يشعل البارود من الأمام وقليل من الذخيرة وباقي أسلحته رماح وقليل من السيوف الألمانية , والبقية من جنوده يحملون حرابا مصنوعة من جذوع أشجار السنط (طولها 4 أقدام) وانهزم الملك بخيت وقتل من معه 120 رجلا واختفى الملك بخيت. صدر عفو عام عن المتمردين من قبل الحكومة ولكنهم رفضوا هذا العفو وتحدوا الحكومة من جديد وتجمعوا مرة أخرى عند الملك بخيت في فقيرن فنتي شمال حنك حيث أقاموا معسكرهم فوق تلة صخرية شديدة الانحدار ، ثم هاجموا القوات الحكومية المدعومة من قبائل الحسانية وملك أرقو مرة أخرى في أول يونيو 1833 فانهزموا مرة أخرى وقتل منهم 170 واسر 30 منهم وقد رأي هوسكنز 105 زوجا من آذان أبناء المحس قطعت منهم بعد قتلهم).

وقد كانت السواقي 950 ساقية في منطقة المحس قبل هذه الثورة ثم تقلصت إلى 500 ساقية بسبب هجرة أهلها إلى غرب السودان بعد هذه الحوادث[1].

قلت وفي أواخر هذا القرن قتل الدفتردار كثيرا من أبناء محس الوسط وعظمائهم ومثل بهم، فقد قَتَل خليفة الخرطوم الكامل بن علي بن أحمد (أرباب العقائد) بالمدفع –والذي قُتِل حفيده أيضا عبد الرحمن بن محمد بن الكامل على يد أنصار المهدي عند فتح الخرطوم في مسجد جده– ،وقَتَل الدفتردار أيضا من أهل توتي أعدادا، وقَتَل خليفة العيلفون حفيد الشيخ إدريس ود الأرباب لما طلب منه أن يخرج جميع من معه من الجعليين ليقتلهم انتقاما لإسماعيل باشا، فقال الخليفة: (كلنا جعليون) فقتله الدفتردار وقتل معه 40 من شباب العيلفون حرقا.

وقد اشتهر بعد هذه الفترة من ملوك المحس الزبير دياب الملك (1850 – 1910م). والده دياب الملك (بن الملك الزبير بن الملك دياب بن الملك نصر) الذي كان يحكم المنطقة في عهد عباس باشا بدنقلا أثناء الغزو التركي للسودان. ويذكر أن عباس باشا نزل في كُكَّة بقصر الملك الزبير لما سافر إلي السودان ثم واصل سفره إلي دنقلا الأوردي. وعند وقوع دنقلا في يد جيوش المهدية عام 1885م (بعد انسحاب الجيش التركي المصري بقيادة بريطانيا من دنقلا إلى وادي حلفا) دمر الأنصار أملاكه فهرب إلى مصر. وفي عام 1894م رجع وعمل مع الخليفة عبد الله الذي عينه أمين بيت مال دار المحس وكان مع عبد الله يعقوب (عمدة جدِّي) ممثلي المحس في مجلس الخليفة. ولكن الأمور ساءت بينه وبين الخليفة فهرب عام 1896 ، وانضم إلى السفن التي كانت تطارد الأنصار (حملة كتشنر) وعين في الحكومة الثنائية عمدة على منطقة كُكَّة بالمحس[2].

---

[1] زيادة شفوية من محمد المقبول بن عثمان بن محمد علي بن الملك دياب.

[2] مقال على الانترنت لم أعرف كاتبه.

وعند وفاته عام 1912م كتب الخليفة محمد بن الهادي بن محمد بن أحمد بن مضوي بن إبراهيم بن سليمان بن إدريس بن عبد الدائم بن علي بن عون بن عامر بن صبح بن فلاح بن مشيرف بن محمد(عجم) وهو خليفة توتي – وأقصد الخلافة الدينية–كتاب عزاء إلى الملك عبد العزيز وإخوانه وإلى القاضي صالح محمد محمود وكافة من معه من الأهل القاطنين في البلد والمتفرقين في النواحي جميعا، موقعا منه ومن العمدة أحمد بن إبراهيم بن علي بن محمد بن بر بن ضو بن سليمان بن محمد بن الحاج العمراني بن موسى بن علي بن موسى بن طاع الله بن أحمد(علبك) بن محمد(مقيود) بن غردقة بن شرف الدين بن محمد(عجم) . وقال فيه: (نعترف بالتقصير في حق المفقود لأنه عظيم قبيلتنا هنا وهناك)[1].

قلت: وهذا يدل على أن التواصل بين أصل القبيلة في الشمال والمجموعة التي هاجرت إلى الوسط لم ينقطع.

وفي القرن العشرين عاش آخر ملوك المحس الملك عبد العزيز بن الملك الزبير المذكور آنفا والذي توج ملكا عام 1918م وقيل بل عام 1912م – تضاربت الروايات الشفوية التي عثرنا عليها– وقد وجدت مقالا عن مراسم تتويجه في الانترنت[2] ساندته روايات شفوية وجدناها في زيارتنا للشمال. ونصه كما يلي:

(كانت مراسم تتويج ملك المحس تبدأ بوصول وفود المشاركين من جميع مناطق المملكة نساءا ورجالا لابسين أفضل ما عندهم من الملابس وكل واحد يحمل شيئا مميزا كعلامة على فرحته ومشاركته في مباهج التتويج.

وتبدأ المراسم بحلق شعر الملك الجديد (بالقنجر) ولكن بعد ترك ثلاث بقع شعر دائرية في السطح العلوي لرأسه بحيث تكون هذه الجزر الشّعرية مثلث متساوي الأضلاع ويركب حصانه من أمام قصره متوجها شمالا يحف به أمراء المحس على أحصنتهم وبقية الشعب من يركب حماره ومن يمشي على قدميه. [وبعد أن يتجاوز ركب التتويج قلعة الملك في كوكا لا يبقى أحد راكبا إلا الملك ويمشي الجميع حفاة ولا يمر أحد غرب القلعة[3]] وتقف مسيرتهم عند أسفل جبل سيسة حيث يصعد الملك المرشح والأمراء إلى أعلى الجبل ويجلس على صخرة وهو متجه إلى النهر ويوكل أقوى العبيد في المملكة بحمل ديدي (طشت من الفخار) على رأسه ويخوض النهر قبالة الجبل ويعبئ الديدي (الطشت الطيني) من مكان عميق بحيث يضمن نقاوة الماء ويخوض الماء عائدا ويصعد إلى أعلى الجبل حيث مكان جلوس الملك ويوضع الديدي على الصخرة ويدخل فيه ويستحم بماء النهر ويخرج منه ويلبس جلابية جديدة من الدبلان الأبيض ثم يعود إلى أسفل الجبل ليركب حصانه وهنا يهلل الجمع وتتعالى الصرخات وكل يحدث جلبة

---

[1] الوثيقة موجودة عند الإخوة الباحثين في توتي.

[2] كاتب هذا المقال هو عبد المجيد عبد القادر – وقد وجدت مقاله هذا على عدة مواقع على الانترنت.

[3] زيادة شفوية من محمد المقبول بن عثمان بن محمد علي بن الملك دياب .

بأي شيء في يده من يحمل صفيحة ويضربها بحجر ومن يحمل كشكوشا يكشكش بها ويعود إلى قصره في كوكا بذات الطريق والجميع يحفون به.

ويحكى أن آخر ملوك المحس قد سمح له الانجليز بالتتويج وذلك لغرض التوثيق ، وما انتهت مراسم التتويج في كوكا حتى سافر الملك إلى الخرطوم ليتوج في جزيرة توتي ثم يعبر النيل عن طريق المراكب إلى مكان ما يعرف الآن بوزارة التربية والتعليم حيث ركب حصانه حتى بري المحس لإكمال دورته لكل رعيته ثم بعد ذلك اصدر الحاكم العام الانجليزي مرسوما بإلغاء مملكة المحس بصفة رسمية بعد أن كانت منتهية فعليا).

قلت: وفي النصف الثاني من هذا القرن عاش: محمد بن السيد بن حسن بن محمد بن أرباب بن أحمد (لقمان) بن ضوء بن سليمان بن محمد بن الحاج العمراني بن علي بن (موسى بن علي بن طاع الله –المذكور سابقا) وهو كاتب هذه السطور.

ومحمد الأمين بن أحمد بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جاد الكريم بن مضوي بن جاد الكريم بن موسى (الضيق) بن سليمان بن (موسى بن علي بن طاع الله –المذكور سابقا).

والطاهر بن محمد بن الطاهر بن محمد بن فاطمة بنت يس بن محمد بن علي بن عمر بن حمد بن محمد بن إدريس بن سليمان بن عمر بن إبراهيم بن الأمين بن مضوي بن فرح بن الملك الزبير بن الملك علي برسي بن الملك حمد بن الملك مكين بن الملك جامع.

وهو كنزي من جهة الرجال لكنه يدخل في المحس من جهة جدته فاطمة كما هو مذكور في نسبه.

وكمال الدين بن أحمد بن البشير بن الفضل بن الماحي بن دليل بن حمد بن محمد بن (إمام –أبو جنزير – المذكور سابقا).

وهؤلاء المذكورون هم أعضاء الوفد الذي زار منطقة بركة المحس من محس الوسط. إضافة إلى قيس بن إبراهيم بن أحمد بن علي بن محمد نور بن عبد الرحمن بن إدريس بن شكرته بن سليمان بن عبد الرحمن بن محمد بن موسى بن (علي –أبي عشبة– المذكور سابقا) وقد شارك في الإعداد لرحلة هذا الوفد لكنه لم يستطع السفر مع الوفد لظرف صحي.

وقد رتب لهذه الزيارة وقام على برنامجها ورافق الوفد من محس الشمال:

محمد بن بري بن أحمد بن كمبال بن (الملك دياب بن الملك نصر–المذكور سابقا).

ومحمد المقبول بن عثمان بن محمد علي بن الملك دياب بن الملك الزبير بن(الملك دياب بن الملك نصر –المذكور سابقا).

و عبد الهادي مك الناصر.

ونختم بما به بدأنا من الصلاة والسلام على الذي أنقذنا من الضلالة والردى نبي الرحمة والهدى.

المحتويات